روايـــة الفنحية الأولى انتظروا المزيد

دار الرسم بالكلمات

# نم نجهبز همزاد النسخة بواسطة: المار



https://t.me/osn\_osn



Scan me!

الضكبة الثامنة

كنزي مدبولي



http://elrasm-blkalemat.com

FB.com/elrasm.blkalemaat

Instagram.com/elrsmbkalemat

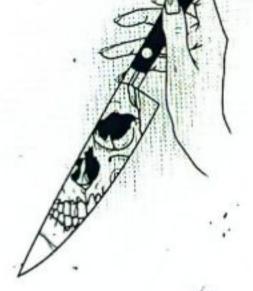
http://elrasm-blkalemat.com

الغمية الثاملة كنزي مدبولي ٢٠٣٤ ١:٦٢١٥١١ عبير طوسون عبير طوسون 2025/27223

عنوان الكتاب:
المؤلف:
الطبعة الأولدي:
المراجعة اللغويدة
والإفراج الداخلدي:
تصهيم الفكاف:
رقدم الإيداع:

#### جميع المقول معفوظة للناشِر©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دولاً موافقة كتابية يُعرَض صاحبه للمُساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكانب فقط لا غير، الضحية



رواية

كنزي مدبولي

إهداء إلى عائلتي، دمتم أنتم النور الذي ينيز لي الطريق مهما اشتدّ الظلام. إهداء ثانٍ إلى الأشخاص الذين لا يتخلون علّا حتى عندما نتخلّى نحن عن أنفسنا.. إلى أولئك الذين يعتقدون أنهم لن يختبروا الحب مجددًا، اعلموا أنّ الحب سيظهر لكم حتى في أحلكِ اللحظات. شکر خاص

إلى الكاتب المبدع، ومعلمي الصبور: "عبد الرحمن حجاج" شكرًا لأنك لم تبخل عليّ بعلمك وبخبرتك، ولأنك دعمتني خطوة بخطوة في كتابة تلك الرواية.. أنا حقًا ممتنة لك.

6

4

PART.

.5

1

### الفصل الأول

داخل مكبُ نفايات في إحدى ضواحي القاهرة، انشغل طفلان في جمع القمامة. أحدهما لا يزيد عمره عن الثانية عشرة، والآخر يصغره ببضع سنوات. كانا يرتديان ملابس ممزقة، وقد غطى التراب جسديهما وشعرهما، وفي أيديهما أكياس ضخمة متهالكة مصدوعة من البلاستيك الردىء.

اقترب الطفل الأصغر من كومة من النفايات:

ـ جابر، أنا هبدأ هنا، وانت الناحية التانية.

ـ ماشي يا أحما.. بس ما تاخدش غير الحاجات اللي شكلها غالي وينفع تتباع أو بلاستيك. ما تعملش زي المرة اللي فاتت وتجيب لي حاجات مقطّعة.

هز الطفل رأسه موافقًا.

انشغلا في فرز القمامة لساعات، يأخذان ما يمكن بيعه لتجار الخردة ولمصانع إعادة تدوير البلاستيك. يحصلان على مبالغ زهيدة مقابل ذلك، لكنهما في حاجة إلى أي نقود، حتى لو كانت بضع جنيهات معدنية يرميها أبناء الطبقة الوسطى في أدراجهم لسنوات دون اكتراث.

وجد أحمد حقيبة سفر كبيرة تبدو وكأنها لم تُستخدم من قبل، وليس بها أي تلف. نادى أخاه بحماس:

يا جابر، تعالى!

ترك جابر ما في يده واتجه إليه:

- إيه؟ فيه إيه؟

ـ بص الشنطة دي، شكلها جديدة. دي ممكن نبيعها بفلوس كتيرا تفحصها جابر بعينيه وقال:

- آه، غريبة! ده صاحبها رماها بالغلط ولا إيه؟

ـ ما أعرفش، بس هتعجب عم محمد أوي.

هم أحمد بحملها لكنه لم يستطع:

ـ دى تقيلة أوي يا جابر، شكلها جواها حاجات كتير.

ثم تابع مبتسمًا ومتحمسًا:

ـ يا رب يكون فيها حاجات غالية زيها!

سبقه جابر ومدّ يده ليفتحها، ليسقط مغشيًا عليه من الصدمة فور رؤيته لمحتوى الحقيبة.

ـ مالك يا جابر؟ فيه إيه؟

لم يرد عليه جابر، ولم ترمش عينه، بل تسمر في مكانه. انتاب أحمد الفضول فاتجه إلى الحقيبة، ليجد جثة امرأة بداخلها، فدوت صرخة عالية، تبتلعها ضوضاء القاهرة. لدي عادة سيئة، أحاول جاهدة منذ طفولتي التخلص منها، وهي التأخير. لا أعلم ما يحدث لي؛ أستيقظ مبكرًا لكي أصل في موعدي، لكني أنشغل بسهولة في أمور تافهة، مثل مراقبة النمل وهو ينقل قطعة من السكر لمدة ساعة، حتى أدرك فجأة أن المتبقي أقل من ربع ساعة على اجتماع مهم للقابة.

ربما يعود ذلك إلى تشخيصي منذ طفولتي باضطراب فرط الحركة،

عندما استدعت مديرة المدرسة أمي لتشعكي لي.

ـ نازلي مش بتعرف تقعد خمس دقايق علَى بعض، ومافيش مُدرسة عارفة تخليها تسكت، ولا بتركز في الفصل خالص.. هي كده بتعطل زمايلها.

لم أكن أستطيع التركيز إلا في المواضيع التي تهمني أو تلفت انتباهي. بالطبع، لم تلفت حشائش السافانا انتباهي، ولم أعبأ بالجذر التربيعي.

كانت المدرسة مكانًا كنيبًا بالنسبة لي؛ لم أكن مميزة بسبب رسوبي في امتحانات الشهر وعلاماتي السيئة. أضف إلى ذلك الدعابات غير اللطيفة التي كان معلميني يطلقونها للسخرية مني:

ـ إيه ده؟ ده نازلي جابت درجة أعلى منك؟ مش عيب عليك؟

ـ إيه ده نازلي ما نسيتش الواجب بتاعها؟ القيامة هتقوم ولا إيه؟

ـ انتِ بس كسولة، شغّلي مخك شوية وهتعرفي تحفظي.

ـ ده نازلي عرفت تحل المسألة وانتو لأ؟!

كانت هذه الإهانات تأتي في هيئة دعابات لزجة.

لكن في الصف الثاني الإعدادي، حدث شيء غير حياتي تمامًا. انضممت إلى فريق الصحافة في المدرسة، وأصبحت مسؤولة عن أخبار اليوم في الإذاعة المدرسية. كنت أتابع الأخبار باهتمام شديد، خاصةً حين تكون هناك جريمة غامضة. أستمتع بمتابعة أحداثها أولًا بأول حتى يتم حلها.

التحقّت بعدها بكلية الإعلام لدراسة الصحافة، إلى جانب الإذاعة والتلفزيون. كنت أرغب في أن أكون مقدمة برامج إخبارية أقدم للناس أخبارًا معيرة للاهتمام بعيدة عن السياسة والاقتصاد.

وفور تخرجي بتقدير امتياز (نعم، لقد تفوقت في دراستي الجامعية بسبب اهتمامي بالمواد التي أدرسها، على عكس مواد المدرسة)، التحقت بإحدى الصحف كمتدربة. هناك، تدربت على كتابة الأخبار والتحقيقات الصحفية. كنت أتفانى في عملي للحصول على الأخبار، حتى أنني كنت أتنكر أحيانًا، كما نرى في الأفلام، لتحقيق سبق صحفي. ذات مرة، تنكرت كبائعة فاكهة للتحقيق في خبر انتشار الفاكهة المحقونة بمواد سامة.

أعجب صاحب الجريدة بعملي وقرر تعييني في الصحيفة بشكل دائم. وبعد عامين من التفاني في كتابة الأخبار وتحقيق السيق الصحفي، شعرت أنني أريد أكثر من ذلك. تحركت نحو هدفي الأساسي: تقديم الأخبار عبر التلفاز.

قدمث على وظيفة معدة ومراسلة في إحدى أكبر القنوات التلفزيونية، وتم قبولي بسهولة؛ لأن سمعتي كصحفية مجتهدة كانت قد ذاعت.

كانت هذه أول خطوة لتحقيق حلمي في أن أصبح مذيعة. والحقيقة أنني أحب عملي بشدة... عملي الذي تأخرت عليه، يا للهول! اعتاد الجميع في العمل رؤيتي وأنا أركض في أروقة الشركة بسبب تأخري عن مواعيدي. بل أصبحوا يفسحون لي الطريق تفاديًا للحوادث، حيث إنني في أول يوم لي ارتطمت بمديرة قسم الصحافة وهي تحمل كوبًا من القهوة الساخنة. كل ما أستطيع قوله إنها تكرهني حتى يومنا هذا... لا أعلم لماذا!

اقتحمت غرفة الاجتماعات صائحة بفرح:

ـ وصلت قبل ميعادي بربع ساعة!

لكنني وجدت الجميع ينظرون إليّ بتعجب. يبدو أنني قاطعت رئيس التحرير وهو يلقي محاضرة مهمة. ولكن لماذا بدأوا مبكرًا؟ ليقاطعني صوته بخيبة أمل:

ـ الاجتماع ميعاده الساعة 8 يا نازلي، مش 9.

ثم نظر إلى ساعة يده وأكمل:

ـ متأخرة 45 دقيقة... اتفضلي يا نازلي، اقعدي.

كتم بعض زملائي ضحكاتهم، بينما أخذت أنا مقعدي المعتاد. لم يوبخني مديري على تأخيري؛ فهو الدكتور طارق شكري، مدير البرنامج ورئيس تحرير صحيفة البرنامج الإلكترونية. رغم خصلتي التي يشتكي منها الجميع، إلا أنه يعلم كم أنا بارعة في عملي. أستطيع أن أنجز في يوم عمل ما لا ينجزه الفريق بأكمله في أسبوع. لذا، يعاملني معاملة خاصة، وربما يدللني بعض الشيء، مما يجعلني غير محبوبة لدى بعض الزملاء.

بعد انتهاء المحاضرة، توجهنا جميعًا إلى أماكننا. جلست في مكتبي الصغير الذي تفصله جدران بلاستيكية صغيرة عن المكاتب المجاورة لي. زينت مكتبي بملصقات تحمل عبارات إيجابية مثل: "افعل شيئا اليوم تشكر نفسك عليه في المستقبل"، و"لا يمكنك أن تربح في الحياة إذا كنت تخسر عقلك... ضع صحتك النفسية أولًا". كما وضعت بجانب حاسوبي صورًا لعائلتي. صورتي المفضلة هي صورة على الشاطئ؛ تجلس أمي على كرسي خشبي ووالدي خلفها يحمل أختي الصغيرة، بينما يحتضن أخي أمي، وأنا بجانبهم أبتسم.

أفاقني من شرودي صوت هانيا، صديقتي المقربة، التي نادتني باللقب الذي لا يستخدمه أحد سواها وعائلتي:

ـ نَانَ بتعملي إيه؟ أنا جعانة! مش هنفطر؟

ابتسمت لهاً. اعتدنا أن نشعر بالجوع فور رؤية بعضنا البعض. كانت هذه عادة منذ صغرنا. هانيا هي صديقة طفولتي؛ تعرفنا في الصف الثالث الابتدائي، ومنذ ذلك الحين لم نفترق. التحقت معي بنفس الكلية، وبعد التخرج عملت في إحدى الصحف المتوسطة.

كنت دائمًا أرى أنها تستحق أكثر من ذلك؛ لذا شجعتها على التقديم في جريدة "أخبار البلد"، وتم قبولها على الفور كما توقعت. كانت سعادتي بقبولها كبيرة لسببين: الأول لأنها تستحق الوظيفة، والثاني لأننا سنعمل معًا ولن تتركني وحيدة في هذا العمل الذي يغلب عليه الرجال.

التفث إليها وقلت:

ـ طيب، استنيني نص ساعة أخلص المقال اللي بكتبه ونروح نفطر. زفرت في عدم صبر، ثم ضحكث وقلت:

ـ خلاص، يلا بينا. ماتزعليش... عايزة ناكل إيه؟

لكن حديثنا قاطعه الدكتور طارق الذي أسرع نحوي وقال:

- نازلي، جهزي نفسك حالًا. في جثة لقوها في حي الزبالين بالمقطم، ولازم نلحق قبل ما الخبر يوصل لبقية القنوات. قبل أن يستكمل جملته، كنت قد استعددت وحملت حقيبتي: ـ يلا بينا، أنا جاهزة!

## الفصل الثاني

### زين

استيقظت على رنين هاتمي.

نظرت خولي مرتبكًا لبضع ثوان، لا أدري أين أنا، حتى بدأت في استيعاب أنني في بيتي الجديد في القاهرة؛ فلم أعتد عليه بعد. نظرت إلى شاشة هاتفي التي أضاءت عتمة الغرفة، ليتوسط الشاشة اسم "شريف". أجبت المكالمة بصوت مبحوح وعينين مغمضتين:

- ألو.

- صباح الفل يا حبيبي... أنا صحيتك ولا إيه؟

تطلعت إلى الوقت ووجدتها التاسعة صباحًا.

- لا عادي يا حبي، ولا يهمك.

- واحشني أوي. أنا آسف إني ماعرفتش أجيلك المطار، انت عارف كنت في مأمورية ولسه راجع.

آسف على إيه بس؟ أنا عارف طبقا. ابقى عدي علي لما تفضى
 أشوفك علشان واحشني جدًا، وبالمرة تشوف بيتي الجديد.

تنحنح قليلًا، ثم قال:

- كنت هطبُ عليك النهارده بالليل، بس طلعتلي قضية سحلانا كلنا... كنت عايز أستنى لما أشوقك بس...

شعرت بتردده، وفهمت سبب اتصاله في تلك الساعة. اعتدلت في جلستي ومسحت وجهي بيدي.

- وأنَّت عايزني أساعدُك في القضية اللي سحلاك، صح؟

ضحك ضحكة مكتومة.

- نسيت إنك بتقرأ أفكاري.

ابتسمت قليلًا، فقد اشتقت له. لم أره منذ أكثر من عام، حتى لم تسنح لي فرصة رؤيته حين عدت من كندا منذ بضعة أيام. أخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

 بص، أنا عارف إنك ما بقيتش حابب تشتغل تاني... بس القضية دي هتبقي قضية رأي عام وكمان كام ساعة هتلف مصر كلها. والصراحة هي قضية غريبة.

عقدت حاجبي وسألته:

- غريبة إزاي؟

- لقينا جثة بنت مشوهة في شنطة سفر مرمية في مقلب زبالة في المقطم. وشها مش واضح له معالم، بس واضح إنها في أوائل العشرينات مافيش أي بصمات على الجثة. الضحية ماتت بسبب خبطة قوية على الرأس، وفي طعنات كتيرة في جسمها واتمثل بجثتها.

أغمضت عيني من بشاعة ما أسمع. لقد رأيت الكثير من الجثث بحكم عملي كطبيب شرعي، لكنني لم أزاول مهنتي منذ أكثر من أربع سنوات.

- مش بس كده. الجثة محفور في بطنها رقم واحد بسكينة.

- رقم؟

- أيوة، ومعاها رسالة.

- مكتوب فيها إيه؟

 مكتوب: "تلك ليست سوى الضحية الأولى. انتظروا المزيد". فاكر نفسه في إم بي سي تو ابن الهبلة! أغمضت عيني وضغطت على جبيني وقلت: - القاتل عايز يلفت الانتباه وقاصد يخليها قضية رأي عام. واضح إنه فعلًا متأثر بالأفلام الأجنبية. الطريقة دي طريقة شخص نرجسي حس بالإهمال فقرر يخلي الكل يهتم بيه بطريقة ما. مش هتبقى فعلًا آخر جريمة ليه للأسف.

ضحك شريف وقال:

- بسم الله ما شاء الله... وحشني الشغل معاك يا عبقري.

ابتسمت رغمًا عني، ليكمل هو:

- أنا محتاجلك معايا يا زين.

هززت رأسي:

- بص يا شريف، أنا معاك. اتصل بيا أي وقت عايز فيه مساعدة، بس مش هقدر أمسك قضية زي زمان. انت عارف... من بعد فري...

لم أستطع نطق اسمها بعد، حتى بعد مرور أكثر من أربع سنوات. تفهم شريف ذلك، فنحن في ذات المركب، وكلانا يتألم. فلم يُعقب، بل تابع حديثه:

- أنا فاهم يا زين، ومش عايز أضغط عليك والله... بس القضية دي مختلفة ومحتاجة شخص مختلف. مش مجرد طبيب شرعي. انت عارف إنك أكتر من كده بكتير بالنسبة لينا. وزي ما انت قلت، الحيوان ده هيقتل أكتر من كده، فعايزين نوقفه قبل ما يروح مننا ناس تانية. هيبقى دم كل ضحية في رقبتنا علشان ما وقفناهوش بسرعة. أنا آسف إني اتصرفت من دماغي، بس أنا طلبت من اللواء محمد عاشور إنك تمسك القضية دي وهو رخب جدًا لما عرف إنك رجعت.

صمتُ لوهلة أفّكر. لا أريد أن أعود إلى ذلك العالم، على الأقل ليس الآن. ولكن شريف نادرًا ما يُلح عليّ، لذا فهمت أنه بالفعل يحتاجني.

- ماشي يا شريف. ابعتلي اللوكيشن، وأنا هلبس وآجي.

### الفصل الثالث

نازلي

لا أخبر أحدًا بدلك حتى لا يظنونني مختلَّة، لكن تلك الأجواء تحمّسني... جريمة جديدة مثيرة للاهتمام، مختلفة عن أي قضية شهدتها أو عملت عليها. عندما أتولَّى قضية مثيرة للاهتمام، أصبح في أقصى نشاطي. حتى إنني لا أتأخّر عن مواعيدي كعادتي، بل أحضّر مبكرًا. بالطبع، لست سعيدةً بأن هناك إمرأة فقدت حياتها بتّلك الطريقة الشنيعة، لكن تلك التفاصيل البشعة أعطّتني دافقا أُكبّر لأعمل بكلّ ما أوتيت من قوّة حتى نصل إلى مرتكبها؛ هذا السايكوباتي المغرور الذي

لكن هناك مشكلة تعرقل عملي دائمًا، وهي أن رجال الأمن يكرهون الصحافة. يرون أننا نُعطَل عملُهم وفي بعض الأحيان نفسده. أتفق معهم؛ فهناك صحفيون لا يهمُهم سوى السبق الصحفي، الذي يهمُني بالطبع، ولكنني عشقت عملي لأنه يشعرني بأنني قادرة على صنع فارق في هذا العالم، ومساعدة الناس، ونشر الحقيقة. لذا، أحيانًا (أو دائمًا) أتدُّخَل قليلًا في القضايا وأحاول أن أساعد في حلّها. بالطبع، الشّرطة لا تقدّر مساعدتي، رغم أنني في بعض الأحيان أسبقهم في الحل وأبلّغهم على الفور، وأدَّعهم ينسبون الفضل الأنفسهم، وأكتفي أنا فقط بالسبق الصحفيُّ. بل أيضًا أحرص تمامًا على ألَّا أنشر أي تفاصيل سرية دون استئذانً، فقط أدونها وأنشرها حين تُغلّق القضيّة. لذا، لا أعلم لماذا يستاؤون من تدخّلاتي.

فيما عدا شرطي واحد. أصبحنا أنّا وهو أصدقاء على مر السنين. ليس لديه ذلك الكبر الّذي يجعله يحقر من اجتهادات الآخرين. وحين وثق أنني لا أشكّل خطرًا على عملهم بل أساعد فيه، أصبح يستعين بي في بعض الأحيان لتوثيق تفاصيل القضايا. وأستعين به أنَّا أيضًا كثيرًا حينَّ تواجهني مشاكل أثناء عملي.

ذلك الشرطي هو المقدّم شريف الشيشتاوي، أحد أكفأ ضباط المباحث. رغم أن والده كان اللواء أحمد الشيشتاوي، إلا أن شريف لم يتميز بسبب ذلك، بل تميز ببراعته رغم صغر سئه. لم يتولُّ قضية إلا وحلَّها. ذاع صيته بسبب اقتران اسمه بحلِّ قضايا كبيرة. يحترمه الجميع، ليس فقط بسبب كفاءته، بل بسبب تواضعه واحترامه لغيره. وأكبر دليل على ذلك، أنه لم يقلِّل من دوري وآمن بي. حتى إنه لا يتردد حين أطلب منه المساعدة.

فور تفكيري به، رأيته يترجل من سيارته التي صفّها أمام مسرح الجريمة بجوآر سيارتي وسيارات رجال الأمن وقنوات الأخبار. ابتسم حين رآني مثكنة على بّاب سيارتي.

- صباح الفل يا نازلي. رَدِدِثُ لِهِ الابتسامة:

- صباح الفل يا شريف باشا.

فأنا لا أناديه باسمه دون لقب وهو يعمل.

شريف محبوب بين النساء بسبب وسامته. بالطبع، لا أنظر إليه بتلك

الطريقة؛ فأنا أراه كأخ كبير. كما أنني ليس لدي وقت للتفكير في الحب والمشاعر والارتباط والبكاء حين يتوقف حبيبي عن الرد لمدة ساعة. كل ما أهتم به الآن هو عملي. ولكن لا يمنع ذلك أنني أتفق معهن على

كونه وسيمًا. فهو طويل، ذو جسد عريض. حتى قميصه لم يستطع

إخفاء عضلاته. ورغم قوة جسده، إلا أن ملامحه لطيفة. شعره أصفر، ليس ناعمًا، لكنه يبقيه دائمًا قصيرًا. عيناه زرقاوان. والأهم أن وجهه مريح؛ يجعلك تشعر على الفور أنه صديق قديم يمكنك أن تثق به.

نظر حوله في استياء إلى سيارات القنوات التلفزيونية وإلى المجموعة الكبيرة من المواطنين المتجمّعين حول الشريط الأصفر الذي وضع حول مسرح الجريمة لمنعهم من الدخول. الجميع يشعر بحماس، وكأنهم يشاهدون فيلمًا سينمائيًا. حتى الأطفال يلهون ويضحكون، وبعضهم أحضر طعامًا، وكأن لا جثة هنا على بُعد أمتار.

- الدنيا زحمة أوي هنا... القضية دي مش هتعدي على خير، الدنيا مقلوبة من الصبح.

هززت رأسي متفقة مع كلامه، ثم تساءلت:

- فكرك القاتل هيقتل تاني فعلًا؟ ولا كلام؟

هزّ کتفیه:

- مش عارف الصراحة، بس حاسس إنه ممكن فعلًا يعملها. علشان كده علينا ضغط من كل مكان إننا نلاقيه في أقرب وقت.
  - طیب، مش هتدخل جوّه؟

- لا، مستني حد... زمانه داخل علينا.

لم يمضِ سوى بضع دقائق كنّا نتحدث فيها عن القضية، حتى توقّفت سيارة سوداء بجانبنا. اتجه شريف نحوها على الفور بحماس لم أفهمه. ترجل منها رجل طويل، يرتدي ملابس سودااء ونظارة شمسية. فور نزوله من السيارة، عانقه شريف عناقًا حارًا. يبدو أن صداقتهما قوية، ومن مذة العناق التي طالت، أنهما لم يلتقيا منذ فترة طويلة.

فور افتراقهما، نظرا إلى بعضهما البعض نظرة كادت تُلمح فيها بعض الدموع، لكنهما مسحا وجهيهما على الفور.

- وحشتني يا شريف أوي.

قالها الرجل الذي لا أعرف اسمه بعد، بلهجة امتزج بها الحزن مع الفرح. تلاقت أعيننا لثوانٍ معدودة، لكنها كانت كافية لتحمرَ وجنتاي. لأنه، بلا مبالغة، يكاد يكوّن أوسم رجل رأته عيناي. طويل، ذو جسّد ممشوق، ليس لديه عضلات ضخمة مثل شريف، لكّن عضلاته معتدلة الحجم (نوعي المفضل). ملامحه رجولية ومتناسقة، كأنها تابعة لتمثال إغريقي. لديه شعر بني ناعم وقصير. لم أستطع رؤية لون عينيه جيدًا من بعيد، لكنني أعتقد أنها عسلية. شفاهه متوسطة الحجم، ولديه نظرة لا أستطيع شرحها... نظرة تشعرك أنه يفهمك دون أن تتكلّم.

انتبه لي شريف، فأشار نحوي:

- زين، أعرفك نازلي، مراسلة وصحفية في قناة أخبار البلد وصديقة

ثم أشار لي نحو شريف:

- نازلي، أعرفك بزين، أشطر طبيب شرعي في مصر، وأكثر من أخويا. هزّ لي زين رأسه وابتسم ابتسامة لبقّة. بدا عليه عدم الاهتمام بالتعزف علي، لكنني رغم ذلك رددت له الابتسامة.

اتجهنا إلى مسرح الجريمة. اعترض بعض رجال الأمن على وجودي، لكن شريف أخبرهم أنني معه، فسمحوا لي بالدخول على الفور. مجرَّد وجود الشخص بجانب شريف يفتح له جميع الأبواب.

اتجه زين إلى مكان الجثة. لم يتكلم، بل اقترب وأخذ ينظر بتركيز وصمت. تصرفاته مثيرة للاهتمام؛ فهو يتحرك برشاقة، ويراقب كل التفاصيل باهتمام شديد. يشعرك، من شدة تركيزه، أنه لا يشعر بوجود

12 / ١٥٠ العصل البائدة لالا

أي شخص حوله سوى الجثة ومسرح الجريمة. كان شريف ورجال الشرطة يتطلّعون إليه بترقب شديد. شعرت أن الجميع يحترمه، يشاهدون خبيرًا يفكك قنبلة. لم يوجّه له أحد الحديث؛ الجميع يحترم صمته.

انتهى من تفحص الجثة ثم قال دون أن يرفع عينيه عنها:

- في فرق كذا ساعة بين خبطة راسها وبين الطعنات اللي في جسمها؛ علشان الدم اللي نزل من الجرح اللي في رأسها نشف أسرع من باقي الجروح. دي مش جريمة عشق أو انتقام، مع إن الطعنات الكتير بتقول غير كده، بس هو أخد وقته في طعنها يعني ماكنش متعصب أو ده حصل في وقت انفعال. كل ده مجرد استعراض علشان الناس تتكلم عليه. القاتل أشول، وده باين من الطعنات والطريقة اللي راسم بيها رقم واحد على بطنها.

ثم التفت إلينا وقال:

- وهيقتل تأني بسرعة علشان يأكد للناس إنه مش بيقول أي كلام. نظر الجميع إلى بعضهم البعض في توتر. تفهّمث الآن لماذا يُعجبون به؛ فطريقة تحليله لمسرح الجريمة كانت مثيرة للاهتمام. لديه قوة ملاحظة استثنائية، لكنني لاحظت أن طريقته تختلف عن أفراد الطب الشرعي. همست إلى شريف:

- هو طبيب شرعي ولا ضابط مباحث؟

اقترب شريف وهمس في أذني:

- من ده على ده... زين طبيب شرعي ومحقق.

- محقق يعني إيه؟ زي بتوع الأفلام كده؟ أوماً برأسه قائلًا:

- حاجة زي كده.

زادت حيرتي بسبب إجابته، لكنني هززت رأسي وكأنني فهمت. وعند انتهائهم من معاينة مسرح الجريمة، نُقلت الجثة إلى المشرحة لفحصها بدقة أكبر من قبل الطب الشرعي.

عدث إلى منزلي ليلًا بعد يوم مرهق مليء بالأحداث. أصبحت رائحة ملابسي كأنها منبعثة من مقلب نفايات، وكل ما أريده الآن هو حمام ساخن طعام من صنع يد زوزو (والدتي)، وفراشي الدافئ.

فور دخولي المنزل، شممث رائحة كيكة البرتقال التي تشتهر بها والدتي. صرخت معدتي وكأنها تحتفل، فلم يدخلها شيء منذ الصباح سوى أكواب من القهوة وقطعتين من البسكويت أكلتهما حين شعرت أنني قد يُغشى علي من قلة الطعام.

- نازليا انتِ جيتِ؟

جاء صوت أمي من داخل غرفتها:

- آه يا حبيبتي، جيالك.

خلعت حذائي حتى لا تقتلني أمي إذا دسث سجادتها الثمينة بحذائي الذي غاص في القمامة طوال اليوم. توجهث إلى غرفتها وطرقت الباب، ثم فتحته قبل أن تسمح لي بالدخول. وجدتها كعادتها في مقعدها المفضل ممسكة بهاتفها تتصفح فيديوهات التيك توك كالمراهقين بالساعات. نظرت إلى من فوق نظارتها.

- اتأخرتِ ليه كده يا ناز؟

- الدنيا مقلوبة يا ماما، كويس إني لحقت أروح أصلًا.

- آه، التيك توك كله فيديوهات عن اللي حصل.

ثم نظرت إليّ بفخر:

 - دول كمان منزلين فيديوهات ليكِ من الحلقة، وبيقولوا عليكِ في الكومنتات إنك مزة.

ضحكت عاليا:

- يا ماما، هما في إيه ولا إيه؟

- شوفتِ لما سمعتِ كلامي وسيبتِ شعرك طالع شكلك أحلى إزاي؟

- ماشي يا زوزو يا عسل إنتِ.

قلتُ لها وأنا أقبَلها وأداعبها، فضحكت بخجل:

- مش هتاكلي طيب؟ عاملة لك ورق عنب ومحمرالك الفرخة، سخنيهم بس في الميكروويف.

ثم صمتت قليلًا وقالت:

- إيه الربحة المعفنة دي يا ناز؟ معقول دي ريحتك؟

- يا ماما، أنا طول اليوم في مقلب الزبالة، عايزة ريحتي تبقى عاملة إزاي؟

- يع يا نازلي... روحي استحمي بسرعة.

- حاضريا ماما... هاتي حضن طيب.

دفعتني ضاحكة، لكنني عانقتها بقوة:

- امشي يا بنت، ابعدي عني، ريحتك وحشة.

أخذت حمامًا طويلًا، غُسلتُ فيه جسدي وشعري أكثر من خمس مرات حتى تخلصت من رائحة القمامة. خرجت من الحمام وارتديت بيجامة غير متناسقة لكنها مريحة، وذلك هو الأهم (لا أستطيع إقناع أمي بتلك النظرية).

لم أكن جائعة، لكنني لم أستطع مقاومة ورق العنب الذي أعدته أمي. أكلت طبقي ثم ارتميت على فراشي. شعرت بكل عضلات جسدي تؤلمني، لكن فور وضعي رأسي على وسادتي استسلمت لنوم عميق من شدة التعب.

لا أعلم كم مر من الوقت وأنا نائمة، لكنني استيقظت على صوت رئين هاتفي. حاولت أن أتحرك، لكن جسدي لم يستجب لي من شدة الإرهاق، فلم أكن أقوى حتى على فتح عيني. ظل المتصل يتصل بي أكثر من ثلاث مرات. حركت يدي باحثة عن هاتفي تحت الوسادات المبعثرة على الفراش، حتى لمست شيئا معدنيًا فعلمت أنني وصلت إلى هدفي.

نظرت إلى الشاشة بعين مغلقة وأخرى مفتوحة، لكن فور رؤيتي لاسم المتصل وللوقت اتسعت عيناي في قلق واعتدلت في جلستي فورًا. كان المتصل دكتور طارق. نعم، من الطبيعي أن يتصل بي، لكن ليس في الثالثة بعد منتصف الليل. لا يحدث ذلك إلا عندما يكون هناك خبر شديد الأهمية.

- ألو؟

أتاني صوت دكتور طارق:

- أيوة يا نازلي... آسف يا بنتي إني صحيتك في الوقت ده.

- لا طبعًا يا دكتور، مافيش أي مشكلة ... خير؟ حصل حاجة؟

- آه.

صمت قليلًا، ثم تابع:

- البوليس لقى جثة تانية من ساعة.

شهقت شهقة حاولت أن أكتمها. سألت للتأكيد:

- نفس القاتل بتاع النهارده؟

هو... والمرة دي لقوا الجثة في مركب صغيرة في النيل.
 قمت من فراشي على الفور:

- ابعتلي اللوكيشن، ومسافة السكة هكون عندك.

ارتديت أول شيء وجدته في خزانتي: بنطال جينز وقميص قطني أبيض. انتهيت من ارتداء خذائي أمام المصعد بعجل. علي أن أصل إلى مسرخ الجريمة لتغطية الخبر قبل أن تصل أي قناة أخرى. بعثت رسالة صوتية إلى أمي وأنا أقود السيارة إلى الموقع الذي بعثه إلي دكتور طارق:

- ماما، ماتقلقيش لو صحيت مالقتنيش في البيت. أنا نزلت مستعجلة علشان جالي شغل. كلميني لما تصحي أطمنك عليا.

كانت الشوارع هادئة وخالية من البشر نظرًا لأن الوقت لم يتعدّ العالثة صباحًا، لذا وصلت إلى مسرح الجريمة في أقل من ربع ساعة. وجدت سيارات الشرطة، فعلمت أنني وصلت إلى المكان الصحيح.

# الفصل الرابع

زين

ظننث حين عدث إلى مصر أنني سأنقم بحياة هادئة بعيدة عن الجرائم والجثث. لم أكن أعلم أنه في أقل من أسبوع سأكون على النيل أمام جثة امرأة قُتِلت بأبشع الطرق.

استيقظت اليوم على مكالمة من شريف.

- زين، محتاجك ضروري، لقينا جثة جديدة من نفس القاتل.

تساءلث بصوت متعب:

- سايب رسالة؟

صمت قليلًا ثم قال:

- آه.. الرسالة المرة دي مختلفة يا زين.. مش عارف أقولك إزاي. عقدتُ حاجبى:

- يعني إيه؟ مش فاهم حاجة.

- المرة دي كاتب "انتظروا الأسبوع القادم الجثة الثالثة". ترابا عن

تساءلث:

- طيب إيه الغريب في كده؟ دي طريقته في لفت الانتباه زي الجريمة الأولى.

تنحنح مصدرًا صوتًا من حلقه:

- في تكملة يا زين للرسالة دي.. مكتوب "إذا أردتم الوصول إليّ سريغا.. استعينوا بدكتور زين محمد القاضي.. أبلغوه تحياتي".

تجمُّد الدم في عروقي، وحين لم أجب، قال شريف:

- هبعتلك اللوكيشن يا زين، مستنيك.

ارتديث ملابسي في عجل، وتوجهث بسرعة خارقة إلى مسرح الجريمة. وقفث أمام جثة فتاة عشرينية، غثر عليها من قبل أحد الصيادين في مركب صغيرة طافية على مياه النيل، بالقرب من الشاطئ.

نظر إليُّ الجميع في ترقب فور اقترابي من الجثة. اعتدتُ هذا النوع من الاهتمام حين أبدأ في تحليل مسرح جريمة، إلا أن اليوم كان الاهتمام مضاعفًا، لأن الجميع في مسرح الجريمة قد علم بشأن الرسالة التي لا أفهمها حتى الآن. لماذا وجهها لي أنا بالأخص؟ أشعر دائمًا أن لدي إجابات لكل الأسئلة، لكن هذه المرة عجزتُ عن إجابة هذا السؤال.

يتوقع الجميع مني أن أبدأ في إبداء ملاحظاتي بصوتٍ عال، يشعرون بالحماس كأنهم يشاهدون أحد أفلام هوليود حين يكشف المحقق ملابسات الجريمة. لذا لم أرد أن أخيب أملهم، وبدأتُ أبدي ملاحظاتي.

أشرث نحو الجثة:

- الجثة ما قتلتش في المركب، تم قتلها في موقع تاني وبعدين اتنقلت في المركب. مافيش أثر لمقاومة يعني القاتل خدرها أولًا وبعدين بدأ في قتلها بنفس الطريقة اللي قتل بيها الضحية الأولى. تم تشويه ملامحها علشان يصعب علينا كشف هوية الضحية. المركب أكيد مسروقة. المجني عليها توفت من كام ساعة على عكس الجثة الأولى اللي كانت متوفية قبليها بيوم أو اثنين.

هز شريف رأسه مؤيدًا لحديثي:

 - فعلًا تقرير الطب الشرعي طلّع من كام ساعة إن الجثة الأولى توفت قبل العثور عليها بيومين.

أومأث برأسي ثم تابعث:

- المرة دي كأن عايز يثبت لنا إنه مش بيهوش وإنه فعلًا هيقتل، علشان كده مافيش فرق وقت كبير بين الجريمتين على عكس المهلة اللي عطاها لنا المرة دي في الرسالة، أسبوع علشان الناس تكون اهتمت أكتر ويكونوا مترقبين وخايفين طول الأسبوع. والنوع ده من الاهتمام هو هدفه من الأول.

تفحصت الجئة باهتمام ثم أكملت:

- المشترك ما بين الجثتين إن الاثنين كانوا مهتمين بشكلهم بشكل كبير، ظوافر طويلة لونها فاقع، ولون الشعر. واضح إن شغلهم ليه علاقة بالشكل، بس المبالغة في الألوان والنوع الردئ من الإكستنشن واضح إن نوع الشغل...

تنحنحتُ في إحراج، فأكمل شريف:

- قصدك إنهم ممكن يكونوا فتيات ليل؟

هززت رأسي موافقًا:

- ممكن، احتمال.

وجه شريف حديثه لبقية الضباط والعساكر:

- عايزين ننتشر في كل ملهى ليلي وأماكن تواجد النوع ده من الستات ونسألهم لو في بنات من عندهم بدأوا يختفوا.

اقتربت مني أنثى، أدركت أنها الصحفية والمراسلة التي رأيتها في البرنامج وفي مسرح الجريمة الأولى. في العادة، لا أنسى الأشخاص أبدًا، ولكن تلك الفتاة تحديدًا لا يستطيع أحد أن ينساها حين يراها. حيث إنها ستترك لديك انطباعًا قويًا. تتحرك كثيرًا، تتحدث بحماس، لديها طاقة إيجابية معدية. أستطيع أيضًا أن أقول إنها جميلة بشكل يلفت الأنظار دون أن تتعمد ذلك، لكنني لا أنظر لها بتلك الطريقة. نعم، أعترف أنها جذابة، ولكنها لم تؤثر بي.

نازلي

من هو هذا الزين الذي ظهر فجأة وأصبح الجميع يتحدث عنه؟ يبدو كشخصية غامضة، لا يتحدث كثيرًا إلا حين يبدأ في سرد التفاصيل التي لاحظها في موقع الجريمة. في تلك الحالة يتحدث كثيرًا بتركيز وشغف، تلمع عيناه حين يرى دليلًا، وأيضًا يلاحظ أشياء لا يلاحظها غيره، وهذا أمر مثير للإعجاب. ولكن حين ينتهي يعود إلى طبيعته الهادئة، لا تظهر عليه أي مشاعر. لا أستطيع فهمه. يبدو أن الضباط جميعهم يحترمونه كثيرًا، الجميع يعامله معاملة خاصة كأنه شخصية مشهورة. لم يتسن لي الوقت للبحث عنه على الإنترنت، وأيضًا لم أكن أعرف اسمه الكامل. الآن، الجميع صار يعرفه بسبب تلك الرسالة التي أعرف اسمه الكامل. الآن، الجميع على الأخص الذي ذكره القاتل في رسالته؟

ً بحثت عن شريف لعله يجيب عن أسئلتي. وجدته خلفي فتوجهت إليه وهمست حتى لا يسمعنا أحد:

- شريف، ممكن أسألك حاجة؟

ابتسم لى ابتسامته اللطيفة.

- أكيد.

- هو مين زين ده؟ ظهر إمتى وليه نفوذه أكتر من أي طبيب شرعي قابلته؟ وإيه علاقته بالقاتل؟ هل هو شريك؟

ضحك شريف,

- شريك إيه بس؟ زين دكتور وبيشتغل في الطب الشرعي، لكن هو أكتر من كده زي ما لاحظتِ.

ابتسم ثم تابع:

- مش عارف أشرحلك إزاي، بس زين عبقري. ساعدنا في حل جرائم كتير قوي لدرجة إننا بقينا نعتبره محقق مش بس دكتور. بيلاحظ حاجات ما حدش بيلاحظها. بيعرف يقرأ الناس. بصي، مهما أشرحلك لازم تشوفي بعينك علشان تفهمي. اللي شوفتيه اليومين دول ولا حاجة، ده لسه بيسخن.

هززت رأسي واستدرت باحثة بعيني عن دكتور زين، لأجده متجهًا نحونا لا أدري لمَ، لكنني شعرت بالإحراج حينما اقترب منا، فرحبت به.

- صباح الخير دكتور زين.

- صباح النور أستاذة نازلي.

يتذكر اسمي؟ لا أعلم لما أشعر بفخر كأني في الصف الأول الابتدائي وقد ذكرت معلمتي للتو اسمي في مثال. نظر إلى شريف قائلًا:

- شريف، عايزك بعد إذنك في حاجة.

نظرت إليه منتظرة أن يكمل حديثه، لكنه رمقني في صمت، ففهمت في الحال أنه يريد أن يتحدث إلى شريف منفردًا. شعرت بالإحراج وبحرارة في وجنتي رغم برودة الجو. أيضًا ندمت لأنني في استعجالي نسيت ارتداء معطف، وكأن جسدي قد أدرك ذلك للتو، فأصابتني رعشة خفيفة.

- طيب أستأذن أنا.

تركتهما يتحدثان واتجهت إلى دكتور طارق:

- دکتور، مش هنطلع هوا؟

هز راسه.

- مش هنقدر نطلع هوا دلوقتي، بس هنصور تقرير وننزله على صفحة

القناة. جاهزة؟

- آه، أكيد. يلا بينا.

بدأت في تصوير تقرير عن الواقعة، ثم انشغلت في كتابة الخبر لكي أنشره على صحيفة القناة. اقترب مني شريف ممسكًا بمعطفه.

- خدي يا نازلي، شكلك سقعانة.

مديدة إليّ، شعرت بقلبي يخفق كالمراهقين. أدركت لم يحرص مؤلفو الأفلام الرومانسية على ضم هذا المشهد دائمًا في أعمالهم. أخذته في خحا..

- شكرًا بجديا شريف.

قال مبتسمًا:

- على إيه؟

ناداه أحد العساكر فتوجه إليه. بعد ساعة انتهيت من عملي وهممت بالرحيل. خلعت المعطف وتوجهت إلى شريف الذي يقف وسط فريقه من الضباط والعساكر.

- شريف بيه، أنا خلصت وماشيه.

ابتسم لي.

- تمام، طّيب ابقي اتصلي بيا لو عايزة تكملّي كلام.

أنا آسف إن زين قاطعنا.

- لا، طبعًا. آسفة على إيه؟

مددت له الجاكيت.

- شكرًا أوي على الجاكيت. أنا خلاص مروحة وهركب العربية فمش حتاجاه.

- على إيه بس.. طيب ممكن ترجعيه لزين لو مش محتاجاه؟ هتلاقيه واقف عند عربيته علشان أنا شكلي مطؤل هنا.

عقدت حاجبي.

- زين؟

أوماً براسه.

- آه، الجاكيت بتاعه. أخد باله إنك سقعانة فقالي أديهولك.

زين؟ أهتم بي ولاحظ أنني أرتعش؟ كيف وهو لا ينظر إليّ سوى خمس ثوان إذا إضطر لذلك؟ أيضًا لم أتوقع من مظهره البارد أنه شخصية لطيفة لتلك الدرجة، إذ خفق قلبي حين أعطاني شريف المعطف، فالآن يخفق عشرة أضعاف. تنحنحت ثم قلت:

- طيب تمام، هرجعه له.. باي باي.

توجهت إلى سيارته في المكّان الذي أخبرني به شريف. كانت بالقرب من سيارتي. وجدت زين داخلها يعمل على حاسوبه. طرقت نافذته في خجل. حين فتحها لي فقدت القدرة على تكوين جملة كاملة من شدة التوتر.

- أنًا.. أنا آسفة إلَي قاطعتك.. أنا.. .

نظر إليّ في صمت فزاد توتري، حتى وقعت عيني على شارة معلقة في المرأة الخلفية لسيارته، فقلت في حماس:

- إيه ده؟ دي علامة جامعة "تورنتو"، انت درست في كندا؟ نظر إلى الشارة ثم إلي في استغراب ثم أوماً برأسه.

- آه، عملت دکتوراه هناك.

قلت في حماس:

- واو.. أنا أخويا بيدرس هناك دلوقتي.. اسمه أحمد.. بس بيدرس

Computer Science. هو ذكي أوي من وهو صغير. ماكنتش عايزاه يسافر، هو زي ابني بحبه أوي ومتعلقة بيه، بس جاله منحة في الجامعة هناك، متخيل؟ فطبعًا شجعته يروح، بس كندا ساقعة أوي، روحت له مرة و...

أدركت أنني أتحدث كثيرًا دون أن أشعر كعادتي حين أتوتر، بينما لا يزال هو صامتًا، يا للإحراج! لا بد أنه يراني كالمجنونة. قلت في توتر: - آسفة، أنا بسرح في الكلام.. كنت جاية أقولك شكرًا على الجاكيت.

اسفة، انا بسرح في الكلام.. كنت جاية اقولك شكرًا على الجاكيت.
 مددته إليه، وحين لم يأخذه وضعته على نافذته المفتوحة، ثم لؤحت له:

- باي باي، اتشرفت بمعرفتك.

استدَّرتُّ وتوجهت إلى سيارتي. أغمضت عيني متألمة من الإحرَاج. سيطاردني هذا الموقف لشهور وربما سنوات.

- نازلی!

سمعت صوته يناديني. وقفت في مكاني، لم ألتفت إليه، ولكن حين ناداني مرة أخرى التفتُّ، وجدته قد اقترب مني وفي يده المعطف.

- خَلَي الجاكيت معاكِ، هتبردي وأنا كده كده مش محتاجه، ده زيادة معايا.

صمت لبضع ثواني، لا أفهمه. ظننت حين رأيته للوهلة الأولى أنه مغرور، ثم غيرت رأيي حين أعطاني المعطف، واقتنعت أنه إنسان لطيف. ثم عدت إلى موقفي الأول حين أحرجني عند سيارته، والآن لم أعد أعرف ماذا أظن. مده إلي، ترددت قليلًا قبل أن آخذه. قلت في خجل:

- ش... شكرًا.

ليهز لي رأسه.

العفو.

نظر إليّ كأنه يريد أن يخبرني بشيء، لكنه غير رأيه.

- مع السلامة يا نازلي. أنا كمان اتشرفت بمعرفتك.

ابتسم لي ابتسامة لبقة ثم استدار ورحل. تسمرت في مكاني. لم أشعر بتلك الحيرة من قبل، لكنني استسلمت وعدت إلى سيارتي.

عدث إلى منزلي ولم أنم سوى ساعتين قبل أن تأتيني مكالمة من القناة تُخبرني أن هناك اجتماعًا عاجلًا. عندما يكون هناك جريمة كبيرة، أصبح نشيطة وأصل إلى العمل في ميعادي وربما قبله على عكس طبيعتي. فأنا أعمل بطريقة أفضل تحت الضغط، كما أن طبيبي قد أخبرني أنه بسبب فرط الحركة أكون شاردة عندما أعمل على شيء ممل، بينما أصبح نشيطة للغاية إذا أثار الأمر اهتمامي. قابلت هانيا عند باب الشركة وعانقتني.

- نان وحشتينيا

- وانتِ كمان يا هانون.

قالت بفخر:

- انتِ عاملة شغل جامد بجد، كل الناس بيتكلموا عنك.

ضحكت قائلة:

- ماما بتقولي إن كل ده حصل علشان سيبت شعري زي ما هي قالت لي.

تضحكت هانيا ضحكتها العالية التي اشتهرت بها وأحبها كثيرًا. التفت إليها الجميع لكنها لم تبالي. دلفنا إلى غرفة الاجتماعات، حضر معظم الفريق، لكن دكتور طارق لم يحضر بعد. أخذنا مقاعدنا وانتظرناه. لم يمر أكثر من خمس دقائق، ووجدناه يدخل إلى الغرفة في عجل.

- آسف على التأخير يا شباب، بس تقرير الطب الشرعي لسه طالع

فاستلمته وجيت.

نظرنا إليه في فضول ننتظر أن يخبرنا بفحوى التقرير بفارغ الصبر

- الضحية مش أكبر من 15 سنة.

شهقنا جميعًا شهقة مسموعة. إنها صغيرة للغاية.

- وزي ما حللوا في مسرح الجريمة، سبب الوفاة طعنات كثيرة بسكين حاد تحديدًا 22 طعنة زي الضحية الأولى. والضحية كانت مخدرة تمامًا ساعتها، محفور برضه على بطنها رقم، المرة ديه رقم 2.

أغمضت عيني في ألم. تعتبر الضحية طفلة، ذكرتني بأختي حلا، التي توفيت وهي في عمر التاسعة بسبب حادث أليم. لا يفارقني صوتها ودلالها. كنت أعتبرها ابنتي بسبب فارق العمر الكبير بيننا. لو كانت حية، كانت ستكون في عمر تلك الفتاة التي قُتلت. تخيلتها في مكانها، فلتت مني دمعة ومسحتها بسرعة.

أكمل دكتور طارق:

- الموضوع بقى يهم كل شخص، الناس كلها مش بتتكلم غير عن السفاح ده، مسمينه "سفاح الأرقام" علشان بيرقم ضحاياه. وفيه حالة ذعر كبيرة، الكل خايف ينزل بناته بالليل. محتاجين نغطي أحداث القضية أول بأول قبل أي قناة أو أي جريدة. إحنا الحمد لله كل سبق صحفي من عندنا، والقنوات بتاخد الأخبار مننا. والناس بتفتح القناة كل شوية مستنية أي تطورات. وعلى السوشيال ميديا، كل الفيديوهات طالعة "تريند".

ثم ابتسم في فخر:

- عاش يا شبّاب، ومحتاجين نركز أكثر. الفترة دي مافيهاش إجازات ونوم. عايزكم 24 ساعة مستعدين.

فور خروجي من غرفة الاجتماعات، أخرجت هاتفي وبحثت عن اسم شريف ثم اتصلت به. بعد بضع رنات سمعت صوته.

- نازلي عاملة إيه؟

- الحمد لله يا شريف، انت عامل إيه؟

زفر ثم قال:

- أهو شغال على القضية.

بلعت لعابي ثم قلت:

- سمعت إن نتيجة الطب الشرعي طلعت... البنت صغيرة أوي.

- ده حقيقي ... مش أكتر من 15 أو 16 سنة، بس مش عارفين نتعرف عليها لسه.

- طيب، هو انت في المكتب؟

- أيوه، لسه واصل.

نهضت من مكاني وتساءلت:

- طيب ينفع أجيلك دلوقتي؟

- ماشي تمام، مفيش مشكلة. مستنيك.

### الفصل الخامس

### زين

لم أتمكن من النوم من كثرة التفكير. لماذا أنا؟ ومن أين يعرفني القاتل؟ وكيف يهتم بالتفاصيل لتلك الدرجة؟ لا يوجد أي دليل في مسرح الجريمة، لا بصمات، ولا حمض نووي، ولا أي شيء غفل عنه. لم أشعر بالعجز أمام جريمة لتلك الدرجة من قبل.

سبقتُ شريف إلى مكتبه، أخذت أراجع كافة تفاصيل الجريمة عشرات المرات. أريد دليلًا واحدًا، دليلًا واحدًا فقط يكفيني، لكن النتيجة كانت

صفرًا، لا شيء.

في كل الأُحوال، أنا لا أومن بالجريمة الكاملة، لا بد أنه سيخطئ عن قريب، ولكن لكي يخطئ يجب عليه أن يرتكب جريمة أخرى، ولا أتمنى حدوث ذلك. أفقت من شرودي على صوت شريف.

دخل شريف المكتب ليخلع معطفه على الفور ويرتمي على الكرسي. يبدو عليه الإجهاد. لا بد أنه لم ينم منذ اكتشافهم للجثة الأولى. حين وجدني أراجع ملفات الجريمة، أشار نحوها وقال:

- وصلت لحاجة جديدة؟

هززت رأسي ثم قلت:

- لا، لسه.

تنهد وقال:

- عامةً، نظريتك في إنهم بيشتغلوا فتيات ليل مقنعة، بدليل إن الضحايا ما فيش أي حد من أهلهم دور عليهم. مافيش أي بلاغات باختفائهم وده غريب!

أومأت برأسي:

ممكن يكون بيستهدف ضحايا من النوع ده علشان عارف إن
 في معظم الحالات البنات اللي بتشتغل الشغل ده أهلهم بيكونوا
 مقاطعينهم، فهيتأخروا لغاية ما يلاحظوا غيابهم.

قاطع حديثنا شخص طرق الباب، ليدخل عسكري فور أن أعطاه شريف الإذن. قال بلهجة رسمية:

- شريف بيه، أستاذة نازلي الصحفية برة بتقول إن حضرتك مستنيها.
 أومأ شريف برأسه:

- آه، دخلها يا عبده.

نازلي مجددًا؟ أفهم من لغة جسده أنه معجب بها، لكنها صحفية، كيف يثق بها لتلك الدرجة؟ ضباط المباحث يتجنبونهم دائمًا لأنهم يعطلون عملهم ويسربون أخبارًا سرية قد تخرّب القضية بأكملها، لكن يبدو أن إعجابه بها جعله لا يفكر بطريقة سليمة على غير عادته.

دخلت نازلي، وارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة. ليست تلك المرة الأولى التي أراها تبتسم، هناك شيء في تلك الابتسامة يعلق في ذاكرتك كالعلكة التي ترفض ترك حذائك مهما حاولت جاهدًا التخلص منها.

- صباح الخير شريف بيه.

- صباح الفل يا نازلي، اتفضلي.

ارتبكت عندما رأتني واختفت ابتسامتها، مما جعلني أشعر بالراحة لأنني أفقد تركيزي حين أراقبها. قالت لي بلهجة رسمية:

- صباح الخير دكتور زين.

هززت لها رأسي بابتسامة لم تصل إلى أذني، مما جعلها تدير وجهها نبي.

- أنا آسفة، أنا عارفة إنك مشغول جدًا والله يا شريف، بس كنت

عايزاك في حاجة مهمة.

شَريف؟ الآن تخاطبه دون رسميات؟ يبدؤ أن علاقتهما أقرب مما كنت أظن.

- لا، ولا يهمك طبعًا بالعكس منورة المكتب، قوليلي محتاجة إيه؟

تنهدت ثم قالت:

- آنت عارف إن كل تفصيلة في القضية هتروح للصحافة. القناة عندنا مخليانا كلنا ندعبس علشان نعرف أي خبر جديد، ومعتمدين عليا إني أعرف أخبار منكم بأي شكل.

استغربت اعترافها بالحقيقة بتلك السهولة. ثم أكملت:

 بس أنا عارفة أن ده هيضر القضية، وكالعادة مش هنقل أي تفاصيل من غير ما أرجعلك، بس محتاجة منك تديني مساحة أكبر في التفاصيل اللي هنقلها المرة دي. انت عارف إن الناس عايزين تفاصيل بأي شكل وماينفعش أرجع للقناة إيدي فاضية،

لم أستطع منع نفسي من سؤالها:

- مش فأهم ليه عايزة تعملي كده؟ مع إن مصلحتك إنك تنقلي كل المعلومات حتى لو هتضر القضية. عايزة تفهميني إن القضية فرقتلك أكثر من شغلك؟

اتسعت عيناها لكنني تابعت:

- سمعتك كصحفية شاطرة بتوصل للأخبار قبل أي حد، بتقول عكس كده.. فمتفهمنيش إن قلبك على القضية كده.

نعم، لقد بحثت عنها على الإنترنت، صحفية لامعة وشهيرة. ظهرت في عدة برامج لتحكي تجاربها في حل بعض القضايا. فهي لا تكتفي بنقل الخبر بل أحيانًا تعمل على التحقيق في قضايا لم تنتبه الشرطة لها، كقضايا فساد ورشوة، ومساعدة نساء في فضح وإيقاع رجال تحرشوا بهن. لن أنكر أن عملها مثير للإعجاب وحقًا أقدره، لكنني لم أعتد على تدخل الصحفيين في أمور تخص الشرطة.

يبدو\أن حديثي قد أغضبها. أفهم من لغة جسدها أنها صادقة، لكنني فقط أريد أن أفهم دوافعها. التفتت لي ثم قالت محاولةً أن تكتم غضبها:

- طيب حضرتك يا دكتور زين، ما دام عرفت عنى كل ده، يبقى المفروض تعرف إني بساعد شغل البوليس مش بعطله، والدليل إن شريف واثق فيا زي ما حضرتك شايف. وأكيد أنا يهمني شغلي، لكن مش أكتر من إن نلاقي القاتل الحيوان ده قبل ما يقتل بنت صغيرة تانية.

قاطعتها متسائلا:

- شریف؟ شریف ہیه قصدك؟

عقدت حاجبيها في عدم فهم، لكن شريف تدخل:

- دكتور زين، أنا هُفهمك. أنا بثق في نازلي لأني أعرفها بقالي أكثر من سنتين، وفعلًا هي متعاونة جدًا وعندها ضمير، ولما بنحتاج ننشر حاجة معينة، أول حد بنكلمه هي نازلي. فماتقلقش، انت عارف إني مش بثق في أي حد وخلاص.

ثم أشار نحوها متابعًا:

- نازلي بتوثق كل تفاصيل القضية لكن بتنشرها بعد انتهائها.
 هززت رأسي ولم أعقب على حديثه. بدت نازلي أكثر هدوءًا وهي

11 / 10

تتحدث الآن بينما تتفادى النظر لي وكأنها تتمنى أن أختفي.

- أنا هبدأ أعمل تحقيق صحفي، وأي معلومة هوصلها هكلمك.

- ماشي يا نازلي، خلي بالك على نفسك ولو عوزتٍ أي حاجة كلميني.

شكرته نازلي وخرجت مسرعة متجنبة إياي.

فور خروجي من مكتب شريف، أخرجت دفتري وبدأت في كتابة أسماء كل الأماكن التي أريد أن أزورها لتحقيق هدفي، وأول وجهة لي كانت عند مرسى النيل. كنت أرغب في مقابلة الشخص الذي وجد الجثة، وصاحب المركب التي سرقها القاتل وتخلص من الجثة بهاً.

وصلت إلى المكان الذي تُؤجِر منه المراكب الشراعية. رأيت شابًا يجلس على كرسي في يده كوب من الشاي. سرت نحوه.

- السلام عليكم، ممكن أعرف ألاقي بدوي السيد فين؟

أشار إليّ بإصبعه نحو مجموعة من المراكب في المرسى.

- هتلاقيه في المركب اللي شراعها أحمر اللي هناك دي.

شكرته ثم سّرت نحو المّركب المنشودة، حتى وجّدت رجلًا أسمر نحيلًا في أواخر عقده السادس يجلس على مقعد خشبي أمام مركبه. لكن عندمًا اقتربت منه اشتدت مفاجأتي، بجواره توجد امرأة سمراء يمكنني تمييزها من وسط الآلاف.

تنحنحت ثم وجهت حديثي للرجل.

- السلام عليكم.. حاج بدوي السيد؟

التفت لي الرجل، ابتسم لتظهر أسنانه ناصعة البياض، لكن ينقصها سنة.

- محسوبك بدوي السيد، أؤمُرني يا باشا.

اتسعت عينا نازلي حين رأتني. تلاقت أعيننا لبضع ثوان، ثم أدرت وجهي عنها والتفت إلى الحاج بدوي.

- أنَّا.. أنا كان عندي كام سؤال بخصوص الجريمة اللي حصلت إمبارح

الفجر لو تسمح لي.

تنهد قائلًا:

- أنا مليون ظابط سألني النهارده، يا ابني والله. حضرتك ظابط انت کمان؟

هززات رأسي.

- أنا دكتور زين القاضي، طبيب شرعي:

مددت يدي له لأصافحه، قام من مقعده وصافحني بحرارة.

- تفضل يا دكتون أطلب لك شاي؟

ابتسمت له.

- ربنا يخليك، أنا هسألك كام سؤال وأمشى.

أشار نحو الكرسي المجاور لنازلي.

- ماشي، طيب اتفضل اقعد. أعرفك بأستاذة نازلي صحفية.

ثم ابتسم بفخر

- أكيد شوفتها في التلفزيون يا دكتور، بسم الله ما شاء الله، يا آنسة مكسرة الدنيا.

أومأت برأسي ونظرت لها، ربما كانت تتوقع مني أن أوجه لها الحديث أو أُخبر الرجل أنني أعرفها، لكنني شخص عملي، لا وقت لي للأحاديث الجانبية، لذا التفتُّ له وأخرجت دفتري من جيب معطفي.

- أنا مش هطول عليك يا حج بدوي، كنت عايز أعرفُ المركب اللي

لقينا عليها الجثة بتاعتك صح؟

اوما براسه.

- صح يا ابني، أنا بسيب بالليل المراكب بتاعتي اللي ما حدش مأجرها هنا في المرسى، بخلي واد بيشتغل عندي اسمه حسنين ياخد باله منهم، بس الواد ده ما يعتمدش عليه، بيسرح في الزفت التليفون ليل نهار وبينام. حذرته كذا مرة بس ما رضيتش أقطع عيشه. وكدا كدا ما حدش كان بيحاول يسرق المراكب يعني. أول مرة يحصل لي حاجة زي دي. الواد حسنين نام على نفسه وما حسش. صحيت على تليفون بيقوني المركب اتسرقت. جيت جري وعقبال ما جيت كان حد من الصيادين عتر فيها. بس لقينا فيها، لا مؤاخذة، الجثة. اتصلنا بالبوليس على طول وبس كده.

رفعت عيني من دفتري.

- يعني ما حدش شاف خالص الشخص ده وهو بياخد المركب؟

- للأسّف لا يا دكتور.

هززت رأسي ثم تساءلت.

- طيب حسنين فين؟

- بيحققوا معاه لسه.

مددت يدي في جيبي وأخرجت بطاقةً من محفظتي.

- طيب يا حاج بدوي ده رقمي، ممكن لو عرفت أو افتكرت أي حاجة تكلمني؟

أمسك البطاقة على الفور وقال مبتسمًا.

- حاضر یا دکتور، أوامرك، شرفتنا.

- مع السلامة.

وجهت السلام له ولنازلي ثم استدرث متوجهًا إلى سيارتي.

- دکتور زین!

التفتت لأجد نازلي تمشي بسرعة خلفي تحاول أن تواكب خطواتي. توقفت في مكاني أنتظرها لتقترب, قالت بأنفاس مقطوعة:

- انت رایح فین دلوقتی؟

عقدت حاجبي فتابعت هي.

- آسفة قصدي انت رايح مكان تاني تدور فيه صح؟

تردلات قليلًا، لَكنني أجبتها.

- أيوة.

لتكمل هي.

- لو بتفكر زيي، يبقى أكيد رايح تسأل في الكباريهات اللي قريبة من هنا.

نظرت لها في تعجب، ثم اعترفت.

- ده حقیقي.

قالت بحماس.

- أنا كمان.. ممكن نروح سوا؟

أخرجت ورقة من حقيبتها الكبيرة بسرعة خارقة.

- بص، أنا جمعت كل أسماء الأماكن اللي قريبة من هنا.

ثم أشارت إلى اسم بعينه.

ممکن نبدأ من ده علشان جنبنا على طول.

تجاهلت الورقة وقلت بنبرة حازمة.

- أنا مش بعرف أشتغل غير لوحدي يا نازلي.

حين هممت بالرحيل توقفت أماميّ.

- أنا كمان، بس فكر فيها. أنا سمعت إنك أذكى دكتور شرعي في مصر وإنك عبقري وكده، وأنا بعرف أدور وأحقق وأسأل، مع بعض ممكن نوصل بطريقة أسرع للجاني، وأظن ده هدفنا كلنا.

كدت أبتسم بسبب لطافتها، لكنني تنحنحت وقلت ببرود مصطنع.

- شكرًا على كلامك، بس أنا هرتاَّج أكثر لو روحت لوحدي.. مبسوط إني قابلتك.

مَّممتُ بالرحيل، لكنها جعلتني أتوقفُ بسبب سؤالها.

- هو انت بتعاملني كده ليه؟

التفث لها على الفور.

- نعم؟

قالت في استياء:

- يعني آنت غلس وتنك مع كل الناس ولا علشان أنا صحفية وبنت وكده؟ عادي، أنا متعودة، مش أول حد يستخف بيا.

زفرت مغمضًا عيني ثم قلت بنبرة هادئة:

- بصي يا نازلي، أنا ماليش في الكلام ده ولا بفرق ما بين راجل وست. انتِ ما شاء الله، الكل متفق على إنك شاطرة، ما أظنش محتاجة لي في حاجة.

لتضيق عينيها كأنها تتفحصني، ثم قالت:

- يبقى انت غلس فعلًا.

خرجت ضحكة مني دون أن أقصد، وهززت رأسي.

- انتِ مش طبيعية على فكرة، عايزة مني إيه يا بنتي؟ ابتسمت لي ابتسامة واسعة جعلتني أفقد تركيزي.

- انت بتعرف تضحك زينا؟

تحولت ضحكتي إلى ابتسامة صغيرة.

- أنا مش غلس، أنا بركز، ومش بعرف أركز وأنا معايا حد، خصوصًا حد يك.

اتسعت عيناها.

- حد زيى؟ قصدك إيه؟

أشرتهاً.

- نازلي، انټ بتتحركي كتير وبتتكلمي كتير أوي، ومش بتركزي تقولي إيه وما تقولي إيه، دېش.

لتقول مستنكرة.

- وانت ما شاء الله اللي لطيف جدًا؟

قلت في نفاد صبر.

- طيب، طالما إحنا متفقين إننا إحنا الاثنين دبش، يبقى كل حد يروح لحاله صح؟

صمتت أخيرًا، فانتهزت تلك الفرصة وقلت.

- أنَّا لازم أمشي علشان متأخر. Good luck.



### الفصل السادس

نازلي

يا له من متعجرف ومزعجا من يظن نفسه؟ الجميع ياقبه بالعبقري، لكنني لم أز منه سوى غرور. على كُل حال، أنا لا أحتاجه في شيء، يمكنني العمل وحدي على أكمل وجه. أنا فقط أردت أن نوحد جهودنا حتى نصل إلى القاتل في أسرع وقت، لكن يبدو عليه أنه لا يعرف شيئا عن العمل الجماعي. متعجرفا

قضيت أكثر من يومين أعرج على كل النوادي الليلية، أسأل الفتيات هناك إذا كانت توجد أي فتاة تعمل معهم قد اختفت. لم تكن جميع الفتيات متعاونات، بعضهن نظرن إلي باحتقار، وهناك فتاة شتمتني (أقسم أنني لا أعرف ماذا فعلت لها حتى الآن)، لكن هناك بعضًا منهن كن لطيفات ومتعاونات. لكن أكثر شيء مزعج هو الرجال هناك. تعرضت لمضايقات كثيرة منهم، وددت أن أصفعهم جميعًا، لكنني تذكرت أنني هنا في مهمة وأيضًا أنني في ملهن ليلي، ماذا كنت أتوقع؟ أن أجد رجالا نبلاء وراقين؟ أنا لست في دار الأوبرا. للأسف في كل الأحوال النتيجة صفر، لم أصل إلى أي دليل.

في اليوم الثالث أكملت مسيرتي، عرجت على بعض الملاهي الليلية، ولم آجد أي دليل، لكنني لم أيأس. أخذت لائحة الملاهي التي كتبتها تتقلص، لم يبق بها سوى مكانين. ذهبت إلى أحدهما، وفور دخولي وجدته يشبه جميع النوادي الليلية التي زرتها في الفترة الأخيرة: إضاءة خافتة، موسيقي صاخبة، أشخاص يرقصون حول طاولاتهم، ضحكات عالية، جميعها تشبه بعضها. الفارق الوحيد هو نوع الموسيقى وفقًا للطبقة التي ينتمي إليها زبائنه.

وقعت عيني على فتاة تبدو لطيفة، أخذت نفسًا عميقًا لكي أشجع نفسي ثم توجهت إليهًا. كانت ترتدي فستانًا أحمر به الكثير من الترتر، وتضع أحمر شفاه من نفس اللون.

قلت بصوت مرتفع حتى تسمعني:

- مساء الخين ممكن أسألك على حاجة؟

التفتية لي وابتسمت ابتسامة واسعة مما أشعرني بشيء من الراحة.

- مساء الورديا قمن اتفضلي يا عسل، اؤمريني.

- ربنا يخليك، شكرًا. أنا بس عايزة أعرف لو فيه أي بنت من زميلاتك اختفت بقالها كام يوم كده؟

صمتت لوهلة لتفكر، ثم لمعت عيناها وقالت:

- فيه البت نعمة.

شعرت ببصيص من الأمل لكنه سرعان ما تبخر حين أكملت:

 بس هي مشيت علشان اكتشفت إنها حامل وجوزها قالها مفيش شغل علشان العيل ما يسقطش، تلاقيه حبسها في البيت يا أُختي ولا حاجة.

تساءلت في إحباط:

- حامل؟

- آه، كرّشها طلع، كنا فاكرينها في الأول تخنت، طلعت مخبية علشان صاحب المكان ما يمشيهاش.

تنهدت وتساءلت:

- طيب مفيش أي حد غير نعمة ماجاش بقاله كتير؟ هزت رأسها:

- لا يا أختي والله، مفيش، كل البنات بتيجي كل يوم في المعاد. ابتسمت لها:
  - طيب شكرًا، تعبتك معايا.
  - مش عايزة تشربي حاجة يا عسل؟
    - لا، شكرًا، أنا لازم أمشي.

نادى أحد الرجال عليها، فابتسمت له:

- جاية لك يا روحي.

ثم التفتت لي:

- ماشي، لو عُوزتِ حاجة أنا اسمي بوسي، أستأذنك هروح للزبون.

- تمام، شكرًا يا بوسي.

هممت بالرحيل، لكن هناك يدًا أمسكت بذراعي. التفت في فزع لأجده رجلًا يبدو عليه أنه سكران، حاولت أن أفلت يدي من قبضته، لكنني لم أستطع، لذا صَحَتُ به:

- انت اتجننت؟ سيب إيديا

قال لي بلسان أثقله الكحولُّ وبرائحة أنفاس كريهة:

- إيه يا مزة عاملة نفسك صعبة ليه؟

صرخت قائلة:

- بقولك سيب إيدي علشان ما اطلبلكش البوليس!

رد علي ضاحكًا:

- بولیس؟ عایزة فلوس زیادة وهتتعبینی شکلك، وأنا هدفع علشان عاجبانی.

صفعته بيدي الأخرى صفعة أفاقته بعض الشيء. اتسعت عيناه في غضب، بينما التفت لنا الجميع.

- بقولك سيب إيدي! ٠

قلتها صارخة، وتلكُ المرة نجحت في إفلاتها، لكنني رأيت الغضب يشتعل في عينيه. ابتعدت عنه قليلًا، لكنه اقترب مني صائحًا:

- انتِ اتَّجننتِ يا بت ولا إيه؟ نهارك أسود! انتِ مش عارفة أنا مين؟ وقفت بيننا بوسي محاولة تهدئته:

- نبيل بيه اهدا بس، ده سوء تفاهم، الأنسة زبونة مش بتشتغل معانا. ليزداد صياحه:

- زبونة على نفسها والله، لأقطع لها إيديها!

شدتني يدُ أُخرى، لكن ليس بعنف. التفت لصاحب اليد لأجده زين! قال لي وعيناه لم تنزل من عين الرجل:

- تعالي يا نازلي نمشي.

- تمشوا إيه يا ياض؟ والله لأربيها الأول!

اقترب منا رافعًا يده ليصفعني، أغمضت عيني في فزع، ثم سمعت صوت شخص يتألم. فتحت عيني لأجد ذلك الرجل الحقير ملقى على الأرض والدماء تنفجر من أنفه، بينما يقف زين في غضب وقد جرح يده. يبدو أنه لكمه!

اقترب منا رجال الأمن. أمسك زين بيدي وسحبني نحو الباب، لم يفلت يدي حتى وصلنا إلى مرآب السيارات. حين وصلنا إلى سيارته، أفلت يدي.

تساءل بصرامة:

- معاكِ عِربيتك؟

هززت رأسي:

- لا، جيت بتاكسي.

أشار نحو سيارته:

- طيب اركبي.

ترددت قليلًا ليعيد جملته مجددًا:

- اركبي يا نازلي، من فضلك.

فتحت باب سيارته وركبت في المقعد المجاور له. وجدته ينظر إلى يديه التي بدأت تتورم. فقلت في أسف:

أنا آسفة بجد إنك اتعورت علشاني.

حين لم يرد علي، تساءلت:

- طيب تحب نروح المستشفى؟

التفت نحوى:

- انتِ عارفة كان ممكن يحصل فيك إيه؟

سألني بنبرة غاضبة. أومأت برأسي بسرعة:

- عارفة، وشكرًا إنك اتدخلت، وآسفة إني حطيتك في موقف زي ده. نظر إلى يده في غضب ولم يجب:

- دي تأني مرة نتقابل صدفة، وأضح إننا ماشيين على نفس الطريق في التحقيق. وصلتٍ لأي حاجة؟ أنا تقريبًا روحت كل الأماكن اللي في الليستة بتاعتي وما وصلتش لأي حاجة...

ليقاطعني هو في استنكار:

- هو أنا بتكلم في إيه وانتِ في إيه؟ تحقيق إيه وبتاع إيه؟ انتِ روحتِ كل الأماكن دي لوحدك؟ انتِ مش متخيلة الحيوان ده كان ممكن يؤذيكِ إزاي؟

ارتفعت نبرتي بعض الشيء:

- أعمل إيه؟ مَّا كله علشانَّ نوصل للقاتل؟ هو أنا رايحة ألعب؟!

لترتفع نبرته هو الآخر:

- الشغل ده سيبيه للبوليس، ماتدخليش!

قلت مفسرة:

 الناس بتخاف من البوليس، مش بيقولوهم كل حاجة. لازم حد شكله عادي علشان يثقوا فيه.

ثم تابعت في غضب:

- وبعدين، انت علشان دافعت عني خلاص هتقولي أعمل إيه وما أعملش إيه؟

زفر ولم يجاوبني، أخذ نفسًا عميقًا ثم أدَارَ محرك السيارة وقال بنبرة جامدة:

- قوليلي بيتك فين علشان أوصلك.

بلعت لعابي وقلت بتوتر:

- مش لازم توصلني، أنا هركب تاكسي، أنا سيبت العربية علشان مش بلاقي ركنات.

التفت لي:

- نازلي، بعد إذنك، أنا عايز أوصلك. ممكن تقوليلي بيتك فين؟ استسلمت أمام نبرته التي أصبحت هادئة وبها شيء من الاهتمام:

- في المعادي، هطلعلك الـ GPS.

- تمام.

تحركنا بالسيارة، لم يوجه لي أي كلمة، فقط ينظر أمامه إلى الطريق في صمت. أنا حقًا لا أطيق الصمت، أشعر أنه واجب عليٌ أن أملأه بأي

حديث, لذا التفت إليه متسائلة:

- أنا بقالي سنتين شغالة وأول مرة أشوفك مع إنّي سمعت إنك كنت شغال في كل القضايا مع شريف، انت بطلت شغل؟

صمت لبضع ثوانٍ جعلتني أظن أنه لن يجيبني لكنه قال:

- آه، کنت مسافر.

اومات براسي:

- صح، انت قُولتلي إنك كنت بثاخد دكتوراه في كندا، كنت هناك؟ أومأ برأسه وكأنه يتمنى أن أتوقف عن الحديث، لكنني تابعت:

- انت بقى بتفهم في علم النفس ولغة الجسد والحاجآت دي؟

ابتسم ساخرًا:

- أيوة في الحاجات دي.

قلت بثقة:

 أنا كمان على فكرة بفهم في لغة الجسد، مش لما حد يهرش في مناخيره يعني كذاب؟

قال ضاحكًا:

- دي المعلومات اللي بتجيبيها من بوستات الفيس بوك صح؟

تلك المرة الثانية التي أسمع فيها ضحكته، ليست عالية، هادئة مثله، لكنها تغير ملامح وجهه بالكامل، تجعلها أكثر دفئًا. أريد أن أسمعها دائمًا. لمَ لا يبتسم كثيرًا؟

قلت مدافعة:

- انت بتتريق على معلوماتي؟ والله جبت كتاب "كيف تتعلم لغة الجسد" وأنا في ثانوي وكنت بحلل صحابي في المدرسة، وعلى فكرة، خلاني أعرف إن مروان بيحبني.

عقد حاجبيه:

- مروان؟

- آه، الولد اللي كنت معجبة بيه، قريت إن لو بيخلي رجليه باصة ناحيتي وإحنا بنتكلم يعني معجب بيا، وعرفت بعدها إن ده بجد.

كانت ضحكته تلك المرة عالية، كلما أسمعه يضحك، أشعر أن قلبي ينبض بملاعة:

- لا، طالما طلع معجب بيك يبقى ماقدرش أقولك حاجة.

نظرت أمامي محاولةً أن أخبِّئ ابتسامتي:

- شوفت، قولتلك بفهم.

لاحظت أننا وصلنا إلى شارع بيتي، لذا أشرت له:

أنا العمارة اللي على أول الشارع، اللي جاي يمين.
 أوقف سيارته تحت منزلي، أخذت حقيبتي من الكرسي الخلفي،
 والتفت إليه لأشكره:

- تعبتك معايا، شكرًا بجد على كل حاجة.

ابتسم نصف ابتسامة:

- العفو على إيها يا ريت ما تروحيش الأماكن دي تاني.

أغمضت عيني مفكرة ثم قلت: - ما أوعدكش، بس ماشي.

نظر لي في إحباط، فتحتّ باب السيارة وخرجت منها:

- باي باي يا دکتور.

- باي يا نازلي.

### الفصل السابع

### زين

أوشك الأسبوع على الانتهاء ونحن في المكان ذاته، لا يوجد أي دليل، وكأننا وصلنا إلى حائط مسدود. جلست في غرفة مكتبي أراجع ملفات القضية عشرات المرات لعل هناك دليلًا قد غفلت عنه، لكن كل ذلك دون جدوى. جاءني اتصال من رقم غريب، استغربت لأن رقمي المصري جديد، لم أعطه لأي شخص سوى عائلتي. أجبت المكالمة ليصدر من هاتفي صوت أنثوي.

- ألو.. دكتور زين؟

عرفت صاحبة الصوت على الفور، قلت مستغربًا:

- نازلی؟

- أَنَا آسُفةِ والله إني جبت رقمك من غير ما أستأذنك.

- خليني أخمن، شريف إداهولك؟

- بسم الله ما شاء الله، انت ساحر فعلًا زي ما بيقولوا اهو!

ضحكت رغمًا عني. عدد المرات التي جعّلتني أضحك بها في الأيام القليلة التي قابلتها فيها، أكثر من محصلة ضحكاتي في العام الأخير بأكمله. أنا لم أكن دائمًا هكذا. نعم، لست أكثر شخصية اجتماعية قد تقابلها، لكن مع المقربين لي كنت أحب المزاح والضحك.

لكن أحيانًا يأتي موقف يكسرك، يأخذ معه الألوان والفرح، ويتركك كحطام إنسان. تنسى كيف كانت الحياة قبله، تستغرب حين تتذكر موقفًا كنت سعيدًا فيه من قبل، وكأنك تنظر إلى شخص غريب عنك وليس ذاتك. تتركك الذكرى متسائلًا: "ما هي السعادة ذاتًا؟ هل سأشعر بها مجددًا؟".

أفاقني من شرودي صوتها.

- بصيا دكتور، أنا عارفة إنك بتشتغل لوحدك بس.. بس بجد متحمسة أوي أشارك معاك اللي وصلت له. أصلي مش بحكي لأي حد حاجة عن شغلي حتى عائلتي، بس حاسة إننا ممكن نساعد بعض، مش إحنا هدفنا واحد؟

أومأبلاً برأسي كأنها تراني.

- ماشي يا نازلي، قوليلي من غير مقدمات.

- بص، أنا ما خلّصتش تدوير في كل الـnight club\$، قررت أدور في الأماكن اللي البنات اللي... يعني، آنت فإهم، بيقفوا فيها.

اعتدلت في جلستي.

- ما تقوليليش إنك عايزة تروحي تدوري هناك!

أجابتني بحماس:

- أنا روحت أصلًا.

لا أدري لماذا شعرت بالغضب، أنا لا أعرفها، ولم أقابلها أكثر من خمس مرات، لكنني أشعر بمسؤولية غير مفهومة تجاهها. قلت بلهجة باردة على عكس ما أشعر حتى لا تُسيء فهم مشاعري:

- تمام، وبعدين؟

- طبعًا البنات هناك مش هيتكلموا غير لو خدوا عليا، فروحت واتصاحبت عليهم ومستنياهم يثقوا فيا علشان يحكوا لي لو واحدة منهم اختفت.

- واتصاحبتِ عليهم إزاي؟

- قولتلهم عايزة أشتغل معاكم علـ... قلت بانفعال غاضب فاجأنى أنا شخصيًا:

- نعم ا؟

أجابتني بقلق:

- فيه إيه بتزعق ليه؟ أكيد مش هشتغل معاهم، أنا بقول كده وخلاص... أنا بس هقف أتفرج على أساس إني بتعلم منهم.

قمت من مكاني:

- نازلي، انتِ في البيت دلوقتي؟

ردت في استغراب:

- آه، ليه؟

- أنا جايلك، وأنا تحت هكلمك تنزلي لي.

- بس أن...

أغلقت المكالمة قبل أن أسمع أي اعتراضات منها.

أخرجت بطاقتي:

- أنا طبيب شرعي.. سمعتوا عن جريمتين القتل اللي حصلوا قريب؟ أجابتني إحدى الفتيات:

- آه، سفاح الأرقام؟

- عايز أعرف إذا كانت فيه بنت بتشتغل معاكم أو أي بنت تعرفوها اختفت الأسبوع اللي فات.

هرُّوا جميعًا رؤوسهم، لكنني تابعت:

- كلكم عارفين بعض هنا؟

ردت ذات الفستان الأخضر مازحة:

- كلنا أسرة في بعضنا، يا باشا.. ماتسيبك من القضية وتيجي نفرفشك!

تابعت بنبرة صارمة:

- فيه بنت عندها 15 سنة اتقتلت من كام يوم. أي معلومة منكم متساعدنا نوصل للي عمل فيها كده ونوقفه.. أي حد فيكم عنده أي معلومة؟

صمتن جميعًا ولم ينطقن. وضعت يدي في جيبي وأخرجت الكارت الخاص بي:

- طيب تمام، ده الكارت بتاعي لو عرفتوا أي حاجة كلموني.

أعطيتهم الكارت وتوجهت إلىّ السيارة حيث وجدت نازليّ تشاهدني بفضول كبير

- قولَي حصل إيه؟ قالولك حاجة؟

هززت رأسي نافيًا.

- قولتلك مش هيعترفوا كده.. لازم يثقوا فيك الأول علشان...

قاطعتها:

مافیش وقت یا نازلی، ومش محتاج یقولولی حاجة علشان أعرف
 إذا كانوا یعرفوا حاجة ولا لا.

نظرت لي بعدم فهم:

- يعني إيه؟

نظرت إلى الفتيات:

- كلهم باين عليهم إنهم مخبيين حاجة، ولما جيبت سيرة البنت اللي

اتقتلت اللي على المركب، بضوا لواحدة معينة منهم، كأنها عارفة حاجة. البنت دي باين على وشها إنها زعلانة أكتر من أي واحدة فيهم، معنى كده إنها كانت قريبة منها.

قالت بانبهار:

- انت عرفت كل ده في خمس دقايق؟

تابعت حديثي دون أن أجيبها:

- هنستنى البنت دي تخلص شغلها وتبعد عن باقي البنات ونحاول نكلمها لوحدها.

ندرت في الساعة وجدتها الحادية عشرة ليلًا.

- بيمشوا إمتى دول؟

- يعني على الفجر.

أومأت برأسي وأدرت محرك السيارة:

- طيب، هروحك وآجي أستنى.

أمسكت بذراعى:

- لا، طبعًا مش هروح، هستنی معاك.

نظرت لها مستنكرًا:

- تستني إيه؟ بقولك هقعد للفجر.

أفلتت ذراعي وابتسمت لي ببرود:

- طيب، فيها إيه! أنا متعودة لما بكون شغالة على قضية بقعد أيام في الشارع أصلًا.

زفرت ثم تساءلت:

- إحنا هنقعد هنا كتير؟ مش هتزهقي؟

- لا، طبعًا بالعكس، أنا متحمسة أوي.

رفعت حاجبي:

- الوحيدة اللّي بشوفها متحمسة وفيه سفاح بيقتل في الناس.

قالت مدافعة:

- لا، ما تفهمش غلط، أنا زعلانة بس متحمسة أوي علشان نحل القضية.

استسلمت لأنني لن أستطيع إقناعها بالعودة إلى منزلها، لذا مددت يدي في المقعد الخلفي ممسكًا بحاسوبي النقال:

- تمام ... أنا هطلع اللاب توب أشتغل، وانت عيشي حياتك.

- ماشى، ماتقلقش، مش هزعجك.

لم تمر أكثر من نصف ساعة وبدأت نازلي في التحرك بتململ داخل رسيها:

- نازلي، في حاجة مضايقاكِ في الكرسي؟

قالت بسرعة:

- لا، لا خالص، بشوف بس قاعدة تريحني.

- طيب، لو عايزة ترجعي الكرسي شوية، أرجعهولك.

- لا، ركّز في شغلك، أنا زي الفل.

أومأت براسي:

- تمام.

نصف ساعة أخرى وبدأت تعبث في كل شيء، حتى إنها فتحت درج السيارة، نظرت لها غير مصدق فأغلقته بسرعة:

- أنا آسفة، أصلي اتعودت إن في عربيات صحابي بدعبس في

أدراجهم وأنا زهقانة.

أخذت نفشا عميقًا ثم قلت:

- قولتلك إنك هتزهقي.

قالت مدافعة:

- لا والله، أنا تمام.

- طيب، مش حابة تشتغلي؟

- ما أنا مالحقتش أجيب اللاب توب بتاعي... بس ماتقلقش، هقعد أقرأ رواية على الموبايل.

مرت ساعة بسلام، أنا أعمل بيتما هي منغمسة في قراءة رواية.

- بقولك إيه؟

كنت أعرف أن ذلك السلام لن يطول.

- قوليلي.

- أنا جعانة، انت مش جعان؟

- عادي، مش بجوع وأنا بشتغل... تحبي نروح حتة قريبة نجيبلك أكل؟

هزّت رأسها:

- لا بلاش نسيب المكان، أنا ممكن أطلب دليفري... أطلبلك إيه معايا؟ هززت كتفى:

- أي حاجة، انتِ هتاكلي إيه؟

قالت في تردد:

- مش عارفة... ممكن بيتزا؟

ثم قالت بسرعة:

- أو استنى، نفسي في حواوشي... مقرمش كده وسخن... يالهوي جعت.

- طيب، خلاص، اطلبيه.

لكنها تساءلت:

- ولا بيتزا؟

يا رب، إُلهمني الصبر

- أي حاجة، يا نازلي، مش فارقة.

- مش عارفة بجد، ساعدني.

أجبتها دون تفكير حتى أنهي ذلك الحوار:

- بيتزا.

لتقول هي:

- أو حواوشي.

زفرت في نفآد صبر:

- اطلبي الاتنين.

قالت ضاحكة:

- الاتنين؟ هتخن، أنا أصلًا عايزة أعمل دايت، كل ما أقرر ماما تعمل ورق عنب... يالهوي على ورق عنب ماما، يا زين، لازم تجربه، انت بتحبه أصلًا؟

قلت ولم أنزل عيني مِن شاشة حاسوبي:

- آه، بحبه، وعلى فكرة، انتِ مش محتاجة تعملي دايت.

ضحكت في خجل:

- ربنا یسترك، انت بتجبر بخاطری.

رفعت عيني من الشاشة ونظرت إليها:

- لا، أنا مش بعرف أجامِل... انتِ حلوة كده.

اتسعت عيناها وصمتت أخيرًا، فتنحنحت وقلت لها محاولًا أن أخفي إحراجي:

- انتِ أكيد عارفة إنك حلوة يعني.

ضحكت مستنكرة:

- أنا؟ ده أنا آخر واحد كنت مرتبطة بيه كان مش بيخليني آكل بيتزا لما نخرج، كان بيطلبلي سلطة ويقولي علشان كرشك.

تركت حاسوبي والتفُّث لها في دهشة:

- وإنتِ كنتِ بتسمعى كلامه؟

قالت في عفوية:

- آه، بسّ بروح آكل محشي من وراه.

ابتسمت، تعجبني عفويتها، وطريقة حديثها السريعة رغم أنني أفضل الهدوء، إلا أني أشعر أن مع نازلي لا يمكنك توقع ما سوف تقوله. ورغم ذلك، لم أستطع أن أخفي شعوري بالضيق بسبب ما قالته للتو، كيف لرجل أن يعامل امرأة بتلك الفظاظة والقسوة، خاصة امرأة مثل نازلي، فجمالها ليس متوسطا، بل يجعل رقاب الرجال تلتف حين يرونها، برغم أنها ترتدي دائمًا ملابس عملية ولا تضع سوى القليل من مساحيق التجميل.

قلت لها بنبرة جدية:

- النوع ده من الرجالة بيبقوا مش واثقين من نفسهم فبيداروا ده بإنهم يقللوا من شريك حياتهم. كويس إنك سيبتيه.

- مين قال إنّي سيبته؟

اتسعت عيني، لكنها بدأت في الضحك:

- بهزر... أكيد سيبته، هو عموما أنا بدخل إيدي في الزبالة أطلع رجالة، كلهم أسوأ من بعض لغاية ما شيلت الارتباط من دماغي وقررت أركز في شغلى وبس.

هززت رأسي متفهمًا، ثم أمسكت هاتفي وفتحت تطبيقًا أشتري منه الطعام. <

تسالالت في فضول:

- بتعمل إيه؟

قلت لها وأنا أضغط على شاشة هاتفي:

- بطلبلك بيتزا وحواوشي.

اتسعت ابتسامتها كالأطفال، شيء بسيط كشراء الطعام لها يسعدها لتلك الدرجة؟



## الفصل التاسع نازلي

انتهينا من طعامنا، واقتربت الساعة من الثالثة صباحًا، ولا زالت

الفتيات في نفس المكان.

لا أستطيع أن أتحمل ذلك الملل، هذه أطول مدة جلست فيها دون أن أتحرك فرط الحركة يجعلني أكره البقاء في نفس المكان لفترة طويلة. قرأت بضع صفحات من رواية رومانسية، كان البطل يتحدى العالم كله ليتزوج البطلة. لم أعد أومن بهذا النوع من الحب، لكن يكفيني أن أشبع تلك الرغبة من الروايات. لكنني تشتت كثيرًا أثناء قراءتي، حيث أختلس نظراتٍ لزين بينما يعمل بتركيز. لا أستطيع فهمه، يبدو من الخارج كشخص جامد بلا مشاعر، وقد أعطاني أسوأ انطباع في البداية. لكن كلما قضيت معه وقتًا، أيقنت أنه لطيف للغاية. بل أستطيع أن أخمن أنه حنون مع من يحبهم، لكنه يخبئ شخصيته الحقيقية خلف ذلك الوجه الصارم. حتى عندما يضحك، أن شعورًا بالذنب ينتابه وسرعان ما يخفي ضحكته. تركت كتابي وبدأت أفكر فيه، أراقب تعبيرات وجهه أنناء عمله. ينفصل عن الواقع تمامًا عندما يركز في شيء.

وأثناء انشغالي به، رأيت عينيه تتسعان وسرعان ما اعتدل في

جلسته.

- نازلي، البنت ركبت تاكسي.

تساءلت في شرود:

- مين دي؟

- مين إيه يا نازلي؟ البنت اللي بنراقبها.

نعم، السبب الذي نحن هنا لأجله. انتبهي يا نازلي، لقد نسيتِ القضية حين جلستِ معه لبضع ساعات. ماذا بكِ؟

قلت مرتبكة:

- آه، طيب يلا نمشي وراها بسرعة.

أدار زين محرك السيارة، وسرنا وراء التاكسي لكن وضعنا مسافة بيننا حتى لا نلفت انتباههم. سارت السيارة بنا لأكثر من نصف ساعة، دخلنا في حارة شعبية ثم توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى متهالك من ثلاثة طوابق. ترجلت الفتاة من التاكسي مرتدية عباءة سوداء. أوقفنا السيارة تحت المنزل وفتح زين الباب وقال:

- خليكِ هنا يا نازلي.

لكنني سئمت من أُخذ الأوامن ففتحت باب السيارة وخرجت. نظر لي في غضب، لذا قلت له قبل أن يتفوه بكلمة:

- ده شغلي زي ما هو شغلك.

أخرجت الفتأة مفتاح باب شقتها، لكننا أسرعنا إليها قبل أن تدخل. نظرتِ لنا في خوف وابتعدت عنا وقالت:

- انتم مین؟

حين وقعت عيناها عليٍّ، عرفتني على الفور وقالت:

- سمية؟

نظر لي زين بعدم فهم، لكنني أجبتها:

- أنا ما اسميش سمية يا هند، أنا صحفية، آسفة إني كذبت عليكِ بس محتاجين مساعدتك.

وقعت عيناها على زين ثم عقدت حاجبيها وقالت في قلق بصوت مرتعش: - انت الدكتور اللي جيتلنا من شوية صح؟ أنا قلتلك هناك إنى ما أعرفش حاجة.

أجابها زين بنبرة واثقة:

- لا يا هند، انتِ تعرفي، وواضح إن البنت كانت قريبة منك، ليه مش عايزة تساعدينا نجيب حقها؟

ترددت لبضع ثوان، وأخذت تتلفت حولها وقالت:

- أنا مش عايزة فضايح في الحارة، أهلي ما يعرفوش أنا بشتغل إيه. لو سمحتوا، سيبوني في حالي.

قال زين لها بنبرة مطمئنة:

- إحنا مش عايزين نأذيكِ أو نعملك مشاكل، إحنا بس عايزينك تساعدينا.

اقتربت منها وقلت لها:

- لو البنت اللي ماتت دي صاحبتك، يبقى أكيد ما يرضيكيش إن حقها يروح يا هند!

لمعت عيناها بالدموع، وتلفتت حولها ثم همست لنا:

- أنا مش متأكدة هي ولا لا، بس عندي صاحبتي اسمها هالة، بتشتغل معانا بقالها كام شهر. هربت من أهلها في الصعيد وجت على هنا. اختفت بقالها فترة ما أعرفش عهنا حاجة. ولما قلت للبنات نسأل عليها أو نبلغ، هزقوني وقالولي: "انتِ هتفتحي علينا فتحة، إحنا مالناش دعوة بيها".

نظرت إلى زين الذي لم ينزل عينه عنها.

- قالولي تلاقي أهلَّها عتروا فيها ورجعت عندهم والله أعلم قتلوها ولا عملواً فيها إيه. بس أنا قلبي مش متطمن. أنا قريت لهالة وبقيت معتبراها أختى الصغيرة، وعارفة عنها كل حاجة. أهلها أصلًا اتبرُّوا منها، ما أظنش هيدوروا عليها. لما سمعت الخبر، قلبي اتقبض. أصل هي اختفت قبل ما يلاقوا الجثة بيوم واحد، وكمان هالةٌ عندها خمستاشرّ سنة زى ما الأخبار قالت.

فلتت منها دمعة مسحتها ثم أكملت:

- فكرت أبلغ بس أنا خايفة من الحكومة، لو قالوا لأهلى حاجة عن شغلي هيقتلوني.

تسالال زين:

- طيب هي ركبت مع حد اليوم ده؟

أومأت براسها:

- آه يا دكتور، بس ما شفتش وشه كان لابس كمامة ونظارة شمسية، مع إننا كنا بالليل، بس قلت يمكن خايف حد من أهله يشوفوه ولا حاجة.

- طيب تقدري توصفي عربيته؟

- بص يا دكتوں أنا ما بفهمش في أنواع العربيات لامؤاخذة، بس كانت عربية سودا ومش عالية.

تساءلت في فضول:

ماتفتكريش الأرقام؟

لكنها هزت رأسها:

- لا، للأسف ما بصيتش عليهم، قلت ده زبون زي أي زبون.

قال زين:

- طيب، إحنا محتاجين نوصل لحد من أهلها علشان ناخد منه عينة من الحمض النووي، تعرفي أي حد منهم؟ صمتت قليلًا كأنها تحاول أن تتذكر.

- بص يا دكتور، هي دايمًا كانت تقولي إن عندها بنت عمتها في القاهرة، بس ما أعرفش فين ولا أعرف اسمها.

تساءلت:

- طيب هي هالة كانت ساكنة فين؟

أشارت بيدها نحو شارع صغير خلفنا وقالت:

 مأجرة عشة فوق عمارة جنبنا هنا، بروح كل شوية أشقر عليها هناك يمكن تكون رجعت، بس مافيش.

- طیب ممکن تاخدینا هناك؟

تلفتت حولها في قلق ثم أومأت برأسها:

- ماشي، تعالوا ورايا.

وصلنا إلى منزل أكثر تهالكاً من منزل هند، مكون من طابقين. صعدنا سلالم ضيقة، تشعر أنها ستنهار تحت قدميك من ضعفها، حتى وصلنا إلى السطح. وجدنا غرفة مبنية من خشب أمامها مقاعد ملونة.

تساءل زين:

- معاكِ المفتاح؟

هزت رأسها:

- هالة مش بتقفل أوضتها، ما حيلتهاش حاجة تتسرق.

دخلنا غرفة ضيقة، لا يوجد بها سوى فراش بسيط وحمام دون باب أخذ زين يفتش الغرفة، حتى وجد تحت وسادتها محفظة قديمة خاوية لا يوجد بها سوى بعض الصور القديمة لامرأة شابة، يبدو على الصورة أنها أخذت منذ أكثر من عشرين عامًا. مد زين يده داخل جيب صغير في المحفظة وأخرج منه ورقةً صغيرة مطوية. حين فتحها، وجدناها رقم جلوس لطالبة في الصف السادس الابتدائي، لكنها بتاريخ قديم، بالتحديد منذ أربع سنوات. قرأ زين معلوماتها بصوت عال:

- عواطف فهمي عبد الحميد من محافظة أسيوط.

ثم التفت إلينا وقال:

- تقريبًا ده رقم جلوسها من أربع سنين، يعني كانت في سادس ابتدائي فعلًا لو هي عندها خمستاشر سِنة.

قلث ملحمسة:

- طيب، كده ممكن ندور في السجل المدني على بنت عمها ونحاول نوصلها علشان ناخد منها عينة من الحمض النووي بتاعها، عشان نعرف لو دي جثتها فعلًا.

حين سمعت هند كلمة "جثة"، انفجرت في البكاء. اقتربت منها لأضمها:

- اهدي بس، مش أكيد هتطلع هي.

قالت بصوت مكتوم:

يا رب، بس أنا قلبي مقبوض.. دي بنت غلبانة. كان نفسي أقول لها
 بلاش الشغلانة السودا دي، انت لسة صغيرة... حتى حاولت أصرف
 عليها، أقسم معاها القرشين اللي باخدهم، بس هي رفضت علشان عارفة
 إن فلوسي كلها بتروح على علاج أمي. ياريتني ما سبتها تروح معاه.

ربتت على ظهرها قائلة:

- لو هي، هنجيب حقها والله، اقوي انتِ بس، ولو عرفتِ أي معلومات، قولي لنا ماشي؟

ابتّعدت عنيّ ومسحت وجهها قائلة:

- ماشي يا آنسة...

لم تكمل الجملة لأنها لا تعرف اسمي الحقيقي.

- نازلي. اسمي نازلي.

أوصلني زين إلى منزلي، لم نتحدث طوال الطريق، كل منا غارق في أفكاره. لم أشهد قضية بذلك التعقيد من قبل. عندما وقف أمام منزلي، التفتُ إليه متسائلة:

- بكرة هيكون الأسبوع خلص.. فكرك هيقتل تاني زي ما قال؟

زفر في ضيق وضغط على جبهته:

- للأسفّ آه، اللي زي ده مش بيهدد بالكِلام وخلاص، أهم حاجة عنده إن الناس تخاف منه وتاحُد كُلامه على محمل الجد.

شعرت بقبضة في قلبي:

- إحنا لازم نلاقية في أسرع وقت.

قال لي مطمئنًا:

- ماتقلَّقیش یا نازلی، البولیس شغال لیل نهار علی القضیة دی... أهم حاجة بس ماتعملیش تصرف مجنون من بتوعك... وقبل ما تعملی حاجة كلمینی.

قلت له بنبرة ساخرة:

- ليه، مش انت بتحب تشتغل لوحدك؟

قال مبتسمًا ابتسامة صغيرة:

- آه، بس انتِ زي الأطفال محتاجة "baby sitter"، يا إما هتعملي مصيبة.

- وأنت ال"baby sitter"؟

قال في استسلام:

- للأسف.

ابتسمت له ابتسامة واسعة:

- ماشي، هقولك قبل ما أعمل حاجة. شكرًا على التوصيلة.. وعلى الأكل.. وعلى مساعدتك.

رد عليّ:

العفو... العفو... والعفو.

ودعته ثم صعدت إلى منزلي، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحًا، لم أنم منذ يومين. فور دخولي غرفتي، ارتميت على فراشي في تعب، وسرعان ما استسلمت لنوم عميق، لم أقوَ حتى على تغيير ملابسي.

استيقظت على صوت أمي:

- يا نازلي، مش هتقومي بقى؟ الساعة ٦ المغرب، يلا.

اعتدلت في الفراش، لم أنم تلك المدة من قبل، أشعر لأول مرة منذ عدة شهور أن جسدي قد اكتفى من النوم، واستيقظت بدون ألم في رأسي، لكن لا بد أن هناك الكثير من العمل قد فاتني.

- أنَّا صحيت اهو يا ماما... هو موبايلي فين؟

- كان عمال يرن، خوفت يصحيكِ فشيلته برا.

قلت في فزع:

- يا ماماً بدل ما تصحيني، تاخديه وتمشي؟ أكيد عايزني في الشغل، مين اتصل؟

- أرقام غريبة وبعدين هانيا اتصلت مرتين، بعدين واحد اسمه دكتور

زين.

انتفضت من مكاني:

- فين التليفون يا ماما؟

أجابتني في قلق:

- في أوضتي على السرير.

أسرعت إلى غرفتها حتى وجدت هدفي. أمسكت به لأجد الكثير من الاتصالات، ولكن أهمها بالنسبة لي هو اتصال زين. ضغطت على اسمه لأعاود الاتصال به، وبعد الرنة الرابعة أجابني:

- نازلي عاملة إيه؟

- الحمد لله، أنا آسفة والله كنت نايمة، ما حسيتش بالوقت.
  - لا ولا يهمك، أنا آسف إني اتصلت.
  - لا، طبعًا آسف على إيه؟.. قولي حصل حاجة؟

تردد قليلًا ثم قال:

- مش عارف إذا كنتِ شوفتِ ولا لأ، أظن كنتِ نايمة... بس اسمي بقى "تريند" في كل حتة.

عقدت حاجبي:

- تريند؟ ليه؟

الشرطة كانوا مخبيين اسمي لما نزلوا الرسالة بتاعة القاتل، بس
 اتسربت من كام ساعة الرسالة كاملة باسمي بكل حاجة.

هززت رأسي:

- مین سربها؟

- حد من البرنامج بتاعكم.

شعرت أن قلبي توقف عن النبض لثانية:

- إزاي؟ والله مَّا أعرف حاجة بالموضوع ده.. هكلمهم يشيلوه حالًا.

- لا خُلاص، الخبر انتشر في كل مكان.

ضغطت بيدي على جبيني وأغمضت عيني في ألم:

- أنا آسفة أوي بجد.

- لا على إيه؟ مالكيش ذنب... أنا بس مش فاهم إزاي المعلومة دي وصلت ليكم. شريف مأكدلي إنهم كانوا مشددين إن اسمي ما يبانش. لو حد بيسرب معلومات، ده ممكن يضر القضية... مش كل المعلومات ينفع تطلع للناس.

تنهدت وقلت:

- أَنَا عَارِفَة... المَفْرُوضَ أَنَا اللّي مَاسَكَةَ القَضْيَةَ دَي أَصَلًا. مَا حَدَشَ يقدر ينزل خبر غير لما يرجع لي. هشوف مين اللي نزل الخبر ده ومش هعديها.

فتحت هاتفي لتصفح الفيس بوك، وسرعان ما ظهر لي منشور به صورة زين، وكتب عليه: "إيه الدكتور المز ده، يا بخت الجثث اللي بيشرحها."

شعرت بغصة حين قرأت ما كتب، ثم فلتت مني ضحكة. تساءلت:

- انت شفت اللي مكتوب عنك؟

- يعني جالي فضّول فشوفت كام بوست، بس ماليش في السوشيال ميديا فمش متابع.

- والله يا زين، انت بقيت فتى أحلام البنات كلها... البوستات كلها بتعاكسك.

قال بصوت به خيبة أمل:

- ممكن تعرفي المعلومات بتوصل للصحفيين عندكم من مين؟

See - 1 Jan 1 1 - / 21

- حاضر، ماتقلقش.

سمعت صوت ضوضاء حوله فتساءلت:

- انت في الشارع؟ بتشتغل على القضية ولا إيه؟

- لا، مش جايلي نوم بقاله يومين، فقررت ألف بالعربية أجيب حاجة أشربها واروح أنام.

- بتجيب مئين؟

صمت قليلًا ثم أجاب:

- محل كده جنب بيت أمي.

- أنا أعرف مكان خطير بيعمل قهوة و "hot chocolate" مش طبيعيين.

تساءل:

- بجد؟ فين؟

- لا مش بفشي أسراري... مش بخلي حد يروح المكان ده من غيري.

- خلاص، تعالي معايا.

قمت من مكاني غير مصدقة. حاولت أن لا أظهر له سعادتي، لكنني قلت بحماس:

- بجد؟ قصدي يعني متأكد؟

- آه أكيد، أنا زّهقان، ما وراييش حاجة.

- طيب تمام، أقابلك في مكان؟

- لا، هعدي غليكِ.

- طيب مآشي، أنا هلبس.

\*\*\*

وصلنا إلى المكان في غضون بضع دقائق مكاني المفضل هو سيارة صغيرة يملكها شاب طموح قرر أن يتحدى ظروفه ويبحث عن عمل شريف يفتح شنطة سيارته ويضع بها معدات صنع المشروبات التي لن تتذوق مثلها.

طلبنا اثنين من الشوكولاتة الساخنة، وانتظرت رد فعل زين حين يتذوقها بفارغ الصبر. شعرت بتوتر وكأنني من صنعتها بيدي، لكنني اطمأننت حين رأيته يغمض عينيه في استمتاع. تساءلت في حماس:

- عجيثك؟ أوماً براسه:

- طلع عندك حق.

- عيب عليك، أنا دايمًا عندي حق.

ابتسم ابتسامة ساخرة، بينما أُخذ رُشفة ثانية، لكن تلك المرة وهو ينظر مباشرة إلى عيني. شعرت بحرارة مفاجئة وأكاد أجزم أنني إذا نظرت في المرآة، سأجد وجنتي حمراوين، لكنني تحججت بأن ذلك بسبب الشوكولاتة الساخنة.

- احكيلي حاجة عن نفسك.

فاجأني سؤاله. أشعر دائمًا أنه لا يطيق الجلوس معي، وكأنه واجب عليه، وفور حل القضية سينساني على الفور.

قلت غير مصدقة:

- انت عايز تعرف حاجة عني أنا؟

ابتسم واضعًا مشروبه في مكانه المخصص في السيارة:

- إيه مالك، متفاجئة ليه؟

- أصل بحس إنك مش بتطيقني الصراحة، فمتفاجئة يعني إنك عايز تعرف حاجات عني.

قاطعني واعتدل في جلسته:

- مين قَال إنّي مش بطيقك؟

ضحكت في خجل:

- انت مش بتشوف وشك لما بتشوفني ولا إيه؟

تساءل:

- ماله؟

- كأنك شوفت أكتر إنسانة مزعجة في الدنيا.

ابتسم قائلًا:

- هو انتِ مزعجة فعلًا بس.

اتسعت عينايِّ، لكن ضحكته ارتفعت:

- بهزر معاكِ والله.

رفعت حاجبي:

- انت بتعرف تهزر؟

- آه على فكرة، انتِ مش عارفة لسة عني كتير. أنا بهزر كتير.

لكن اختفت ابتسامته كأنه تذكر شيئا:

- أو كنت بهزر زمان.

- طيب، وإيه اللي حصل؟

صمت ولم يتكلم، شعرت أنه سيبكي للحظة لكنه ابتسم بمرارة وشرد بعيدًا كأن شريط ذكرياته يمر أمامه. لم يقل سوى كلمة واحدة:

- فريدة..

انتظرته ليكمل حديثه لكنه صمت مجددًا، لذا سألته:

- مین فریدة؟

تلك المرة رأيت في عينيه لمعة وكأن هناك دموعًا ترغب في الخروج لكنه حبسها. قلت في توتر:

- خلاص، ممكن نغير الموضوع لو مش حابب...

لکنه هز رأسه:

لا، أنا حابب أتكلم، عايز أتكلم مع حد ما يعرفهاش.

نظرت إليه باهتمام:

- طيب، أنا سامعاك.

أخذ نفسًا عميقًا دون أن يلتفت لي:

- فريدة مراتي.

لا أعلم لمَ شعرت بوخزة في قلبي. إنه متزوج؟ أعلم أن هذا لا يعنيني، فأنا لم أضع أي أمل في أن يكون بيننا أي علاقة، لكنني لا أستطيع تفسير ما أشعر به. لكنه فاجأني حين أكمل قائلًا:

- أو كانت مراتي يعني.

عقدت حاجبي متسائلة:

- کانت؟

هز رأسه:

- أيوة.

بلعت لعابي بصعوبة، وابتسمت محاولة فتح حديث معه:

- ماكنتش أعرف إنك كنت متجوز اتقابلتوا إزاي؟ احكيلي.

ابتسم أكثر، ابتسامة حزينة رأتها عيني:

- قابلتُها وأنا في الجامعة. كانت أخت واحد صاحبي. كنت بسمع عنها منه، بس عمري ما شوفتها. لغاية ما مرة قابلتها بالصدفة في مكان

ماكنتش أعرف إنها أخته. ماكنتش بصدق في الحب من أول نظرة والكلام ده، بس لما بصيت عليها حسيت إنها هُتبقى حاجة كبيرة في حياتي.

ابتسم وهو يتذكرها وأكمل:

- رحت أتكلم معاها، ودي مش طبيعتي، بس كأن في حاجة بتحركني. هي كمان حشت بنفس إحساسي. بعد شوية صاحبي جه وعرفت إنها أخته وإنها جت من السفر تدرس هنا علشان كده ماكنتش بشوفها. بدأنا ننزل سوا أنا وهي وصاحبي. بعديها قلتله إني عايز أتقدملها.

رغم الألم الذي أشعر به في صدري والإحساس غير المريح الذي لا أفهمه بعد، إلا أنني وجدت نفسي أبتسم بصدق وأنا أسمعه. أحببت ذلك الجانب منه، كيفٌ تلمع عيناه حين يتحدث عنها، وأنا أرى وجهه الخالي من المشاعر يمتلئ بالكثير منها.

- كنا صغيرين أوي. هي كان عندها عشرين سنة وأنا كان عندي تلاتة وعشرين. لما هي خلّصت جامعة اتجوزنا على طول. أول 3 سنينّ كانوا

أحلى سنين في حياتي.

صمت على الّفور وامتلأت عيناه بدموع واضحة لم يستطع أن يمنعها من الإفلات تلك المرة، لكنه سرعان ما مسحها. قلت متألمة وأنا أراه في تلك الحال:

- زین، لو مش عایز تکمل خلاص...

مسح وجهه وأخذ نفسًا عميقًا مرة أخرى:

- أنا تمام... تالت سنة في جوازنا، فريدة بدأت تتعب. أعراض غريبة، فجأة بتترعش جامد، مش بتعرف تسيطر على إيديها. أنا وهي فهمنا إن اللي خايفين منه حصل.

تساءلت بصوت مرتعش:

- هو إيه؟

ماما فريدة اتوفت بسبب مرض اسمه التصلب الجانبي الضموري.

- عارفاه... اسمه ALS؟

أوماً برأسه:

- أيوة هو... كان وراثة في العيلة عندهم، بس كان عندنا أمل إنه مايجلهاش زي ما حصل مع أخواتها الكبار. بس للأسف كان متطور معاها في خلال فترة بسيطة جدًا. بدأت ماتعرفش تعمل حاجة بنفسها. أخدتها وسافرنا كندا علشان الدكتور اللي كإن بيعالج مامتها كان هناك قعدنا هناك سنتين. مع كل شهر كنت بفقرها أكتر... وكنت بموت كل يوم وأنا شايفها كده مش عارف أساعدها. وللأسف في آخر السنتين، بعد ما عانت كتير، خسرت المعركة واتوفت.

انهمرت من عيني الدموع، أعلم ألم فقدان شخص عزيز عليك وشعورك بقلة الحيلة، ولومك لنفسك لأنك لم تستطِع إنقاذه. أمسكت يده لأشعره أنه ليس وحيدًا.

- أنا حاولت على قد ما أقدر أخليها مبسوطة. كانت عايزة آخر أيام ليها تبقى في البيت بعيد عن المستشفيات. في يوم حسيتها مش قادرة تستحمل الوَّجع وبتبصلي كأنها بتعتذر لي إنها ُخلاص هتستسلم... نظر بعيدًا كأنه يرى تلك الأحداث تمرُّ أمام عينيه:

- مسكت إيديها وقلت لها إنها عملت اللي عليها، وجه وقتها ترتاح. كلمت شريف وكل عائلتها فيديو كول علشان يسلموا عليها لأنهم ماكانوش هيلحقوا ييجوا. ابتسمت لما شافتهم وكأنها خلاص مش عايزة حاجة تاني... وسابت الدنيا في هدوء بعد كام ساعة... زي ما

عاشت طول عمرها في هدوء. عمرها ما أذت حد وكان وجودها بيدي طاقة إيجابية. مافيش حد قابلها ما حبهاش.

ثم ابتسم ابتسامة حزينة لم تصل إلى أذنه وقال:

- اتوفت وهي ابتسامتها على وشها.

ضغطت على يده بينما مسخت دموعي بيدي الأخرى. تلك المرة أمسك بيدي وهو شارد، لم تتخرك عيناه عن نفس المكان ولم يلتفت لي. صمث، لم أقل أي كلمة؛ أعلم شعوره، أعلم أنه أخبرني بقصته فقط لكي يرتاح. لا ينتظر الجمل المعتادة التي يخبره بها الناس (هي في مكان أفضل) أو (ربنا يرحمها، بس لازم تشوف حياتك). كل تلك العبارات المحفوظة لا تساعد في أي شيء.

عندما أفَّاقَ من شروده، التفت لي. أفلت يدي من يده ثم ابتسمت له.

- أنا عمري ما هعرف أحط نفسي مكانك وأعرف انت مريت بإيه.. بس اللي أعرفه واللي متأكدة منه إن كل حاجة هتبقى أحسن.. مش مجرد كلام بقوله.. بس ربنا سبحانه وتعالى خلق لنا نعمة النسيان علشان من غيرها قلبنا مش هيستحمل.. مش قصدي إنك هتنساها بالعكس خالص.. هتفضل تفتكرها بس حاول لما تفتكرها تفتكر ذكريات حلوة ما بينكم، وخليك عارف إن الذكريات دي هتفضل عايشة للأبد في قلبك وعمر ما حد هيعرف ياخدها منك.

هز رأسه موافقًا ومسح دموعه ثم أخذ نفسًا عميقًا وابتسم لي.

- شكرًا إنك سمعتيني.. مش بعرف أتكلم عنها قدام حد، كل اللي في حياتي لسة بيتوجعوا لما تيجي سيرتها زيي.. سواء شريف أو حتى أمي وأختي لأنهم كانوا قريبين منها جدًا.

قلت متسائلة:

- شريف؟ شريف اللي أنا أعرفه؟ :

أوماً برأسه.

- أيوة.. شريف يبقى أخو فريدة.

بدأت الآن في الاستيعاب.. أعرف أن له أختًا توفيت منذ أربع سنوات، ولكنني لم أتوقع أن تكون زوجة زين.

- أناً سمعت عن فريدة.. كانت صاحبةً صحابي.. كل الناس زعلوا عليها جدًا.. ربنا يرحمها.. انت من ساعتها ما نزلتش مصر خالص؟

- لا، قعدت أربع سنين هناك، ما كنتش مستعد نفسيًا أنزل مصر.. شغلت نفسي هناك في كذا حاجة.. أخدت دكتوراه في علم النفس كان من زمان نفسي أتعمق فيه.

هززت رأسي متفهمة.

- أيوة في الجامعة اللي بيدرس فيها أحمد أخويا، انت قلتلي.

مسح وجهه بكفيه وقال:

- بالطبط. قوليلي أنت طيب، أي حاجة عن نفسك. أنا اللي بدأت السؤال، وفي الآخر أنا اللي حكيت.

ضحكت ضحكة خافتة."

- عايز تعرف إيه طيب؟

هز کتفیه.

- أي حاجة.. احكيلي عن عائلتك.. مامتك، باباكِ، أخواتك.. أنا عرفت خلاص أحمد، عندك أخوات تانيين؟

انقبض قلبي حين ذكر أخوتي وتغيرت ملامح وجهي. يبدو أنه لاحظ ذلك حيث بدأ على وجهه القلق.

Laure to y x 1

- انتِ كويسة؟

اومات براسي بسرعة.

- آه تمام تمامّ.. أنا بس حاسة إني تعبانة وعايزة أنام.

قال في توتر:

- أيوة, أنا آسف، أنا أخرتك.

- لا والله بالعكس، أنا مبسوطة ومش عايزة أروح، أنا بس دوخت شوية.

قال بقلق:

- انتِ كويسة؟ أجبلك دوا؟

ابتسمت لطمأنته:

- لا، أنا بس أروح أرتاح وأبقى زي الفل.

أدار محرك السيارة وتحركنا.

حين وصلت، ارتميت على فراشي.. لا أستطيع النوم.. أفكر في كل شيء قاله لي اليوم.. رأيت جانبًا له لم أتوقع أن أراه.. جانبًا حنونًا حساسًا.. أشعر أني أريد أن أجعله سعيدًا.. أن أعوضه عن تلك الأيام الصعبة.. لا أدري لماذا؟

أثناء تفكيري فيه، اهتز هاتفي.. نظرت ولم أصدق عيني لأنني وجدت رسالة من زين.

زين: "شكرًا يا نازلي إنك سمعتيني.. إمبارح كان عيد ميلاد فريدة

علشان كده كنت محتاج أتكلّم". انقبض قلبي وفلتت الدموع من عيني. مسحت وجهي ورددتُ عليه. نازلي: "شكرًا إنك حكيت لي.. أنا موجودة في أي وقت يا زين بجد".

زين: أنا كمان.. تصبحي على خير".

### الفصل العاشر

زين

استيقظت مبكرًا. مرّ أسبوعُ على آخر جريمةِ ارتكبها القاتل، ومن المفترض، على حد قوله، أن يكون هناك جريمة جديدة اليوم. بداخلي صراع: من ناحية، أتمنى أن يكون ما قاله مجرد تهديد عابن وأن لا تكون هناك ضحية جديدة. ومن الناحية الأخرى، أريدُ أن يقوم بأي شيء يجعلني أفهمه أكثر، يجعله يرتكب خطأ حتى لو كان صغيرًا.

أوشكت الشمس على الغروب ولا يوجد أي جديد. انغمسث في العمل حتى أتجنب التفكير في فريدة. الأمس كان عيد ميلادها. أعلم كم كانت تتحمس قبل مجيئه، وكانت تحب الاحتفال به طوال الشهر. لذلك، يمرُّ عليُّ هذا اليوم بصعوبة شديدة. وما يزيد الطين بَلْةُ أنني لا أجد أيُّ أحدٍ لأشكو إليه همي. كل المقربين لي ما زال موت فريدة يؤلمهم بشدة حتى بعد مرور كل تلك الأعوام. وطريقة حزننا مختلفة.

الجميع يتجنب الحديث عنها لأنهم في حالة من الإنكار، وكأنّ حين يذكرون اسمها سيتحول موتها إلى واقع. بينما أنا أحبُ أن أذكر اسمها، أحبُ أن أحكي عنها. أريد أن يعرف الجميع من كانت، كيف كان صوتها، كيف كانت عيناها تلمعان حين تتحدث عن شخصٍ أو شيء تحبه، وابتسامتها حين تستقبل كلاب الشارع لكي تطعمهم وتُعطيهم أسماء. كان يحبها الجميع، البشر والحيوانات. أشعر بشعور غريب حين أقابل أحدًا لم يعرفها أو يقابلها. لا أريد أن نتوقف عن ذكرها حتى تُنسى تمامًا وتستمر الحياة بدونها كأنها لم تتواجد.

شعرت بالراحة حين تحدثت عن فريدة أمام نازلي، أمام شخص لا يعرفها، لسببين: الأول لأنها لن تتألم حين أذكر اسمها، والثاني لأن شخصًا جديدًا سيعرف أن فريدة كانت موجودة.

تذكرتُ نازلي وتذكرتُ ذلك الشعور الغريب بالراحة حين أكون معها أو بالقرب منها. أشعر أن الجميع صار غريبًا عني، حتى والدتي. لكن مع نازلي أشعر أنني مع صديقةٍ أعرفها منذ أعوامٍ، وليس بضعة أسابيع.

ظهر على شاشة هاتفي اسم "شريف"، كنتُ أنتظر تلك المكالمة. أُجبتُ المكالمة ﴿ سألته بدون مقدمات:

- جريمة ثالثة؟
  - أيوة.
- طيب ابعتلي اللوكيشن وهاجي.
  - ماشي، بس المكان بعيد شوية.
    - فين؟
    - قریب من مرسی مطروح.
      - تمام، هلبس وأجيلك.
        - ماشي، مستنيك.

سمعتُ صوتًا مألوفًا بجانب شريف، وسريعًا ما أدركت أنه صوت نازلي.

- دي نازلي؟

- أيوة، جت معايا الصبح، عربيتها عجلها نام.

شعرث بإحساس غير مريح: لماذا لم تتصل بي؟ لكن سرعان ما استوعبت مدى سخافتي. بالطبع ستتصل به لأنه صديقها منذ سنوات، وأنا مجرد شخص غريب. كما أنني أشعر أن هناك إعجابًا من ناحية شريف لها. لا أعلم بعد إن كان متبادلًا، لكن في كل الأحوال هذا لا

يعنيني.

قلث قبل أن أنهي المكالمة:

- تمام، جايلك مسافة السكة.

كان المكان على بعد ساعة ونصف، لكنني قدت السيارة بسرعة عالية فوصلتُ في ساعةٍ وبضع دقائق. مسرح الجريمة هذه المرة في صحراء طريق مرسى مطروح.

بحثث عن شريف بعيني، وجدته بجانب نازلي. قال لها شيئا جعل رأسها ترجع إلى الخلف من شدة الضخك. لا أفهم ما يضحكها إلى ذلك الحد، غير أنَّ ذلك ليس الوقت أو المكان المناسب للمزاح. لأول مرة أرى شريف يتصرف بغير جدية في مسرح جريمة.

تُوجهتُ إليهم، وأضاء وجه نَّازِلي بابتسامةِ حين رأتني، لكنني لم أرِّدها إليها. اكتفيت بهز رأسي لها. قلتُ بنبرة جدية:

- صباح الخير يا شريف... صباح الخير يا نازلي.

قال شريف بنبرة مرحة:

- صباح الفل يا زين.

بينما ردت نازلي بصوت منخفض وقد اختفت ابتسامتها:

- صباح الخير.

التفثُّ إلى مكان الجثة التي يحيطها شريطُ أصفر. نظر شريف إلى المكان الذي وقعت عليه عيناي وقال:

- الجثة الثالثة... نفس الكلام: بنت في أوائل العشرينات، اثنين وعشرين طعنة في أماكن متفرقة، ورقم ثلاثة محفور على بطنها بسكين... الجثة زي كل مرة مشوهة، ما حدش هيعرف يتعرف عليها.

أومأَثُ له برأسي واقتربتُ من الجثة. تفحصتها بدقة. تمنيتُ في قلبي أن أجد أي دليل، أي خطأ اقترفه القاتل هذه المرة.

- إيه الأخبار؟

تساءل شريف.

- المرة دي البنت مش شغالة زي البنتين اللي فاتوا.
  - أمال؟
  - شغالة ممرضة.

تساءلت نازلي:

- عرفت منين؟

التفتُ لصوتها، نظرتُ لها لثانية ثم أشرتُ إلى أصابع المجني عليها.

- صوابعها عليها جروح، والحاجات أللي في جلد إيدها دي حساسية من المطاط اللي بيتعمل منه الجوانتيات الطبية... لسه جديدة في الشغل علشان كده لسه بتتعور يعني سنها صغير، ما يعديش العشرين سنة.

صمتث لوهلةٍ أفكر ثم زفرث.

- القاتل مش مركز على فتيات الليل زي ما كنتم متوقعين... القاتل بيقتل أي واحدة يلاقيها بالليل وخلاص. الممرضة أكيد كانت مخلصة شيفت متأخر فمشى وراها وخدرها زي ما عمل مع الضحية الثانية.

تساءل شريف:

- طيب ليه المرة دي اتخلص من الجثة بعيد كده؟

هززتُ كتفي وقلت:

- يمكن خطفها من مكان قريب من بيته فحب يبعدها تمامًا عن المنطقة اللي ساكن فيها.

التفث له متسائلًا:

- المرة دى مافيش رسالة؟

- لا، فيه.

قالها شريف بينما مدلي مغلفًا بالاستيكيّا شفافًا بداخله رسالة مكتوب فيها: "لا يمكنكم الوصول لي بعد؟ بدأت أشعر بالملل. اعملوا بجدية أكبر. ألقاكم بعد أسبوعين مع الجثة الرابعة".

يا له من نرجسيا

أعطيث لشريف الجواب:

- دوروا في المستشفيات عن ممرضة صغيرة اختفت... وابعتلي نتيجة الطب الشرعي لما تطلع.

بدأتُ أتحرك ليوقفني شريف:

- حاضر... انت هتمشي؟

التفتُّ له:

- أيوه، ليه؟

- طیب خد نازلی علی سکتك هی کمان خلصت.

بحثث عنها بعيني، وجدتها تنظر لي لكنها أشاحت بنظرها على الفور. أعدت نظري إليه وأومأت برأسي:

- حاضر... لو فيه جديد كلمني.

اتجهث لها ثم تنحنحث:

- شريف قال لي إنك محتاجة حد يوصلك... أنا مروح دلوقتي تحبي تيجي معايا؟

قالت لي ببرود لم أعده منها:

- مش عايزة أتعبك، ممكن أستني شريف.

- شريف هيخلص بالليل خالص... وأكيد مافيش تعب.

صمتت قليلًا ثم وافقت.

ركبنا السيارة وتحركنا نحو القاهرة. عمّ الصمت في السيارة. استغربث كيف لنازلي أن تجلس بهدوءِ لأكثر من نصف ساعة. نظرتُ لها متسائلًا:

- انټاکويسة؟

قالتْ وهي تتفادى النظر لي:

- أيوه، ليه؟

- قاعده ساكتة ازاي؟

التفتت لي:

- قصدك إني لكاكة؟

- أيوه.

اتسعت عيناها فضحكت.

- دي مش حاجة وحشة... بتسليني. عقدت ذراعيها فوق صدرها وأرجعت ظهرها إلى الخلف.

- أنا آسفة إني مش بسلّي حضرتك النهارده.

تغيرت نبرتي إلى نبرة جدية.

- لا بجد يا نازلي، مالك؟

- انت اللي مالك يا زين؟ إمبارح كنا كويسين، والنهارده عامل نفسك ما تعرفنيش هناك.

sui -

التفتت بجسدها نحوي وقالت غاضبة:

- آه، انت... قالب وشكّ من الصبح.

- مش قصدي أكيد، أنا بكون كده في الشغل... وبعدين كنا في مسرح جريمة يا نازلي، عايزة وشي يبقى عامل إزاي؟

ردت في استسلام وهي لّا تنظر إلى عيني:

- ماشي يا زين، براحتكُ

أعلم أنَّ (ماشي) و (براحتك) في لغة النساء تعنيان (نهارك أسود). تنحنحت قليلًا ثم سألتها:

- مش جعانة؟ فيه مكان أكله حلو قوي قريب من هنا.

التفتت إليّ ببطء ثم قالت وهي تحاولٌ أن تداري اهتمامها:

- عادي يعني، مش قوي.

- طيب، أنا جعان، ينفع تيجي معايا؟

رفعت كتفيها في عدم اهتمام متصنع.

- ماشي، أي حاجَّة، مش فارقة.

## الفصل الحادي عشر نازلي

وصلنا إلى مطعم إيطالي أنيق. فور دخولنا، استقبلتنا رائحة طعام شهية جعلت معدتي تصدر ضوئا. لا أتذكر آخر مرة تناولت فيها الطعام. لقد استيقظت في الفجر على مكالمة من دكتور طارق يخبرني بضرورة حضوري إلى مسرح الجريمة، لكن سيارتي قررت ألا تعمل اليوم، على غير العادة. لحسن حظي أن شريف اتصل بي وعرض علي أن أذهب معه حين أخبرته بحال سيارتي.

طلبنا الطعام في صمت، وأثناء انتظارنا له، اقترب زين مني. شعرت

أن هناك كهرباء قد سارت في جسدي بأكمله، همس لي:

أنا عرفت أوصل لمعلومات عن الضحية الثانية، ولرقم بنت عمتها.
 قلت في عدم استيعاب بسبب قربه مني:

sla -

- الضحية الثانية، عواطف.

تنحنحت وقلت وقد أفاقت من الحالة التي كنت فيها:

- طيب حلو أوى، كلمتها؟

ابتعد عني واعتدل في جلسته:

- لا، عايز نكلمها سوا.

أعجبني شعور أنَّنا صرنا فريقًا:

- طيب هنكلمها إمتى؟

نظر حوله:

- ممكن لما نخلص، مش بحب أتكلم عن قضية في مكان زي ده.

قلت ضاحكة:

- ليه، متراقبين ولا إيه؟

- ليه لأ؟

قلت غير مصدقة:

- انت حصل لك كده قبل كده؟

أوماً پراسه:

- أنا شوفت كل حاجة في الشغلانة دي. أنا اتراقبت واتهددت، وحصلت لي محاولات خطف وأنا بحقق في قضايا قبل كده.

فتحت فمي غير مصدقة:

- احلف؟

ضحك ضحكة خافتة:

 والله.. علشان كده كنت عايز أبعد عن الدنيا دي كلها. القضية دي استثناء، بعديها مش هشتغل تاني في قضايا.

- طيب، حابب تشتغل إيه؟

لمعت عيناه وسرح بخياله كأنه انتقل إلى مكانه المفضل:

 بشتغل على مشروع كده.. مستشفى خيرية مختصة لنفس المرض اللي كان عند فريدة. نستقبل فيه المرضى، نعمل أبحاث ونحاول نلاقي طرق علاج جديدة. يبقى فيه قسم مخصوص للتأهيل النفسي للمريض وعيلة المريض.

أحببت تلك النسخة منه، النسخة المتحمسة والسعيدة. أحببت كيف يحرك يديه وهو يشرح لي مشروعه، لأول مرة أشعر أنه حي. قلت وأنا

متحمسة:

- دي فكرة حلوة أوي بجد يا زين، فريدة أكيد شايفة كل ده ومبسوطة.

ابتسم لي ثم قاطعنا النادل حاملًا أطباقنا. تناولنا الطعام أثناء حديثنا، لم نصمت لحظة، أحكي له عن طفولتي وعن أصدقائي، ويحكي لي عن والدته وأخته الصغيرة اللتان تعيشان في أمريكا. انتهينا من طعامنا لكننا لم نُنهِ حديثنا، لذا أكملناه في السيارة. أوقف السيارة أمام بائع الشوكولاتة الساخنة وكأنه أصبح مكاننا المعتاد. لم ألحظ أنه مر أكثر من خمس ساعات ونحن سويًا.

تمنيت ألا يلاحظ تأخر الوقت حتى لا نفترق، لكن آمالي تحطمت حين اتصلت بي أمي. نظرت إلى الشاشة ولم أجب لبضع ثوانٍ.

- معلش يا زين، لازم أرد، دي ماما.

- آه طبغا، أكيد.

علا صوت أمي من الهاتف، لتدخل كعادتها إلى صلب الموضوع دون مقدمات أو حتى "ألو":

- نازلي، انتِ في الشارع من أربعة الصبح، مش كفاية كده؟ انتِ من أول القضية دي وأنا سايباك للفجر، بس كفاية يا حبيبتي، عندك بيت وأهل، اتفضلي روحي حالًا يا نازلي، كفاية سرمحة في الشارع.

لم أجب من شدة الإحراج، بل ابتسمت في خجل، وأكاد أجزم أنه

سمع حديث أمي بسبب صوتها العالي.

- ألو يا نازلي، مش بتردي ليه؟ سامعاني؟

تنحنحت ثم قلت بصوت منخفض:

- سامعاكِ يا ماما.. حاضر والله، مروحة، أنا خلاص جنب البيت.

 ماشي، يلا حالًا، بقولك إيه، روحي السوبر ماركت اللي تحت البيت وكلميني وانتٍ هناك، عايزاكِ تجيبيلي حاجات.. طنطك فوفا جاية بكرة خلى بالك.

أغمضت عيني في ضيق وزفرت في نفاد صبر.

- ماشي يا ماما، تيجي براحتها، بسّ أنا كده كده برا طول اليوم عندي شغل.

- تعالى البيت ونشوف الكلام ده سوّا يا نازلي. باي.

لم تعطني فرصة للرد، أغلفت المكالمة على الفور. أدّار زين محرك السيارة.

- يلا بينا، ألحق أروحك.

ضحكت في خجل ووضعت يدي في وجهي.

- انت سمعت كل حاجة صح؟

هز رأسه مبتسمًا.

- كل حاجة.. يلا، كفاية سرمحة، لازم أروحك.

تحرك جسدي من شدة الضحك، لكنني لم أخرج وجهي من يدي.

- أوديكِ سوبر ماركت قريب؟

- فيه واحد تحت بيتنا كده كده.

قلت في ضيق:

أصل طنط فوفا بعيد عنك، جاية لنا بكرة فلازم نعملها وليمة.

- مين طنط فوفا؟

- بنت عمة جدي، بس ماما مش بتحتفل بإنها جاية وخلاص.. ده علشان جايبالي عريس.

نظر لي بجانب عينيه.

- عريس؟

- آه عريس علشان أنا خلاص اللي قدي خلفوا، وماما وهي قدي كانت مخلفاني وكل الكلام ده، ماما مش مقتنعة إن 28 سنة يعني أنا لسة طفلة.

- طيب، انتِ هتوافقي؟

- لا طبعًا، ماليش في الجو ده..

ثم تابعت ضاحكة:

- أنا واحدة كبرت على الروايات الرومانسية ومسلسلات تركي ومستنية فارس أحلامي.. بس مشكلتي إن لما واحد بييجي يقولي بحبك بحس إني عايزة أهرب، والاتنين اللي ارتبطت بيهم كسروا لي أحلامي بما فيه الكفاية، فبقيت قافلة الباب ده خلاص.

- هما اللي خسرانين، بس هتغيري رأيك، هتلاقي الشخص المناسب

. قالها وهو يُوقف السيارة تحت بيتي.

- أنا هنزل هنا السوبر ماركت أهو.. شكرًا على التوصيلة وعلى العزومة.

- على إيه! خلي بالك على نفسك.

قالها بنبرة حنونة جعلتني أشعر بدفء يسري في جسدي.

### الفصل الثاني عشر

زين

عدت إلى منزلي متعبًا، خلعت معطفي وألقيته على الكرسي المجاور لباب الشقة. أثناء توجهي إلى المطبخ، وجدت شيئًا غريبًا على طاولة غرفة المعيشة، صندوقًا أسود لم أره من قبل ولم يكن هنا حين تركت المنزل صباحًا. التفتُ حولي في قلق، ثم توجهت إلى الصندوق وبدأت أتفحصه بعيني. استخدمت منديلًا وأنا أفتحه، نظرًا لطبيعة عملي، تعلمت أن لا ألمس أي شيء غريب حتى لا أمحو البصمات الموجودة عليه لعلها تكون دليلًا. قبل أن أفتح الصندوق، أخبرني حدسي أنه لا يعدو كونه استعراضًا من النرجسي الذي نبحث عنه. من غيره سيقتحم بيتى؟

لم يخب ظني، فور فتحي للصندوق، وجدت رسالة تشبه الرسائل التي يتركها القاتل مع ضحاياه. أمسكت بالرسالة بالمنديل لقراءتها:

"إزّيك يا زين، بما إنك مش شايف شغلك، قررت أساعدك أنا. شكلك خلاص مابقاش ليك فيها، خصوصًا بعد ما قعدت سنين سايبها وبتجري ورا مراتك المرحومة. على العموم، سايبلك هدية تساعدك توصلي علشان عايز نتقابل قريب".

بالكاد منعت نفسي من تمزيق الرسالة من شدة غضبي، فور ذكره لفريدة في الرسالة. علم أن تلك نقطة ضعفي، ونجح في استفزازي. نظرت في قاع الصندوق لأجد بطاقة هوية لامرأة شابة. شعرت أن وجهها مألوف، وسرعان ما أدركت أين رأيتها... في مسرح الجريمة. إنها الضحية الثالثة. تعرفت عليها رغم ملامحها التي لم تكن واضحة بسبب التشوهات التي أحدثها القاتل في وجهها. تأكدت من ذلك حين نظرت إلى الوظيفة ووجدتها "ممرضة"، كما توقعت. الضحية كانت في الثامنة عشرة من عمرها.

اتصلت بشريف الذي حضر على الفور ومعه فريقه. فتشوا البيت بأكمله عن أي دليل ولم يجدوا أي شيء. لا توجد بصمات حتى على الصندوق، ولا يوجد أي أثر لاقتحام يبدو أن القاتل كان معه مفتاح الشقة. لا توجد كاميرات مراقبة في العمارة أو في الشوارع المجاورة. لا شيء على الإطلاق، كعادة القاتل الذي يحرص على عدم ترك أي دليل خلفه.

اقترب مني شريف في قلق.

- زين، انت ماينفعش تبات هنا اليوميل دول.

أخذت نفسًا عميقًا.

- ماتخافش عليا يا شريف، أنا خلاص غيرت كالون الشقة.

انفعل شريف.

 كالون إيه يا زين؟ انت مدرك إن القاتل جاب بيتك وكمان دخل وخرج بمنتهى السهولة؟ ممكن ييجي في أي وقت، وماتعرفش ممكن يعمل إيه المرة اللي جاية.

قلت منزعجًا.

- أمال أُعمَل إيه؟ أسيبه يفتكر إنه خوفني وأطلع أجري؟

- ما يفتكر اللي يفتكره يا زين، هو ده وقت عند؟

أجبت بثقة.

مش هيعرف يعملي حاجة، ومفتاح البيت أنا عارف جابه منين.
 عقد شريف حاجبيه وتساءل.

- منین؟

- البنت الشغالة، الوحيدة اللي معاها المفتاح. آخر مرة شوفتها من يومين كانت متوترة، بكلمها دلوقتي موبايلها مقفول.

قال غاضبًا.

- انت عارف ده وساكت؟ هات اسمها وأي معلومات تعرفها عنها هنجيبها حالًا. وعقبال ما نعمل كده، ريحني وتعالى بات معايا.

- يا شريف أن...

قاطعني.

- علشان خاطري.

زفرت وهززت رأسي موافقًا في استسلام. أعلم أنه غاضب مثلي بسبب ذكر فريدة في الرسالة، لا أريد أن أحمله ضغطًا آخر، خاصةً وأنا أعلم أن شريف يقلق بشدة بشأن الأشخاص الذين يحبهم بسبب ما يراه في عمله يوميًا من جرائم مروعة ومشاهد بشعة.

أخذت حاسوبي، وملأت حقيبة سفر صغيرة بملابس تكفيني لأسبوع. أعطاني شريف مفتاح شقته لأنه سيتأخر في عمله. ابتسمت حين دخلت بيته، تذكرت حين كنا نسهر هنا مع أصدقائنا قبل سفري. كانت ضحكاتنا تتعالى للصباح. أشعر بشعور غريب حين أتذكر أنني كنت أضحك في يوم ما. كيف كنت لا أحمل أي هم؟ كانت فريدة تتصل بي دائمًا تعاتبني بدلال.

- يا زين، آنت اتأخرت كده ليه؟ خلاص هتعيش مع شريف؟

لأجيبها ضاحكًا.

- يا حبيبتي، أنا مابقاليش كام ساعة هنا. مش اتفقنا إني هبات وأجيلك بدري بكرة نروح السينما؟

- انت بتغريني يعني، وبعدين هو شريف عايز يسرقك مني. أنا عارفة.

ليتدخل شريف.

- فريدة، زين صاحبي قبل ما يكون جوزك، انتِ اللي دخلتِ ما بيننا وسرقتيه يا حبيبتي مش أنا. وبعدين أنا سايبهولك طول الشهر، سيبيهولي يوم واحد نلعب بلاي ستيشن في سلام.

قالت فريدة بصوت رقيق.

- طيب ما تخلوني آجي أقعد معاكم، مش هعمل صوت والله. زين علمني إزاي أمسك الدراع وألعب وكسبته خمس ماتشات.

نظر لي شريف فهمست له حتى لا تسمع فريدة.

 كنت مفهمها إنها بتلعب بالفريق اللي أنا بلعب بيه علشان لما أكسب تفتكر إنها هي اللي كسبت.

شهقت فريدة شهقة عالية.

سمعتك يا زين مش مصدقة يعني مش أنا اللي كسبتك تسعة صفر؟
 تعالت ضحكاتنا أنا وشريف.

أفقت من ذكرياتي والتفت حولي. إنه نفس البيت لكنني لست نفس الشخص. لم أعد ذلك الزين مرتاح البال. أصبحت نسخة أكثر كآبة وأقل حماسة.

وضعت أشيائي في غرفة الضيوف التي اعتدت أن أبيت فيها، جهزت ملابسي واتجهت إلى الحمام. أنا حقًا في حاجة إلى حمام دافئ. قبل أن أتجه إلى الحمام، أضاءت شاشة هاتفي بإشعار. نظرت إليه فوجدتها رسالة من نازلي. نازلي: "العريس طلع طيار ولقطة فعلًا زي ما طنط فوفا قالت". شعرت بشعور غريب فور رؤيتي لرسالتها. أجبتها على الفور.

زين: "طيب حلو... وافقتِ؟".

حين لم ترد لبضع ثوانٍ، شعرت بتوتر، حتى وجدتها تتصل. أجبت في الحال.

- ألو؟

ردت ضاحكة.

- بارك لي.

ازداد توتّري وقلت متنحنحًا.

- مبروك... طلع مناسب؟

- طلع عنده خمسين سنة.

علت ضحكتها ووجدتني أضحك مقها.

- ده معناه إنك رفضتيه؟

- أكيد يا زين. ده أمي نفسها قاطعت طنط فوفا، الحمد لله.

شعرت براحة غير مبررة وتنفست الصعداء

- كويس علشان تبطل تجيبلك عرسان،

- أيوة، نفسي أمي تهدى وتقتنع إني مش هتجوز غير حد كده يشدني ويحسسني إنه يستاهل أطلعله الفرخة تفك من الفريزر.

تساءلت في عدم فهم.

- فرخة إيه؟

- إفيه كده على الفيس بوك. قصدي يعني حد يستاهل، حد يحبني كده ويتكلم عني قدام الناس كأني أعظم انتصاراته.

- ده کلام فیس بوك برضه.

- أيوة. ما أنا بجيب الكلام ده من بوستات صفحة احتواء.

ضحكت عاليًا، لتتابع هي.

- حد زيك كده...

انسحب نفسي لبضع ثوانٍ حتى تابعت.

- زيك مع فريدة يعني. بحب الطريقة اللي بتتكلم بيها عنها، ما شاء الله. هو ده أنا عايزة كده.

صمت قليلًا لتتساءل مرتبكة:

- هو أنا ضايقتك علشان جيبت سيرة فريدة؟ أنا آسفة...

قاطعتها:

- لا طبعًا، ما ضايقتنيش ولا حاجة. بالعكس... انتِ فعلًا تستاهلي ده. ضحكت ضحكة خافتة:

- أنت أخبارك إيه؟ اوعى تكون نمت وأنا صحيتك؟

- لا، نمت إيه؟ أنا... روحت واتشغلت في حاجة كده.

لا أعلم لماذا أخفيت عنها ما حدث اليومّ. ربما لا أريد أن أقلقها أو أن أغير نبرتها المرحة.

- آها.. طيب، أنا هسيبك بقى تشتغل... أو تنام... أنا هنام... قصدي تصبح على خيريعني.

- وانتِ من أهله يا نازلي.

لم تغفل عيناي حتى شروق الشمس. سهرت أراجع كل تفصيلة في القضية، أريد أن أصل إلى ذلك المختل بأقصي سرعة. لم أواجه قضية بتلك الصعوبة من قبل، ولم يتحداني قاتل من قبل. أعرف أنه يريد

استفزازي ليخرجني عن شعوري ويمنعني من التركيز، ولكنه نجح بعض الشيء حين ذكر اسم فريدة.

شعرت بألم في ظهري بسبب جلوسي لعدة ساعات على كرسي شريف غير المريح. اشتقت إلى كرسي مكتبي. بدأت أتثاءب، لذا توجهت إلى المطبخ لصنع كوب قهوة. أمسكت الكوب المملوء بالقهوة الساخنة واتجهت إلى غرفة المعيشة، لكنني وجدت رجلًا جالسًا على كرسي شريف. أعلم أنه ليس شريف، رغم كوني لا أرى سوى ظهره.

- انت مين؟

لا زلت أحتفظ بهدوئي لعله صديق لشريف، لكنه لم يجبني، لذا كررت سؤالي بصوت حاد:

- بقولك انت مين؟

تلك المرة التفت لي، وجهه ليس مألوفًا بالنسبة لي، ملامحه حادة وغير مريحة. ابتسم لي ابتسامة مريبة:

- إزيك يا زين؟

- انت تعرفني؟

قام من كرسيه واتجه نحوي.

- آه، عارف كل حاجة عنك، بس انت ما تعرفنيش، ليه ماعرفتنيش كل ده؟

نظرت خلفه فوجدت بركة من الدماء. التفت إلى المكان الذي وقعت عليه عيناي ثم التفت لي مجددًا وضحك ضحكة عالية. اقتربت ووجدت مصدر الدماء: جثة امرأة ملقاة على وجهها. تجمدت الدماء في عروقي. لقد عرفت من هي على الفور فصرخت:

- فريدة!

ارتميت بجانبها وأدرتها لأنظر إلى وجهها، لكنها ليست فريدة... إنها نازلي. توقف قلبي عن النبض لبضع ثوانٍ. لا يمكن أن تكون نازلي! هززتها وقلت صارخًا:

- نازلي... فوقي يا نازلي.

أتى صوته من بعيد:

- خلاص، مش هتعرف تعملها حاجة.

لكنني استمريت في محاولة إفاقتها حتى فتحت عينيها. تنفست الصعداء. نظرت لي في ارتباك:

- زين؟

لكن صوتها كان مختلفًا، كان صوتًا ذكوريًا! ما الذي يحدث؟ أنا لا أفهم شيئًا... أشعر أنني لم أعد قادرًا على التنفس، لتنادي عليّ مجددًا:

- زين!

تعالى صوت أنفاسي لتصرخ نازلي:

- يا زين، فوقا

استيقظت فجأة وكأن اللاوعي قد لفظني. نظرت حولي في ذعر:

- أين أنا؟ متى نمت؟

نظرت بجانبي لأجد شريف قلقًا:

- زين، بالراحة، ده كان حلم.

قلبي ينبض بقوة، وأنفاسي أصبحت ثقيلة وكأنني كنت أركض لساعات. أحضر لي شريف كوبًا من الماء. شربته وبدأت نبضات قلبي وأنفاسي في الهدوء.

تساءل شريف:

- انت کویس؟ هززت له رأسی:

- أنا تمام... آسف خضيتك... مش عارف نمت إمتى وإزاي. هي الساعة كام؟

- الساعة عشرة الصبح... قوم طيب نام شوية في الأوضة.

حاولت النهوض من الكرسي، ولكنني شُعرت على الفُور بألم حاد في جسدي جعلني أتأوه. اقترب مني شريف وساعدني على النهوض:

- ده علشان نمت نومة غلط، أجيبلك مسكن؟

أجبت بصوت متألم:

- لا، أنا تمام. هاخد دش أفوق.

- مش هتكمل نوم؟

- لا، نمت حبة حلوين. نام انت مطبق من إمبارح.

- هحاول أناملي ساعتين. محتاج حاجة طيب؟

- لا يا حبيبي، شكرًا.

تذكرت الكابوس فور دخولي الغرفة. ليست المرة الأولى التي يراودني فيها، حيث إنني دائمًا ما كنت أخشى على فريدة بسبب طبيعة عملي، لقد تعرضت لتهديدات كثيرة وأنا أحقق في عدة قضايا. لم أكن أخاف، ولكن نقطة ضعفي كانت فريدة، لذا حين أعمل على قضية صعبة عادةً ما أرى ذلك الكابوس. لكن تلك المرة كانت مختلفة، كانت نازلي مكان فريدة.

أمسكت بهاتفي باحثًا عن اسم نازلي واتصلت بها مرتين، لكنها لم ترد. لعلها لم تستيقظ بعد، فاليوم عطلة، لكنني لم أطمئن. ارتديت ملابسي وأخذت مفتاح السيارة واتجهت إلى منزلها.



# الفصل الثالث عشر

نازلي

حتى في أيام العطلة، لا أستطيع أن أنام في سلام، حيث إن والدتي تصر على إيقاظي مبكرًا لكي نفطر سويًا جميعًا. غسلت وجهي واتجهت إلى طاولة الطعام وأنا شبه نائمة.

- فوقي يا نازلي كده وروحي صَحي أبوكِ.

قلث بكسل ولكنني لم أنهض:

- حاضريا ماما.

- يلا يا بت، قومي.

اشتقت حقًا إلى أبي، لم أره منذ أكثر من شهر. لقد عاد من السفر في الفجر حين كنت نائمة، فهو يسافر كثيرًا بسبب طبيعة عمله كطيار.

اقتربث منه وزرعت قبلة على خده:

- صباح الفل يا بابا.

ابتسم لي دون أن يفتح عينيه:

- لا، ما تعملش نايم.. زوزو هتنفخني لو طلعت لها من غيرك.

صرخت أمي من بعيد:

- يلا يا نازلي، اخلصي!

ليفتح أبي عينيه:

- شوفت بنفسك!

قال ضاحكًا بينما اعتدل في جلسته:

- وحشتيني يا حبيبتي، هاتي حضن.

عانقني عناقًا طويلًا. أحب رائحته كثيرًا، إذا كان للشعور بالأمان رائحة لكانت رائحة والدي. اجتمعنا حول طاولة السفرة المليئة بالطعام الذي يكفي جيشًا كاملًا وليس ثلاثة أفراد.

- انتِ بتلحقي تصحي وتعملي الأكل ده كله إزاي يا زوزو؟ ما تنامي وترتاحي؟

ردت أمي في انزعاج:

- ليه البدلت بيكِ ولا إيه؟ أنا من وأنا صغيرة كده بصحى من سبعة الصبح كلي نشاط، مش عارفة إيه جيلكم المهبب ده.

تستطيع أمي أن تحول أي حوار إلى شكوى مني ومن جيلي بأكمله. نظرتُ لوالدي فكتم ضحكته، لكن أمي رأته:

- إيه يا أحمد بتضحك على إيه؟

- ولا حاجة يا حبيبتي، تسلّم إيدك، الأكل حلو أوي.

ومد يده ممسكًا بيدها طابعًا عليها قبلة. قالت أمى في خجل:

- بصي الراجل بيثبتني إزاي.. بس عسل.

قلث ضاحكة:

- طيب، أسيبكم أنا لوحدكم.

أحب علاقة أمي وأبي، لم أرّ عشقًا كعشق أبي لأمي. فهم يحبون بعضهم منذ الطفولة حيث كانوا جيرانًا، وهم من الأسباب التي جعلتني أومن بالحب. لا أدري كيف لا تفهم أمي أنني لن أتزوج إلا عن حا.

رن هاتفي ووجدتها هانيا. قمتُ من الطاولة: `

- طیب، آنا هرد علی هانیا وهستحمی بعدها، وأسیبکم تستفردوا ببعض.

اتجهت نحو غرفتي وأجبت المكالمة مبتسمة:

- صباح الفل يا هانون.
- صباح الخيريا نازلي.

اختفت ابتسامتي حين سمعت نبرة صوتها:

- في إيه يا هانيا؟ مال صوتك؟
- بصّي، هقولك حاجة بس ما تندمنيش إني قولتلك.

انقبض قلبي:

- فيه إيه ياً هانيا قوليليا

ترددت قليلًا ثم قالت:

- مصطفى هشام رجع من السفر.. علي أخويا شافه في النادي... شعرت كأن قدمي لم تعد قادرة على حملي، دخلت إلى غرفتي بسرعة وأغلقت الباب بالمفتاح حتى لا يسمعني والدي:

- شافه إمتى يا هانيا؟

- من ساعة ولا حاجة، بس ما تعمليش حاجة من غير ما تفكري.

- ماشي يا هانيا، أنا هقفل دلوقتي.

أغلقت المكالمة ووجدت زين يتصل بي، لكنني ألقيت بهاتفي على الفراش لا أقوى على التحدث مع أي مخلوق. أشعر بألم في صدري وأصبحث أتنفس بصعوبة. خذلتني قدماي وسقطت على الأرض. شعرت وكأنني سأموت:

- انتِ كويسة ...

حدثث نفسي:

- انتِ كويسة ...

وضعت يدي على صدري وشعرت أن قلبي سيخرج منه:

- دي Panic attack، آنټ کويسة...

أخبرني طبيبي أن أحبر نفسي بذلك حين تصيبني نوبة الهلع، أن أطمئن نفسي أنني لن أموت كما يخبرني عقلي الذي يصدقه جسدي ويتصرف على هذا النحو. لم تصبني نوبة منذ أكثر من عامين، لذا كانت هذه المرة من أقوى المرات. مرت بضع دقائق لكنني شعرت كأنها سنوات، ثم بدأت الأعراض في الاختفاء شيئا فشيئا، لتتركني جثة هامدة على الأرض. صمت كل شيء حولي لثوانٍ ثم انفجرت في بكاء بدون صوت.

أخبرت نفسي أن ذلك ليس الوقت المناسب للانهيار، علي أن أكون قوية. لذا نهضت بصعوبة، واتجهت إلى الحمام وأخذت حمامًا باردًا لا يتناسب مع برودة شهر ديسمبر، لكنني يجب أن أفيق. أصدرت شهقة عالية حين نزل الماء البارد على رأسي كجبل ثلجي. خرجت من الحمام وأنا أرتعش ولون شفاهي مائل للزرقة، ارتديت ملابسي في عجل واتجهت إلى باب المنزل مسرعة حتى لا يراني والدي:

- ماما، بابا، أنا نازلة بسرعة علشان عايزني ضروري في الشغل.

أغلقت الباب دون أن أنتظر منهم ردا، ركبت أول سيارة أجرة وجدتها أمامي وانطلقنا نحو نادي الجزيرة. وجدث زين يتصل بي مجددًا، أشعر بالذنب لأنني لا أجيبه ولكنني لا أستطيع أن أتحدث في تلك الحال. اتصل بي مرتين، بدأت أشعر أن هناك شيءًا عاجلًا، لكن أي شيء يستطيع أن ينتظر الآن. انفجر هاتفي برسائل من هانيا، لكنني لم أنزل عيني عن الطريق.

وصلت إلى بوابة النادي لأجد هانيا جالسة في سيارتها تنتظرني. نزلت من سيارة الأجرة، فتحت باب سيارتها دون مقدمات وجلست بجانبها:

- يلا يا هانيا وريني هو فين.

- نازلي اهدي، أرجوكِ، أنا غلطانة إني قولتلك يعني؟

- أنا هادية يا هانيا.

اتصل بي زين مجددًا، نظرت للشاشة بتردد:

- مین ده؟

تساءلت هانيا:

- زين القاضي؟

- زين زين؟ بتاع القضية؟

أومأت لها برأسي ثم اتجهت بالسيارة إلى المرآب المجاور للـ Club House. أوقفت هانيا السيارة وأمسكت بذراعي قبل أن أخرج:

- نازلي، انتِ ناوية على إيه؟

- هشوفه.

- وبعد ما تشوفیه؟

- هانيا سيبيني، مش هعمل حاجة.

افلتت يدي من قبضتها، وبحثت عن هاتفي الذي سقط تحت قدمي.

- نازلي

- نعم؟

- فيه عربية ركنت ورانا.

ما تركن ولا تتفلق يا هائيا، مش مهم... فين موبايلي؟
 استسلمت حين لم أجد هاتفي وخرجت من السيارة، لأجد صاحب
 السيارة في وجهي. إنه زين. قلت متفاجئة:

- زين؟

لم أره قلقًا بهذا الشكل في حياتي، هل هو هنا بالصدفة؟

- نازلي مش بتردي عليا ليه؟ انتِ كويسة؟

- آه.. أُسفة، ما لحقتش أرد...

وقفت هانيا بجانبي ثم نظرت إلى زين بدهشة:

- دكتور زين القاضي؟

مدت له يدها ليتصافحا:

- أناهانيا، صاحبة نازلي.

رد عليها بلباقة رغم قلقه ثم التفت لي:

- أنا جيتلك الصبح تحت البيت، كنت عايزك في حاجة، بعدين لقيتك نازلة جري. ناديت عليك، ما سمعتنيش..، أنا آسف إني جيت وراكِ بس شكلك خضني. فيه إيه يا نازلي؟ حد ضايقك؟

لم تنزل عيني عن مدخل الـ Club House، فتساءل:

- نازلي؟

التفت إليه.

 - زين، أنا آسفة والله، أنا كويسة. أنا بس ورايا حاجة لازم أعملها بسرعة وهكلمك.

أسرعت في اتجاه المكان، ولحقت بي هانيا. أخذت أبحث عنه بعيني كالمجنونة حتى وجدته. تسمرت في مكاني، ففي بادئ الأمر لم أتعرف عليه، نظرًا لأن المرة الأخيرة التي رأيته فيها كانت منذ ست سنوات. لكنني عرفته من وسط مليون شخص. وجدته يتحدث مع هانيا ثم اقترب مني، التفت له لأجده علي أخوها.

- نازلي، أنا عايزك تهدي...

قبل أن يكمل جملته، انطلقت نحو الشاب كرصاصة قد وجدت هدفها. يبدو للجميع كشاب لطيف يجلس وسط أصدقائه، قال لهم شيئا جعلهم يضحكون بصوت عال، لكنني أعرف حقيقته، ليس سوى وحش قبيح جبان. اقتربت منه حتى أصبحت أمامه مباشرة، نظر لي مبتسمًا لكنه سرعان ما تعرف علي، فملامحي لم تتغير على عكسه. اختفت ابتسامته واتسعت عيناه، لكنه حاول أن يحتفظ بهدوئه وقال ساخرًا:

- حضرتك هتبصيلي كثير؟ Do I know you؟

لم أنزل عيني من عينيه في تحدٍ، ربما يبدو من الخارج هادنًا وواثقًا من نفسه، لكنني أعرف أنه يرتعد من داخلُه. قلت بنبرة حادة:

- انت مش فأكرني؟ مش مشكلة، بس أكيد فاكر حلاا

أغمض عينيه وانتشر الخوف على وجهه للحظة لم ينتبه لها غيري، ثم عاد يتظاهر بأنه لا يعلم عمَّن أتحدث، وابتسم لي ابتسامة لزجة.

- حلا؟ Nice name. بس ما أعرفش حد بالأسم ده... لا، wait! تظاهر بأنه يفكر ثم قال لصديقه:

- مش دي کانت Syour ex-girlfriend

ضحك صديقه قائلًا:

- لا يا عم, my ex's name was Hams,

- أوف صح...

ثم التفت لي ونظر في عينيَ بوقاحة:

- آسف، ما أعرفش مين حلا.

لم أستطع أن أتمالك أعصابي، هممت بضربه لكن على أمسك بذراعي.

- خلاص يا نازلي! يلا نمشي دلوقتي.

لكنني وجهت كلامي للشاب:

- انتُّ فاكر يا أهبلُّ إن أبوك هيعرف يحميك كتير؟ عاملُ نفسك شجاع وانت كنت هربان زي الخرفان برا. قول لصحابك اللي حواليك دول قد إيه انت عيل جبان وأهبل.

نظروا له جميعهم في قلق، بينما احمرَ وجهه وبرزت عروقه. التفت لنا جميع من في المكان لكنني لم أهتم.

- أنا المرة دي مش هسيبك والله ما هسيبك.

نظرت إلى يساري لأجد زين بجانبي، ينظر لي ولمصطفى ثم نظر إلى يد على الممسكة بذراعي. أفلت ذراعي من يده على الفور.

- علي، سيبني، أنا كويسة.

رد مصطفى ساخرًا:

- لا، ماتسيبهاش لحسن تضربني. I am so scared, dude.

انطلقت نحوه لكن هذه المرة زين من أمسك بذراعي، نظر لي نظرته التي لا أحبها، تلك التي لا تفصح عن أي مشاعر. لا أعرف بما يفكر أو بما يشعى لكن من المؤكد أنه يراني مجنونة الآن. أتفهم إذا أراد أن يقطع علاقته بي بعد اليوم. قال لي بنبرة هادئة:

- نازلي، اهدي... شوفي هو مضايقك في إيه، وأنا هتصرف.

نظرت اليه متفاجئة، لم يخبرني بأنني مجنونة أو طلب مني الرحيل، بل عرض علي أن يساعدني. لم تنزل عيناه عن عيني، ينتظر بصبر أن أجيبه.

- طيب، ممكن كفاية دراما وتمشوا من هنا بدل ما أجيب الأمن يمشوها؟

التفت زين إلى مصطفى ونظر له نظرة جعلت ابتسامته المغرورة

تختفي. التفث حولي، الجميع ينظر إلينا، هناك منهم من يعرفني شخصيًا أو من عملي، وهناك من يعرف زين من صوره التي انتشرت على مواقع السوشيال ميديا. بدأت في استيعاب أين أنا وماذا أفعل حين انخفض مستوى الأدرينالين في جسدي. بدأت عيني تلمع بالدموع، نظر إلي زين.

- أنا عايزة أروح يا زين...

قلتها بصوت متعب يكاد يكون غير مسموع، لكنه هز لي رأسه ووضع ذراعه خلفي ليساعدني في السير، لكن غلا صوت مصطفى:

- سلام يا مجنونة.

تجمدت مكاني، وتحرك زين من خلفي، تبعته بعيني لأجده يقترب من الشاب بسرعة ثم لكمه في وجهه لكمة جعلته يسقط على الأرض فورًا ويتأوه بصوت عالٍ. أمسك بأنفه الذي انفجرت منه الدماء ثم صاح به:

- والله لأكلملك أبويا، انت مش عارَّف أنا مين؟ والله ليجيبك.

ليقترب منه زين ويقول بصوت حاد لكن هادئ:

- كلم لي أبوك وأبو أبوك.

ثم أُخْرِجُ بطاقته وألقاها في وجِهه،

- ابقى قول لبابي إن ده الكارت بتاعي، خليه يكلمنى.

ثم اتجه نحوي ووضع ذراعه خلف ظهري وقال بغضب مكتوم:

- يلايا نازلي!

سرت معه وخلفنا هانيا وأخيها ثم انفجرت في البكاء حين وصلنا إلى السيارة. شعرت للحظة أنه سيعانقني لكنه ابتعد وزفر بقوة ممسكا براسه. ركضت هانيا نحوي وعانقتني بقوة، أخبرتها بصوت مكتوم:

- عايزة أروح يا هانيا... عايزة أروح.

- حاضر یا حبیبتی، هروحك یلا.

اقترب زين.

- ممكن أروحك أنا يَا نازلي؟

نظرت لي هانيا منتظرة أن أجيبه، اقترب مني حين لم أجب، وأعاد السؤال بنبرة حنونة:

- أنا هروحك، ممكن؟

هززت رأسي موافقة. توقعت أن ينهال عليّ بالأسئلة فور ركوبنا السيارة، لكنه لم يتكلم طوال الطريق. أخذت أنظر من النافذة إلى الشوارع الهادئة، بيتما يداعب الهواء البارد شعري. أغمضت عيني قليلًا حتى وصلنا إلى مكان لا أعرفه. أوقف زين السيارة، ثم التفت لي.

- ممكن لو حابة ننزل نقعد شوية هناك المكان هيعجبك بلاش تروحي لمامتك بالحالة ديه

هززت له رأسي موافقة.

دخلنا مطعمًا يطل على النيل مباشرة، الديكور فيه بسيط ومريح وكأننا في اليونان. رحب النادل بزين على الفور، يبدو أنه يأتي هنا كثيرًا. أرشدنا إلى طاولة بجوار نافذة كبيرة. شد زين الكرسي لي وأطمأن أنني جلست ثم اتجه للكرسي المواجه لي وجلس. أشار للنادل:

جلست ثم اتجه للكرسي المواجه لي وجلس. أشار للنادل: - عايز واحد "كابتشينو" وواحد "hot chocolate" لغاية ما نشوف هناكل إيه.

- أوامرك يا زين بيه.

ثم ابتعد ليتركنا وحدنا. نظر لي زين وقال مبتسمًا:

أنتِ ودتيني مكانك المفضل وأنا قررت أوديكِ مكاني المفضل.
 ابتسمت له:

- شكرًا يا زين... أنا آسفة إني حطيتك في الموقف ده... انت أكيد اتضايقت.

مال نحوي ووضع رسغيه على الطاولة:

- نازلي... أنا اللي ضايقني حاجة واحدة.

نظرت إليه..

- إني شفتك متضايقة كده.

تساءلت كالبلهاء:

5la -

- أنا مش عايز أبدًا أشوفك مضايقة وبتعيطي كده تاني.

نعم، أدري. ليست من عادتي أن أبكي أمام أحد حتى لا يظنوني ضعيفة. لا بد أنه يراني هكذا الآن، لكنه أكمل كأنه قرأ أفكاري.

- أنا مش قصدي إني مش عايزك تعيطي قدامي. اعملي اللي انت عايزاه قدامي عادي، أنا قصدي إني مش عايز أي حاجة تضايقك بالشكل ده وأنا موجود. قوليلي وأنا هتصرف.

لم أعتد أن يحل لي أي شخص مشاكلي، فأنا الأخت الكبرى. أنا من أدافع عن إخوتي وأحميهم. والبنت الكبرى، أنا من أساعد والدتي في كل شيء، خاصة بسبب غياب أبي معظم الوقت بسبب عمله. وبين أصدقائي، أنا من تساعد وتجد الحلول وتستمع جيدًا. لذا اعتدت على ألا أعتمد على أي شخص. تلك هي المرة الأولى التي يطلب مني أحد أن يساعدني وليس العكس. لم أدرك من قبل مدى احتياجي إلى شخص ألجأ إليه سوى الآن.

- زين، أنا مش عايزة أدوشك بمشاكلي، إحنا ورانا قضية، وانت وراك

مليون حاجة.

- مافيش حاجة من دول أهم منك دلوقتي.. يلا أنا سامعك.

شعرت بدفء يسري في كل جسدي رغم برودة الجو. ترددت قليلًا، ثم قلت لنفسي: لِمَ لا؟ لَمَ لا أشارك ذلك الحمل مع شخص آخر؟

- أنا عندي أخت اسمها حلا... أو كان عندي.

شغلت يدّي في تمزيق منديل حتى أخفّي توتري، لكنه أمسك يدي مشجعًا، ثم أفلتها حين نظرت له، فأكملت:

 حلاً كانت زي بنتي. ماما جابتها وأنا في الإعدادية، فكنت أنا اللي ربيتها وكنت متعلقة بيها قوي. كنت بعملها كل حاجة بنفسي.

ابتسم لي مشجعًا حتى أكمل:

 كنت متعودة إن أنا اللي بوديها وبروحها من المدرسة كل يوم، بس في يوم حصلت مشكلة في الشغل وماعرفتش أخلص بدري عشان أروحها. فبابا واحدة صاحبتها أخدها وروحها مع بنته. بس عربية ماشية مخالف خبطتهم من ناحية الباب اللي كانت حلا قاعدة فيه. الأب وبنته حصلهم جروح خطيرة، بس بعد كام يوم بقوا كويسين... بس حلا...

وضع يده على فمه في صمت وكأنه توقع بقية الجملة، هززت له رأسي مؤكدة لما يفكر فيه.

- وصلت للمستشفى متوفية. أنا أول واحدة عرفت وشوفتها هناك. وأنا اللي كلمت ماما وبابا وقولتلهم الخبر ده...

ثم نظّرت لأسفل وقلت في شرود بينما سالت الدموع من عيني دون أن أشعر:

وأنا اللي كنت السبب. لو كنت روحتها ماكنتش ركبت معاه.

قاطعني زين.

- نازليا

أومأت برأسي.

- عارفة، عارفة. الدكاترة النفسيين كلهم قالولي نفس الكلام: إني مش أنا... وإن ده قدرها. عارفة هتقول إيه، بس هفضل دايمًا غصب عني فيه حتة جوايا مقتنعة بده... على الأقل لغاية ما أجيب حقها.

زفر متسائلًا:

هو اللي عمل كده ماتعاقبش؟

هززت رأسي نافية.

- لا... كان ولد عنده خمستاشر سنة، ماعندهوش رخصة أصلًا. أخد العربية من باباه يلعب بيها. لا وكمان طلع كان شارب. وبما إن باباه مستشار كبير، طلع ابنه زي الشعرة من العجينة. ما دخلش حتى الحبس يوم. انت متخيل؟ وسفره على طول على أمريكا.
  - ابنه اللي كان في النادي؟

أومأت برأسي.

- أيوة... مصطفى هشام فوزي... أبن المستشار الكبير الفاسد هشام فوزى.

عقد حاجبيه.

- أنا عارفه.

أيوة هو مشهور.

- لا، أنا عارفه شخصيًا. قابلته قبل كده كذا مرة واتعاملنا في شغل أنا وهو وشريف. ماقولتيش لشريف؟
- لا، ما قولتش لحد. البوليس كده كده ماعملوش أي حاجة مع إن معاهم أدلة كتيرة...

ابتسمت بحزن ثم تابعت:

أنا من يومها وأنا بدأت أحقق في قضايا البوليس مش مديلها أهمية،
 وبدأت أفصح عن ناس كتير فاسدة زيّه، لغاية ما الدور ييجي عليه.

أجاب بقلق:

- بس ده خطر أوي يا نازلي!

- بس لستاهل.

نظرت بجانب يدي ووجدت أن النادل أحضر مشروبي دون أن أنتبه. أشار زين للكوب وقال بصوت حنون:

- اشربي يا نازلي قبل ما يبرد.

#### الفصل الرابع عشر

#### زين

أوشكت المهلة التي حددها القاتل على النفاد، غذا سيكون قد مضى أسبوعان منذ اكتشاف الجثة الثالثة، مما يعني أننا على وشك العثور على جثة رابعة، هناك امرأة أخرى ستلفظ أنفاسها الأخيرة ونحن هنا متفرجون. أشعر بالعجز، رجال الشرطة يعملون بكل جهدهم ولكن لا يوجد أي جديد.

بدأ الرَّأي العام في الغضب، الجميع يحمل الشرطة مسؤولية التأخير في إيجاد القاتل، مما جعل الجميع متوترًا. حين أرى شريف، وذلك نادرًا بسبب انشغاله في القضية، أشعر بأنه مثل الزومبي، لم ينم منذ عدة

أيام.

عدت إلى منزلي منذ بضعة أيام. تلك المرة، أصر شريف على تركيب كاميرات مراقبة أمام شقتي وفي مدخل العمارة.

أمسكت حاسوبي وبدأت العمل على قضية مختلفة، قضية مقتل "حلا عوض أحمد السيد". ساعدني شريف وأعطاني أوراقًا ومستندات القضية وتقارير الطب الشرعي. هناك تلاعب واضح في الأدلة، وهناك أدلة مهمة تم إهمالها ولم يتم ذكرها في المحاكمة الوحيدة التي أجروها قبل إعلان براءته على الفور.

هناك أمل كبير بمساعدة شريف في أن نتمكن من إعادة فتح القضية، وأن نحرص هذه المرة على ألا يفلت من العقاب. لكنني لن أخبر نازلي حتى يصبح كل شيء أكيدًا، حتى لا تصاب بالإحباط إذا لم ننجح،

ولكنني سأحرص على ألا يحدث ذلك.

أخرجني من تركيزي صوت رئين هاتفي، وجدت اسم نازلي فَأَجَبْتُ على الفور.

- ألو يا زين، عندي ليك خبر جامد، مستعد تسمعه؟

تساءلت بصوتها المرح المعتاد الذي فرحت كثيرًا بعودته. بعد ما حدث في النادي، أغلقت على نفسها ورأيتها تنطفى. حاولت كثيرًا أن أخرجها من تلك الحال، حرصت يوميًا على أن أراها حتى لو للحظة لأطمئن عليها، حتى أصبحت في حال أفضل بعد مرور بضعة أيام. شعرت بالسعادة وأنا أراها يومًا بعد يوم تعود إلى طبيعتها المليئة بالحيوية، وتملكني شعور بأنني مسؤول عن سعادتها، لن أسمح بأن أراها في تلك الهيئة مجددًا.

أجبت ميتسمًا:

- amise.

- أنا وصلت لبنت عمة الضحية الثانية هالة.. أو عواطف يعني.

اعتدلت في جلستي:

- ازاي؟

أُخِدَتُ نَفْسًا عَمِيقًا وَبِدَأْتَ فِي الشَرِحِ:

- بص، هي هند ماتعرفش خالص بيت بنت عمتها ولا اسمها. حتى دورت مافيش أي معلومات أصلًا عن عائلة عواطف، بس أعرف حد في قرية قريبة من قريتها خليتهم يسألوا هناك. عرفت إن عائلتها بسيطة، عواطف عندها ستاشر أخ وأخت، فأهلها مش عارفين يركزوا مع مين ولا مين، علشان كده ما حسوش بيها لما اختفت، متخيل؟

هززت رأسي وكأنها تراني ثم تساءلت:

<sup>-</sup> وبعدين؟

- قرايبها كثير أوي، أوي بجد. قعدنا نسأل كتير لحد ما عرفنا إيه بنت عمة فيهم اللي نقلت القاهرة، لغاية ما وصلنا لواحدة. عرفنا اسم جوزها، ما حدش رضي يقول اسمها. بس اللي عرفته إنهم ساكنين في الدقي.

- طيب، انتِ قلتِ لشريف عن المعلومات دي؟

- لالسه.. عادةً بقول بعد ما أتأكد إن معلوماتي صح علشان ما اشغُلهمش على الفاضي، خصوصًا إني بدور في نقط وقعوا منهم وما ركزوش فيها.

- بس القضية دي مختلفة ومهمة أوي، أي معلومة هتفرق.

صمتت لثوانٍ وسمعت صوت سيارات حولها. أخذت نفسًا عميمًا ثم تساءلت:

- نازلي انتِ فين؟

لم تجبني، فتابعت بخيبة أمل:

- انتِ رايحة في السكة صح؟

- هفهمك.. أصلُّ اتحمست أول ما وصلت لعنوانهم.

قلت مستسلمًا:

ابعتيلي العنوان يا نازلي، وماتطلعيش غير لما أجيلك.

وضعت الموقع الذي أرسلته لي نازلي، وسرت خلف إرشاداته. دخلت في أزقة ضيقة وسط مبان متهالكة، وبدأ بعض أطفال المنطقة يركضون خلف سيارتي ويصيحون في فرح وكأنها سيارة "بابا نويل". أعلن هاتفي أنني وصلت إلى وجهتي. بالكاد وجدت مكانًا لأوقف سيارتي. أخذت أبحث عن سيارة نازلي لكنني لم أجدها. أمسكت هاتفي باحثًا عن اسمها لأتصل بها، لكن قاطعني صوت طرق على زجاج النافذة. التفت لأجدها نازلي تشير لي لكي أنزل الزجاج، لكنني فتحت الباب وخرجت من السيارة.

تساءلت بدون مقدمات:

- فين عربيتك؟

نظرت حولها:

- ماكنتش عايزة ألفت الانتباه، ركنتها بعيد وركبت توك توك.

ضحكت رغمًا عني، بينما أشارت هي إلى سيارتي المرسيدس التي اجتمع الأطفال حولها وبدأوا في أخذ الصور بجوارها:

- نسيت أقولك تعمل زيي.

- لا عادي، مافيش مشكلةً.

قلت ملتفتًا حولى:

- تعرفي هما في أي بيت؟

أومأت برأسها وأشارت إلى مبنى مكون من طابقين، يستطيع الريح القوي أن يسقطه أرضًا من شدة تهالكه. تتبعتها وصعدنا السلالم حتى وصلنا إلى باب الشقة. ترددت نازلي قليلًا ثم طرقت بيدها الرقيقة على الباب الخشبي. فتح الباب على الفور وخرجت من خلفه طفلة لا يتعدى عمرها الخمس سنوات. نظرت لنا ببراءة متسائلة:

- انتم مین؟

قالت نازلي بنبرة حنونة:

- إزيك يا حبيبتي.. ماما موجودة؟

- آه، أقولها مين؟

نظرت لِي نازلي وكأنها تستنجد بي، فتدخلت:

- إحنا أصحاب واحدة قريبتها.. ممكن تناديهالنا؟

أومأت برأسها ثم انطلقت داخل المنزل وصاحت بصوتها الطفولي:

- ماما.. فيه راجل وست عايزينك برا.

مضت بضع دقائق بدأنا نظن فيها أنها لن تأتي، لكنها ظهرت أخيرًا مرتدية إسدال صلاة وأخفت وجهها بطرحة سوداء تاركة عينيها فقط تتفحصنا بهما.

- أؤمروني، عايزيني في إيه؟

تدخلت نازلی:

- إزاي حضرتك يا مدام فتحية؟ حابين نتكلم معاك بسرعة لو مافيش
 إزعاج، بس بخصوص واحدة قريبتك.

عقدت حاجبيها متسائلة:

- قريبتي مين؟

تنحنحت نازلي ثم أجابتها:

- عواطف. عواطف فهمي عبد الحميد، بنت عمتك.

اتسعت عيناها وارتبكت:

- ماعرفش حد بالاسم ده، أكيد غلطانين في العنوان.. أستأذنكم.

كادت تغلق الباب، لكن نازلي منعتها:

- لو سمحتِ اسمعيني بس.. إحنا محتاجينك تساعدينا علشان نوصلها.

ثم أخذت نفشا عميقًا وتابعت:

- فيه احتمال تكون عواطف اتقتلت.

شهقت فتحية شهقة غير مسموعة ونظرت حولها وكأنها تخشى أن يرانا أحد:

 أنا ماعرفش عنها حاجة بقالها سنين.. حاولت تتواصل معايا لما جت القاهرة وكانت عايزة تشوفني.

تساءلت نازلي:

- وشوفتيها؟

ردت فتحية بنبرة حادة:

لا طبغا.. ده جوزي يقتلني فيها. عواطف سمعتها بطالة وعيلتنا كلها
 اتبرت مها.

قالت نازلي مدافعة:

- عواطف كانت طفلة وأهلها كانوا عايزين يجوزوها لراجل عنده ستين سنة.. ماحدش فيكم جرب يساعدها أو يقف جنبها، أهلها السبب في كل ده، ولو ماتت هيبقى هما السبب برضو.

تجمعت الدموع في عيون فتحية، لكنها قالت ببرود:

- هي كدا كدا ماتت بالنسبة لأهلها.

تساءلت نازلي:

- طيب وبالنسبة لك؟

زفرت فتحية:

- انتم عايزين مني إيه؟

أجبث سؤالها:

 انتِ الوحيدة اللي من عيلتها هنا. عايزين ناخد عينة من الحمض النووي بتاعك علشان نطابقها مع الجثة اللي لقوها، علشان نعرف إذا كانت عواطف ولا لأ.

عقدت حاجبيها:

- وأنا أديكم البتاع ده إزاي يعني؟ مش فاهمة.

وضحت نازلي:

- الموضوع بسيط. محتاجين منك خصلة شعر صغيرة، أو هاتي فرشة فيها شعرك.

ضيقت عينيها وقالت بنبرة مليئة بالاتهام:

 انتم تبع أخو عوض وعايزين تجيبوا حاجة من قطري علشان تعملوا لي عمل؟

ضحكت رغمًا عني وابتسمت نازلي مطمئنة:

- يا فتحية عمل إيه؟

ثم أشارت نحوي:

- يا فتحية ده أكبر طبيب شرعي في مصر وشغالين على قضية كبيرة.

نظرت لي فتحية فأومأت برأسي لها، ثم أخرجت لها بطاقة هويتى.

- يعني انتم عايزين فرشة شعري وخلاص كده؟

أومأت نازلي برأسها:

- بالظبط كده.

- طيب اوعوا عوض جوزي يعرف حاجة أو يشم خبر، بيتي هيتخرب.

- ما تقلقيش يا فتحية والله.

زفرت في استسلام، ثم دخلت منزلها وعادت بمشط قديم به آثار شعرها، أعطته لنازلي. أخرجت نازلي شيئًا من حقيبتها، حين نظرت جيدًا وجدتها الصور القديمة التي وجدناها في محفظة عواطف.

- تعرفي مين الست دي؟

لمعت عينا فتحية حين رأتها وابتسمت:

- دي ستي الله يرحمها، كانت أقرب واحدة لعواطف.

أوصلت نازلي إلى منزلها ثم عدت إلى بيتي. أخرجت المفتاح وهممت بفتح الباب، لكن قدمي اصطدمت بشيء صلب. نظرت إلى أسفل فوجدت صندوقًا يشبه الذي تركه القاتل داخل منزلي. التفت حولي لكنني لم أجد أحدًا. انحنيت لأحمل الصندوق وحذرت ألا ألمسه بأصابعي ودخلت شقتي. تأكدت أنه لا يوجد أحد في المنزل ثم اقتربت من الصندوق الذي بعثه في المرة من الصندوق الذي بعثه في المرة الأولى. ما إن فتحته حتى أخذت أستكشف محتوياته بعيني. يوجد بداخله العديد من الجرائد، وفوقهم رسالة. أمسكت بالرسالة وبدأت قراءتها:

"أنا معجب كبير بيك يا زين من زمان، والدليل في الصندوق. أنا مجمع كل نسخ الجرائد اللي اتذكر فيها الجرائم اللي انت حليتها. مستني تحل القضية دي. وعلشان انت حبيبي هديك شرف إنك تلاقي الجثة الرابعة بنفسك. ركز في الرسالة الثانية علشان تعرف تلاقيها".

بحثت في الظرف ووجدَّت رسالة أخرى، فتحتها بسرعة وبدأت أقرأها:

"علشان تلاقي الجثة، ارجع للبداية. الزعيم هيشاور لك. روح ناحية الزهور وامشي ورا موسيقى "بيتهوفن"، هتلاقيها تحت رجليك".

أخذت أقلب في الصندوق كالمجنون لكنني لم أجد أي شيء سوى نسخ من الجرائد، ورسم دوائر على كل خبر متعلق بقضية قمت بحلها. لم يغفل عن قضية واحدة. أسرعت إلى حاسوبي وفتحت كاميرات

extent to the Charles

المراقبة التي تسجل كل شيء. ضغطت على الفيديو الذي سجلته اليوم، جعلته يعمل على أقصى سرعة وأخذت أشاهده بكل تركيز، حتى ظهر شخص. لقد صعد الدرج بدلًا من المصعد. لا أستطيع أن أرى شيئًا، مجرد خيال أسود. دققت النظر حتى بدأت في الاستيعاب. إنه شخص يرتدي النقاب، لذا لا أستطيع أن أرى ملامحه. زفرت ودفعت حاسوبي في غضب ثم أمسكت بهاتفي واتصلت بشريف الذي أجاب على الفور

- زين حبيبي، كنا لسه في سيرتك أنا ونازلي..ً

نازلي؟

مَاذًا تفعل مع.. ما الذي أفكر به؟ هذا ليس الوقت المناسب. قاطعته في ضيق:

- شريف، الحيوان ده ساب لي صندوق تاني قدام باب الشقة، والمرة ديه سايب لي رسالة المفروض أعرف منها مكان الجثة الجديدة.

رد شریف بغضب:

- أنا جايلك دلوقتي حالًا. خمس دقائق وأبقى عندك.

#### الفصل الخامس عشر

نازلي

لم يخبرني زين أن القاتل ترك له صندوقًا من قبل، ما إن تخيلت أن زين في خطر حتى شعرت بألم في معدتي من شدة الخوف والقلق. ذهبنا إلى منزله على الفور ومعنا بعض أفراد الشرطة. ما إن رأيت زين، أسرعت نحوه.

- زین، انت کویس؟

رغم الموقف المتوتر، إلا أنه حافظ على هدوئه المعتاد. لا أدري كيف يستطيع أن يتمالك أعصابه حتى في أصعب الأوقات.

- أنا زي الفل، ما تقلقوش.

اقترب شريف من الصندوق بينما انتشر الجنود في أرجاء المنزل يفتشونه بدقة. أمسك شريف بالرسائل التي كتبها القاتل وقرأها بصوت مرتفع. ما إن انتهى من قراءة الرسالة الثانية حتى قال بغضب:

- هو بروح أمه ده بقى بيألف ألغاز كمان؟ نفهم إيه من الرسالة دي؟
 وضع زين كفيه على وجهه وزفر، ثم أخذ منه الرسالة وقال في ضيق:

- بحاول أفهم بس مش عارف.

تساءلت:

- طبِب هو مش سايب أي دليل تاني؟

هز رأسه نافيًا:

 مجرد أعداد من الجرائد اللي اتكتب فيها عن الجرائم اللي أنا حليتها بالترتيب.

صمت، ثم لمعت عينيه وأسرع نحو الصندوق وأخرج الجرائد. أخذنا نراقبه وننتظر في ترقب أي كلمة تصدر منه. اقترب عسكري وقال لشريف:

- يا باشا، فرغنا كل الكاميرات وما فيش حد ظاهر غير ست منقبة نزلت من تاكسي، مش عربية نعرف نتتبعها، مش لاقيين حاجة تانية.

قال شريف بنبرة صارمة بينما لم ينزل عينيه عن زين:

خدو الفيديوهات وخلوا الفريق المتخصص يفحصهم مليون مرة،
 ما فيش حاجة اسمها مش لاقيين حاجة.

- أوامرك يا سعادة الباشا.

ثم رحل. قال زين بحماس:

- أنا فهمت يعني إيه البداية... قصده على أول جريمة أنا حليتها. تساءل شريف:

- طيب ومين الزعيم ده؟ عادل إمام ولا إيه؟

نظر له زين من جانب عينيه ثم تابع ممسكًا بجريدة:

- أول جريمة حليتها كانت في الزمالك... الراجل اللي قتل مراته وعمل إن حرامية اعتدوا عليها... ما علينا، هناك فيه تمثال لسعد زغلول، إيده بتشاور على شارع، أظن ده الشارع اللي هنلاقي فيه الجثة.

يا للهول، إنه بالفعل عبقري كما يقول الجميع. ضحك شريف بحماس وأمسك زين من ذراعه:

- عالمي والله، هو ده زين اللي أعرفه... يلا بينا على هناك بسرعة.

ركبنا سيارة زين، جلس شريف بجواره بينما جلست في المقعد الخلفي. أشعر بالحماس، لم أعمل على قضية بكل هذه الأحداث من قبل، بل إنني لم أسمع عن قضايا مشابهة إلا في أفلام هوليوود. وصلنا إلى

The land the / Vt

المكان وأوقف زين السيارة أمام مبنى وتوقفت خلفنا سيارات الشرطة. خرجناً من السيارة ونظر زين إلى المبنى:

- دي العمارة اللي حصلت فيها الجريمة، مش عارف قصده عليها ولا

لأ, هو قال روح ناحية الزهور، مش عارف قصده إيه.

أخذت أتفحص المكان حولي، ما الذي يقصده بالزهور؟ هل يوجد متجر يبيعها هنا؟ أخذت أبحث بعيني حتى وجدتها. أمسكت ذراع زين بحماس وشاورت على مبنى خلفنا:

- زين، بص هناك

نظر إلى المكان الذي أشرت إليه، صمت قليلًا لكنه سرعان ما استوعب وقال مندهشًا:

- برج الزهورا

أيوة، يمكن قصده عليه.

أسرعنا جميعًا نحو المبنى، وجدنا كل حراس المباني وكل من في المنطقة ينظرون لنا بفضول. دخلنا المبنى حيث وجدنًا أمن العمارة جالسًا على مكتب، انتفض ما إن رآنا.

- خير يا سعادة الباشا، فيه حاجة؟

أجاب شريف بنبرة جادة:

- فيه كاميرات هنا في العمارة؟

أجاب في قلق:

لا يا باشا، خير فيه حاجة؟

التفت شريف إلينا وهمس بصوت لا يسمعه سوانا:

- إيه الجزء اللي بعد الزهور ولا مش عارف إيه اللي في الرسالة؟ أجابه زين على الفور:

- موسيقى "بيتهوفن".

زفر شريف في ضيق:

- والله عيب، أنا جاى أحل فوازير على آخر الزمن.

ثم التفت لفرد الأمن:

- عندكم حد هنا بيلعب بيانو؟

تساء إلى الرجل:

- بيأنو؟ والله يا باشا أنا ما أعرفش حاجة، أنا مجرد أمن هنا، بقعد ورديتي أشوف مين داخل ومين طالع وبمشي، ماليش دعوة بأي حاجة ellu.

أمسك شريف رسغيه في غضب والتفت لزين:

- إحنا ما قدمناش غير إننا نفتش كل الشقق.

نادى أفراد الشرطة:

- عايزكم تتوزعوا وتفتشوا شقة شقة، وعايز جزء منكم يروح يشوف أى محل أو عمارة في الشارع عندها كاميرات.

ثم وجه حديثه لفرد الأمن:

- انتم كام فرد أمن وكام وردية؟

- اتنين بس، أنا وزميلي مسعد، هو بييجي من الفجر للمغرب وأنا من المغرب للفجر

هز شریف رأسه:

- طيب كلمه ييجي حالًا، وقولي شوفت اليومين اللي فاتوا أي حد غريب طالع أو نازل؟

- ما أظنش يا باشا.

قال شريف غاضبًا:

- هو إيه اللي ما أظنش... يا آه يا لأ؟

ارتعش الرجل:

 - يا باشا، أصل فيه بتوع دليفري كثير بييجوا... وفيه مدرس في الدور الخامس بيجيله طلاب مرتين في الأسبوع، العمارة مليانة سكان وشقق كتيرة فمش فاكر كل وشوشهم.

رد شریف باستهزاء:

- لا انت حقيقي فرد أمن هايل.

قاطعه زين:

- شريف! سامع؟

عقد شریف حاجبیه:

- سامع إيه؟

أشار إلى المصعد:

- الموسيقى بتاعة الأسانسير.

التفتنا جميعًا إلى المصعد، وصمت الجميع ليسمعوا جيدًا. أوشك المصعد على النزول للدور الأرضي، لذا أصبح صوت الموسيقى أوضح. اتسعت عيناي وقلت بصوت مرتفع:

- دي موسيقى "بيتهوفن".

نظر لي زين وأوماً برأسه بحماس:

- بالطبط ... كده مش فاضل غير آخر جملة اللي هي تحت رجليك.

ارتفع صوته:

- شريف، الجثة في بير الأسانسير.

صاح شريف في العساكر:

- فتشوا حالًا بيّر الأسانسير.

أسرع العساكر نحو المصعد، وساعدهم فرد الأمن في فصل الكهرباء عن المصعد وفتح بابه ليتمكنوا من التفتيش تحته. مرت نصف ساعة حبسنا فيها أنفاسنا حتى صاح عسكري:

- فيه جثة هنا يا فندم.

تنفس أزين الصعداء وأغلق عينيه وكأن الحمل الذي كان يحمله قد انزاح. اقتربت منه وأمسكت بذراعه:

- انت کویس؟

أومأ برأسه ورد مطمئنًا لي:

- أيوة، ما تقلقيش.

 أنا ما كنتش أعرف موضوع إنه عرف يدخل بيتك ولا الرسالة الأولى... أنا قلقانة عليك.

نظر إلى يدي الممسكة بذراعه، وما إن استوعبت حتى هممتُ بإزاحِتها لكنه سبقني وأمسك بها وضغط عليها في حنان.

- أنا كويس والله ماتشغليش بالك.

ثم أفلتها، شعرت بكهرباء سرت في يدي وملأت كل جسدي، لمسة صغيرة منه قادرة على جعلي أرتعش، لم أشعر بذلك من قبل.

تركني واتجه نحو مسرح الجريمة حيث انتشر أفراد الطب الشرعي حوله، وأخذ الجميع يعملون في حرص.

في صباح اليوم التالي، ذهبت إلى الجريدة وجلست على مكتبي الصفير أعمل. لم تمض نصف ساعة حتى اقتربت مني "ليلى"، السكرتيرة الخاصة بدكتور طارق. - نازلي، دكتور طارق عايزك في مكتبه.

توجهت إلى مكتبه وطرقت ألباب، فسمح لي بالدخول على الفور. ابتسم لي حين رآني وأشار إلى الكرسي المقابل له.

- إزايك يا نازلي؟ اقعدي.

جلست أمامه, ليقول بابتسامة واسعة:

- عندي ليك خبر خلو أوي يا نازلي، الأستاذ سعيد المرغني معجب جدًا بشغلك والتزامك وعايز يقابلك بنفسه ويتكلم معاك.

لم أستطع أن أداري سعادتي.

- حضرتك بتتكلم بجد؟ أنا مش مصدقة.

- لا صدقي يا نازلي، أنتِ شاطرة ومجتهدة وليكِ مستقبل كبير.

جلست على حافة الكرسي وأسندت رسغي على المكتب الذي يفصلنا، وتساءلت بحماس:

- طيب هقابله إمتى؟

نظر إلى ساعته.

كمان نص ساعة.

فلتت مني شهقة مسموعة.

دلوقتي؟ أنا مش مستعدة.

- مش محتاجة تستعدي، هتتكلموا شوية وبس. زمانه على وصول.

- هو جاي هنا؟

أوماً برأسه.

- عايز يشوف الدنيا ماشية إزاي ويطمّن على كل حاجة، وبالمرة قالي إنه عايز يتكلم معاكِ.

بدأت يداي في الارتعاش من شدة توتري، أنا أراه دائمًا لكنه لا يعيرني أي اهتمام، لذا فكرة أنه يريد أن يتحدث معي شخصيًا ترعبني وتسعدني في ذات الوقت.

ذهبت إلى الحمام ونظرت في المرآة لأتأكد أن ثيابي وشعري في حال جيدة. لو كنت أعرف أنني سأجلس مع واحد من أشهر الإعلاميين في مصر وصاحب القناة والجريدة التي أعمل بها، كنت ارتديت شيئًا أكثر أناقة، لكن ملابسي لا بأس بها، فأنا أرتدي بلوزة حمراء وبنطال أبيض، ملابس بسيطة لكن أنيقة. أخذت نفسًا عميقًا وحدثت انعكاسي في المرآة.

- نازلي، انت قدها... دي اللحظة اللي مستنياها بقالك سنين وتستاهليها.

عدلت شعري للمرة الأخيرة ثم خرجت من الحمام. وجدت الجميع يتحركون بسرعة ففهمت أن سعيد المرغني قد وصل، وتأكدت حين وجدت دكتور طارق يشير لي من بعيد لأقترب منه، فتحركت نحوه على الفور وسرنا سويًا نحو مكتب سعيد المرغني.

دخل دكتور طارق وأنا خلفه وكأنني طفلة تختبئ خلف والدتها في

عيادة الطبيب، تنتظر أن تتولى أمها الحديث.

كان سعيد المرغني مشغولًا في التحدث مع أحدهم على الهاتف، وبمجرد أن وقعت عيناه علي ابتسم لي، ثم أشار لي بالجلوس حتى ينهي حديثه. نظرت إلى دكتور طارق في انتظار أن يجلس أمامي لكنه ابتسم لي ثم اتجه نحو باب المكتب وخرج. اتسعت عيناي وأخذت دقات قلبي تتسارع، جلست على الكرسي المقابل له بينما وضعت يدي بين ركبتي حتى لا يلاحظ أنني أرتعش. ضحك سعيد على شيء قاله الطرف الآخر من المكالمة. لم يكن سعيد كأي إعلامي تقليدي، كل شيء فيه مختلف: طريقته، مظهره، ملابسه، حيث إنه غرف بوسامته وكاريزمته التي جعلت جميع النساء يشاهدن برنامجه حتى لو لم يكن لديهن اهتمام بالأخبار، بينما أحبه الرجال حيث وجدوه قدوة لهم. سعيد مثال للشاب المجتهد الذي بنى نفسه بساعديه ولم يحثج مساعدة أي شخص، فهو في بداية الأربعين من عمره ولديه بالفعل قناة وجريدة، بينما يعد برنامجه واحدًا من أنجح البرامج في الوطن العربي. لا أستطيع أن أصدق أنه أمامي الآن، وأنه ابتسم لي الآن للمرة الثانية.

سرعان ما انتهى من مكالمته والتفت ليُّ.

- آسف جدًا، بس كانت مكالمة مهمة.

تنحنحت وكأنني أخشى أن صوتي لن يخرج وقلت بحماس:

- لا طبعًا، حضرتك آسف على إيه بس؟ ده أنا شرف ليًا إن حضرتك طلبت تقابلني.

مد يده ليصافحني فمددت له يدي بأقصى جهدي لأخفي رعشتها.

- مبسوط إني قابِلتك يا نازلي شخصيًا.

- ده شرف لياً يا أستاذ سعيد.

صمت مفكرًا ثم قال:

كنت بكلم طارق عن إن شغلك لافت نظري بقاله فترة وخصوصًا في
 آخر قضية. الناس بقوا يطلبوا مننا ندخل مداخلات كتير معاكد.

ضحكت وتساءلت في استنكار:

انا؟!

أوماً برأسه بثقة.

- أيوة، خلاص ربطوا بينك وبين القضية وبقوا عايزين يعرفوا التطورات منك. وبالنسبة للرجالة، فعايزين يشوفوكِ علشان حلوة.

- شعرت بوجنتي يحترقان من شدة الخجل، ولا أحتاج إلى مرآة لأتأكد أن وجهي أصبح أكثر حمرة من البلوزة التي أرتديها، مما جعله يضحك.

- إيه يا نازلي؟ مش عارفة إنك حلوةٍ؟

لم أستطع أنَّ أنظر في عينيه، لذا نظرت إلى الأرض.

- ربناً يخليك، ده من دُّوق حضرتك.

التفت ليجدني أنظر إليه بإعجاب.

- نازلي، أنا حابب أعملك فقرة ثابتة في البرنامج مرتين في الأسبوع. اتسعت عيناي، فتحت فمي لأقول أي شيء لكنني لم أستطع، ليكمل

- فاضية بكرة؟ ننزل نتكلم في التفاصيل؟

ابتلعت ريقي بصعوبة ثم أشرت إلى صدري بأصبعي.

- معايا أنا؟

ضحك مجددًا.

- أيوة يا نازلي، معاكِ.

هززت رأسي بشدة.

- طبقا... طبقا يا فندم.

قال بابتسامته الساحرة التي اشتهر بها:

- خلاص، حلو. اديني رقمك هبعتلك لوكشين المطعم... ولا تحبي أعدي عليك؟

of head to you

قلت غير مصدقة:

- هو إحنا مش هنتقابل في مكتب حضرتك؟

- لا، لازم تعرفي عني إني مش بحب الرسميات دي، اعتبريها خروجة صحاب مش مقابلة شغل.

حين لم أنطق بأي كلمة، أعاد سؤاله.

- هتيجي لوحدك ولا تحبي أعدي عليك؟

هززت رأسي.

لا، متتعبش نفسك حضرتك، ابعتلي المكان والساعة. تمام، الساعة 8
 بالظبط هكون هناك.

- تمام يا نازلي، اتفقنا.

قاطع حديثنا طرقات على الباب، ليجيب سعيد بصوت عال.

- اتفضل.

دخلت إحدى سكرتيراته.

- أستاذ محمد بدوي في انتظار حضرتك برا..

أوماً برأسه.

- تمام، خليه يتفضل.

أخذتها كإشارة للرحيل، فوقفت على الفور ومددت له يدي لأصافحه.

- أنا هسيب حضرتك دلوقتي وأشوفك بكرة إن شاء الله."

أفلت يدي منه وابتسمت له لَيرد الابتسامة.

- مع السلّامة يا نازلي.

اتصلت بهانيا على الفور لأخبرها بما حدث مع سعيد المرغني، واتفقنا أن نتقابل حتى نحتفل. قررنا أن نذهب إلى مكان جديد لم نذهب إليه من قبل، لذا اقترحت عليها المطعم اليوناني الذي أخذني إليه زين منذ بضعة أيام.

دخلنا إلى المكان واخترنا طاولة قريبة من تلك التي جلست عليها مع زين. لماذا أنا هنا؟ نعم، الطعام جيد.. لكن لا أستطيع أن أخدع نفسي، فأنا هنا لأنني أتمنى أن أراه. أعلم أن فرصة حدوث ذلك ضعيفة، لكنني أصبحت مثيرة للشفقة. أريد أن أراه حتى لو صدفة.

اخترنا الطعام وجلسنا نتحدث.

- انټڵستاهلي ده وأكتر يا نازلي بجد، أنا مبسوطالك أوي.

قالتها هانيا بسعادة حقيقية نابعة من قلبها. ابتسمت لها في امتنان.

- شكرًا إنك دايمًا جنبي في الحلو والوحش وإنك تفرحيلي أكتر من نفسي.

تجمعت الدموع في عيوننا.

- أنا اللي محظوظةً إنك في حياتي يا نازلي، انتِ أختي. وتعانقنا، لكننا سرعان ما انفجرنا في الضحك.

- دي هرمونات أكيدا

قالتها ضاحكة، بينما بدأ النادل في وضع أطباق طعامنا أمامنا. أصدرت معدتي صوتًا قويًا حين استنشقت رائحة الطعام اللذيذ. أخذت قضمة وبدأت في المضغ، لكنني رأيت شخصًا أمامي جعل الطعام يتوقف في حلقي. إنه زين. دخل إلى المكان وبجانبه شريف، لم يلاحظاني حتى بدأت في السعال بسبب الطعام الذي توقف في حلقي. رأيت نظرات الرعب في عيني هانيا وهي تقدم لي كوب الماء في توتر.

- اشربي يا نازلي، انتِ كويسة؟

وبدأت تضرب على ظهري. حاولت أن أبتلع الماء، لكنني لم أستطع. أصبح التنفس أكثر صعوبة. هل تلك نهايتي؟ هل سأموت بسبب قطعة - هو إحنا مش هنتقابل في مكتب حضرتك؟

- لا، لازم تعرفي عني إني مش بحب الرسميات دي، اعتبريها خروجة صحاب مشِ مقابلة شغل.

حين لم أنطق بأي كلمة، أعاد سؤاله.

- هتيجي لوحدك ولا تحبي أعدي عليك؟

هززت رأسي.

- لا، متتعبش نفسك حضرتك، ابعثلي المكّان والساعة. تمام، الساعة 8 بالظبط هكون هناك.

- تمام يا نازلي، اتفقنا.

قاطع حديثنا طرقات على الباب، ليجيب سعيد بصوت عال.

- اتفضل.

دخلت إحدى سكرتيراته.

- أستاذ محمد بدوي في انتظار حضرتك برا..

أوماً برأسه.

- تمام، خليه يتفضل.

أخذتها كإشارة للرحيل، فوقفت على الفور ومددت له يدي لأصافحه.

- أنا هسيب حضرتك دلوقتي وأشوفك بكرة إن شاء الله."

أفلت يدي منه وابتسمت له ليرد الابتسامة.

- مع السلامة يا نازلي.

اتصلت بهانيا على الفور لأخبرها بما حدث مع سعيد المرغني، واتفقنا أن نتقابل حتى نحتفل. قررنا أن نذهب إلى مكان جديد لم نذهب إليه من قبل، لذا اقترحت عليها المطعم اليوناني الذي أخذني إليه زين منذ بضعة أيام.

دخلنا إلى المكان واخترنا طاولة قريبة من تلك التي جلست عليها مع زين. لماذا أنا هنا؟ نعم، الطعام جيد.. لكن لا أستطيع أن أخدع نفسي، فأنا هنا لأنني أتمنى أن أراه. أعلم أن فرصة حدوث ذلك ضعيفة، لكتني أصبحت مثيرة للشفقة. أريد أن أراه حتى لو صدفة.

اخترنا الطعام وجلسنا نتحدث.

- انټځستاهلي ده وأكتر يا نازلي بجد، أنا مبسوطالك أوي.

قالتها هانيا بسعادة حقيقية نابعة من قلبها. ابتسمت لها في امتنان.

- شكرًا إنك دايمًا جنبي في الحلو والوحش وإنك تفرحيلي أكتر من نفسى.

تجمعت الدموع في عيوننا.

- أنا اللي محظوظة إنك في حياتي يا نازلي، انتِ أختي. وتعانقنا، لكننا سرعان ما انفجرنا في الضحك.

- دي هرمونات أكيدا

قالتها ضاحكة، بينما بدأ النادل في وضع أطباق طعامنا أمامنا. أصدرت معدتي صوتًا قويًا حين استنشقت رائحة الطعام اللذيذ. أخذت قضمة وبدأت في المضغ، لكنني رأيت شخصًا أمامي جعل الطعام يتوقف في حلقي. إنه زين. دخل إلى المكان وبجانبه شريف، لم يلاحظاني حتى بدأت في السعال بسبب الطعام الذي توقف في حلقي. رأيت نظرات الرعب في عيني هانيا وهي تقدم لي كوب الماء في توتر.

- اشربي يا نازلي، انتِّ كويسة؟

وبدأت تضرب على ظهري. حاولت أن أبتلع الماء، لكنني لم أستطع. أصبح التنفس أكثر صعوبة. هل تلك نهايتي؟ هل سأموت بسبب قطعة من الشطيرة اللذيذة التي حتى لم يتسنى لي أكلها؟ كنت أتوقع نهايتي أن تكون أكثر تعقيدًا، لكنني سرعان ما شعرت بيد قوية تجذبني من مقعدي وتلتف أسفل قفصي الصدري وتضغط بقوة. بعد عدة ضغطات، خرج الطعام من حلقي وأخذت نفسًا عميقًا كأنني كنت أغرق. بدأت في استيعاب ما يحدث فتحت عيني لأجد هانيا تنظر لي في فزع، وجميع من في المطعم قد التفتوا لي في قلق. رأيت شعور الراحة على وجوههم عندما بدأت في التنفس مجددًا. حركت عيني لأجد شريف ينظر لي في قلق. شريف؟ نعم، شريف وزين كانا هنا و.. زين؟

أسندني صاحب اليد القوية وساعدني في الجلوس. لا أحتاج أن أنظر في وجهه لأعرف من هو، ولم أحتج أن أرفع عيني حتى أنظر له، انظر في وجهه لأعرف من هو، ولم أحتج أن أرفع عيني حتى أنظر له، لأنه جلس على ركبته بجانبي حتى يصبح في نفس مستواي، وأمسك بكوب الماء وساعدني في أخذ رشفة، بينما أخذ يربت على شعري في حنان بيده الأخرى. ما إن أتيت بالشجاعة الكافية لأنظر في عينيه حتى توقفت عن التنفس لثوان، لكن هذه المرة لم أختنق من الطعام، بل من مشاعري. لم أره في تلك الحال من قبل، ينظر لي في قلق وخوف. لم أعتد أن أراه قلقًا، بل لم أعتد أن تفصح ملامحه عن أي مشاعر. تساءل بنبرة قلقة، لكنها حنونة:

- انتِ كويسة دلوقتي؟ ولا تحبي نروح المستشفى؟

هززت رأسي وقلت بصوت ضعيف:

- أنا كويسة.

زفر في راحة.

سلامتك يا نازلي، قلقتينا عليك.

قالها شريف مبتسمًا، لينزل زين يده عن شعري التي افتقدتها على الفور، بينما نهض ووقف على قدميه. التفت إلى شريف وقلت مبتسمة:

- الله يسلمك يا شريف.

عانقتني هانيا، ولحسن حظي أن الجميع عادوا إلى طعامهم وحديثهم. يا للإحراج! أريد أن أختفي من هنا على الفور. همست لها:

- هانيا، عايزة أروح.

- حاضر، هدفع الحساب ونروح على طول.

لكن لشريف تدخل:

- ليه؟ اقعدوا معانا شوية لغاية ما نتطمن على نازلي.

نظرت إلى زين الذي بدا عليه الانزعاج. أتفهم لمَ، فالمسكين قد جاء إلى مكانه المفضل حتى يسترخي ليجدني هنا أختنق كالبلهاء، لكن شريف تحرك قبل أن ينتظر ردنا وطلب من النادل أن يجهز لنا طاولة مكونة من أربعة كراسي.

نظرت لي هانيا لتتأكد أنني موافقة، فأومأت لها برأسي، ثم جلسنا على مقعدين مجاورين على الطاولة الجديدة بينما جلس شريف وزين على المقعدين المقابلين لنا.

قلت في خجل:

- أنا آسفة إني بوظت عليكم اليوم.

لينظر لي زين نظرة لا أفهمها، بينما قال شريف ساخرًا ليلطف الأجواء:

- انټ لسة فيك العادة دي يا نازلي؟ بتعتذري على إيه؟ ده انټ كنټ بتتخنقي دلوقتي!

ببيعهم الوصي. ضحكت، لأنه دائمًا يخبرني أن عليّ أن أتوقف عن الاعتذار عن أشياء لم أرتكبها.

- بحاول أغيرها، والله آسفة.

لينظر لي مبتسمًا ويرفع حاجبيه:

- مافيش فايدة.

لأضحك ضحكة عالية، قاطعنا زين وتساءل عابشا:

- حابين تطلبوا إيه علشان أنادي الويتر؟

أجبت ضاحكة:

- أنا مش عايزة أكل تاني في حياتي بعد اللي حصل.

لكنه لم يبتسم، فقط التّفتُ للنادلُ الذي أتَّى مسرَّغَا، وأخبره بطلبه هو وشريف، بينما طلبت هانيا أن يغيد فقط تسخين طعامها الذي لم يتسنى لها أن تلمسه. نظر لي النادل في انتظار أن أخبره بطلبي، لكن زين سبقني وطلب لي طبقًا من المعكرونة، ذات الطبق الذي طلبته حين كنا هنا في المرة الأخيرة. لقد تذكر طلبي؟ ما الذي حل بي؟ لمَ أي شيء يفعله يجعل سربًا كبيرًا من الفراشات ينطلق في معدتي؟

نظر لي وقال:

- طلبتلك باستا علشان أسهل تتبلع.

ضحكت ضحكة صغيرة.

- كويس علشان ما أفضحكمش.

لكنه هز رأسه منزعجًا. اهتز هاتفي بصوت رسالة. فتحتها لأجد سعيد المرغني قد بعث لي موقع المطعم الذي سنتقابل به غدًا.

- ده سعيد المرغني؟

تساءلت هانيا في حماس. فأومأت لها برأسي.

- سعيد المرغني؟

تساءل شريف لتجيبه هانيا في فخر:

أيوة.. طلب من نازلي إنه يقابلها بكرة علشان يتفقوا على شغل. قال
 إنه معجب بشغل نازلي وعايزها تقدم فقرة ثابتة في البرنامج.

قال شريف فرحًا:

- مبروك يا نازلي، دي خطوة كبيرة أوي في اتجاه حلمك، بس تستاهليها.

- شکرًا اُوي یا شریف.

بينما تساءل زين:

- وهتتقابلوا فين بكرة؟

استغربت سؤاله، لكنني أجبت:

- في مطعم مش عارفة اسمه بس بعتلي اللوكيشن بتاعه دلوقتي.
 أحكم زين قبضته حول الشوكة التي يمسكها.

- وهو اجتماعات الشغل بتبقى في مطاعم؟ ماعندوش مكتب؟

عقدت حاجبيّ وتساءلت:

- فيها إيه؟

ضحك في استهزاء:

واضح إن مش شغلك بس اللي عاجبه.

قلت في غضب:

آه يعني الفرصة دي ما جتليش علشان أنا شاطرة، علشان هو عايز
 مني حاجة صح؟

أغمض عينيه وقال معتذرًا:

- مش قصدي كده...

لكنني نهضت من مكاني في غضب: - عن إذنكم، أنا لازم أروح. نهضت هانيا على الفور وتبعتني، وحاول شريف أن يتبعنا بينما لم يتحرك زين. لا يستطيع حتى أن يزيف اعتذاره.

### الفصل السادس عشر

#### زين

لا أعلم ما الذي انتابني اليوم في المطعم، شعرت بمزيج من المشاعر غير المفهومة. شعرت بسعادة حين وقعت عيني على نازلي، كنت أريد أن أراها طوال اليوم ولكنني لم أخد أي سبب مقنع لكي نتقابل. وشعرت بخوف شلني حين رأيتها عاجزة عن التنفس، لكن سرعان ما تحرك جسدي قبل عقلي نحوها، وشعرت براحة كبيرة حين اطمأننت أنها بخير، وكأن الأكسجين قد غاد لي وليس لها.

شعرت بغيرة حين رأيت شريف يمزح معها، وبالغضب حين تحدثت عن صاحب القناة الذي دعاها للعشاء. لا أطيق فكرة أن تجلس مع رجل بمفردها، أن تبتسم له كما تبتسم لي، أن تنظر له بعيونها الخضراء التي

أجد نفسي أفكر فيهما كل يوم.

لم أجرب تلك المشاعر من قبل سوى مرة واحدة مع امرأة واحدة...

فريدة.

أشعر أنني خائن. شعرت بضيق في صدري. مضت أربعة أعوام على وفاتها، لا زلت أتذكر صوتها ولمستها ونظرتها كأنها البارحة. وعدت نفسي أنني لن أبحث عن الحب مجددًا، فهي حبي وتوأم روحي. لا أريد أن أخلف الوعد، ولن أخلفه شعرت بسائل ساخن على وجنتي، لم أدرك أنني كنت أبكي. فور إدراكي انفجرت في البكاء، أبكي فريدة التي فقدتها، وأبكي نازلي التي فقدتها قبل أن أحصل عليها.

لا أريد أن أنَّام، لكنَّني أرَّغمت على النوم لأنني لم أعد أستطبع مواجهة

أفكاري.

لا أدري كم نمت من الوقت، لكن أيقظني ضوء الشمس الذي تسلل من النافذة. نظرت إلى الساعة فوجدتها الثانية ظهرًا. لقد نمت أكثر من اثنتي عشرة ساعة. في العادة لا أستيقظ بعد العاشرة صباحًا ولا أنام أكثر من ثمان ساعات، لكن حين أريد الهروب من الواقع أستطيع أن أنام لأيام.

لكنني لا أريد أن أعود لتلك الأيام. لا أريد الهروب عن طريق النوم والانعزال عن الجميع. لذا نهضت من الفراش وذهبت إلى الحمام لأخذ دش سريع. أغمضت عيني في استرخاء حين انهمرت فوق رأسي المياه الدافئة، ثم ارتديت ملابسي وخرجت من المنزل.

وصلت أمام مستشفى جديد، أوقفت سيارتي في ساحة الانتظار ثم سرت في أروقة المستشفى حتى وصلت أمام مكتب المدير. قابلتني سكرتيرته بابتسامة واسعة.

- مساء الخير دكتور زين.. دكتور خورِشيد في انتظار حضرتك.

شكرتها ثم طرقت باب مكتبه حتى أذن لي بالدخول. ابتسمت حين رأيته، لم نتقابل منذ أكثر من سبعة أعوام. ملأ الشيب رأسه وزادت تجاعيد وجهه، لكنه حافظ على ابتسامته الواسعة.

فتح ذراعيه لي ضاحكًا:

- دکتور زینا

تسارعت خطواتي نحوه وعانقته على الفور. دكتور أحمد خورشيد ليس مجرد طبيب، فهو أستاذي في الجامعة ومن ساعدني عندما شخصت فريدة بمرضها. أشعر دائمًا أنه بمثابة والدي الذي رحل مبكرًا. أشار لي بالجلوس على الكرسي المقابل له في المكتب، بينما نهض وجلس على الكرسي المجاور لي حتى يكون قريبًا مني.

قال معاتبًا:

- إيه يا زين، الغيبة دي كلها؟

- حقك عليا يا دكتور، من ساعة ما رجعت وأنا عايز أقابلك، لكن للأسف...

أومأ دكتور خورشيد برأسه:

- عارف، متابع القضية...

ثم قال مبتسمًا بفخر:

- بس أنا مبسوط أوي إنك رجعت للشغل اللي بتحبه.

- أنا ماكنتش حابب أرجع دلوقتني... أو أرجع خالص، بس ماكانش قدامي اختيار.

ربت على ركبتي قائلًا:

- حلو... ساعات بنحتاج الدنيا تزقنا بالعافية ناحية الحاجة المناسبة لنا لما نكون خايفين... اعتبرها إشارة من ربنا.
  - أنا رجعت مصر علشان حاجة واحدة.
- عارف... وأنا معاك عشان نحققها. بس انت مش هتعيش حياتك كلها علشان هدف واحد ولما تحققه تقعد مالكش لازمة. شغلك ده شوف بتساعد بيه كام شخص. ربنا إداك تعمة، استغلها.

قاطع حديثنا صوت طرقات على الباب، لتدخل سكرتيرته تحمل ملفات وضعتها في حرص أمامه.

- الملفات اللي حضرتك طلبتها يا دكتور.

- شكرًا يا هايدي، ممكن تتفضلي.

أخذ الملفات وأخذ يتصفحها سريعًا، ثم وضعها في يدي. أمسكت بها غير مصدق.

إحنا خلاص لقينا مستثمرين حابين يشاركوا معانا ومتبرعين.
 وخلاص مستعدين نبدأ نبني قسم جديد هنا مختص لمرضى التصلب
 الضموري. معظم التبرعات هتكون للمعامل والأبحاث اللي هنعملها عن
 المرض. وهيكون في جزء كبير للعلاج النفسي للمريض وأهله.

ثم أشار لي وأكمل:

- کل حاجة انت طلبتها جاهزة تتنفذ يا زين.

أعوام من العمل الشاق والبحث عن مستثمرين ومتبرعين قد أثمرت للتو، لم أصدق نفسي. وضعت يدي على فمي في سعادة، بينما أخذت أنظر إلى الملفات التي بين يدي. إنها ليست مجرد أوراق، بل حلمي الذي أنقذني من الاكتئاب وأصبح سببًا لاستيقاظي من أجلها.

تركت مكتبه وكأنني إنسان جديد. سرت نحو سيارتي بخطوات رشيقة على عكس خطواتي التي دخلت بها المستشفى منذ قليل، لكن هاتفي رن فور دخولي للسيارة. وجدته شريف يتصل. أجبت المكالمة مبتسمًا:

- شريف، إيه الأخبار؟

صمت شريف فاختفت ابتسامتي، وتساءلت:

- جثة جديدة؟
- مش بالظبط.

عقدت حاجبي سائلًا:

- يعني إيه؟

- المرة دي المجني عليها قدرت تهرب منه وناس لقوها عايشة وأخدوها على المستشفى. شعرت ببصيص من الأمل، قلت متسائلًا:

- طيب حالتها إيه؟

- مستقرة، الدكاترة بيقولوا إننا ممكن نتكلم معاها أول ما تصحى.

- طيب انتم في مستشفى إيه؟

- البساتين في المعادي.

- طيب انتم قريبين مني عشر دقائق، وأبقى عندكم.

دخلت إلى قسم العناية المركزة المحاط بالكثير من رجال الأمن. ما إن وقعت عيناي على شريف حتى اتجهت نحوه.

- شريف، فيه جديد؟

هز شریف رأسه:

- لسة نايمة.

- طيب، عرفتم حاجة عنها؟ معهاش بطاقة؟

- لا، ولا أي حاجة. الناس لقوها مرمية على طريق سريع. واضح إنها عرفت تفلت من القاتل، وفضلت تجري لغاية ما أغمى عليها بسبب الدم اللي فقدته.

قاطع حديثنا صوت نازلي القادم من بعيد، التفتُ على الفور إلى مصدر صوتها لأجدها تتحدث في الهاتف بينما تمشي بخطوات سريعة. أوقفها رجال الأمن، لكنها بحثت بعينيها عن شريف حتى وجدته وأشارت لهم نحوه، ليشير لهم شريف لكي يسمحوا لها بالدخول. نظرت إليها نظرة أردتها أن تكون سريعة، لكنني لم أستطع أن أنزل عيني عنها، فهي ترتدي فستانًا أسود مفتوح الكتفين يصل حتى أسفل ركبتها، وحذاء بكعب سميك. لفت نظري لون أحمر شفاهها الأحمر، إذا، فهي ارتدت تلك الملابس في موعدها الغرامي مع ذلك الإعلامي الذي أكرهه بشدة دون أن أعرفه.

أغلقت المكالمة ثم اقتربت منا. وجهت حديثها لشريف وتجاهلتني. لا أستطيع أن ألومها، فقد كنت وغدًا البارحة، لكن ذلك لا يمنع شعوري بالانزعاج وأنا أراها أمامي لكن لا أستطيع أن أتحدث معها وكأننا عدنا غرباء.

تساءلټ في فضول:

- شريف...

لكنها سرعان ما أدركت أنها في مكان عمله:

- قصدي شريف بيه، فيه جديد؟ البنت فاقت؟

هز رأسة:

- لا، لسه ...

قاطعه صوت ضابط ينادي عليه من بعيد:

- عن إذنك يا نازلي شوية، وهرجعلك.

تركباً ورحل، ليعم الصمت بيننا. أعطتني ظهرها وعقدت ذراعيها فوق صدرها في غضب.

أحاول أن أجد الكلمات المناسبة للتحدث معها دون أن أغضبها، لكنني رأيت شابين من طاقم التمريض ينظران إلى جسدها نظرات إعجاب ويتهامسان. غلت الدماء في عروقي، فاقتربت منها ووضعت يدي على ظهرها وحدقت بهما في غضب، لينظرا إلى بعضهما في ذعر ثم اختفيا من أمامي. لم أستوعب ما حدث للتو إلا عندما شعرت بجسد نازلي ينتفض وتبتعد عني وكأنني أحرقها، ثم التفتت لي غير مصدقة:

10 / 11

- هو ايه ده؟

لا أستطيع أن أمنع نفسي من التحديق بها. أحب مظهرها بدون مساحيق تجميل وبملابس بسيطة، لكنني أيضًا أحب تلك النسخة منها، التي تضع أحمر شفاه أحمر اللون وترتدي فستانًا يلائم جسدها وكأنه قد ضمم خصيصًا لأجلها. لكن الإعجاب انقلب لغضب حين تذكرت أنها ارتدت تلك الملابس لتقابل بها رجلًا آخر. لا أطيق أن يحملق بها الجميع، ومنهم أنا، لذا خلعت الجاكيت الذي أرتديه ومددته لها:

- نازلي، ممكن تلبسي ده؟

ضحكت غير مصدقة:

- أفندم؟

لمحت شخصًا آخر ينظر نحوها فقلت في نفاد صبر:

بعد إذنك يا نازلي، البسيه. ماينفعش تيجي مكان زي ده لابسة كده.
 نظرت حولها في غضب، لكنها سرعان ما أدركت ما أقصد، جذبت الجاكيت من يدي وارتدته بينما ساعدتها في غلقه. نظرت برضا إلى الجاكيت الذي وصل إلى فوق ركبتيها وأخفى معالم جسدها.

قالت بينما تفادت النظر في عيني:

- جيت بسرعة ونسيت آخد الجاكيت من العربية... شكرًا على الجاكيت.

أومأت برأسي:

العفو.

لن أقولها... لن أقولها... لن...

- اتبسطتِ في الـ date بتاعك؟

قلثها رغمًا عني، لتلفت لي وتحدق بي:

SDate -

ضحكت باستهزاء:

- انت مصر برضه تستفزني؟

- مش قصدي أنا... أنا آسف إني ضايقتك إمبارح، ماكنش قصدي حاجة.

قالت ساخرة:

- واضح إنك آسف.

ثم قالت في غضب، لكنها حرصت أن يكون صوتها هادنًا حتى لا يسمعها أحد:

- انت مش فاهم دي فرصة كبيرة لنا إزاي، وأنا اشتغلت علشان أوصلها إزاي.

- أنا عارف، أنا مش بقلل من ده خالص، بالعكس.

- أمّال اللي عملت ده اسمه إيه؟

أخذتُ نفشًا عميقًا أشعر أنني محاصر، لكن أنقذني صوت شريف:

- زين، البنت فاقت وجاهزة تتكلم، تعالى.

تساءلت نازلي:

- ممكن آجي معاكم؟

اوما شريف براسه:

 بس انتِ عارفة يا نازلي إن أي حاجة هتقولها ممنوع تتنشر غير لما القضية تتقفل.

أومأت برأسها وقالت مدافعة:

- من إمتى ممكن أعمل حاجة زي دي؟

تحرك شريف:

- طيب تعالي ورايا.

دخلنا الغرفة التي ترقد بها المجني عليها. تبدو صغيرة في السن كطبيعة كل ضحايا الجرائم، توجد علامات ضرب على وجهها أخفت ملامحها، بالكاد يمكن لأحد التعرف عليها.

همت للاعتدال في جلستها حين اقتربنا منها، لكنها أغلقت عينيها في ألم ليشير لها شريف:

خليك زي ما انت... إحدا مش هنطول... ممكن تحكي لنا اللي
 حصل؟ كل تفصيلة فاكراها مهمة.

أومأت برأسها، أمسك شريف بالتقرير الطبي المعلق في سريرها. يبدو أنها تعرضت لضربة بأداة حادة على رأسها، وطعنتين في دراعيها، ونُقش رقم أربعة على معدتها بسكين.

شعرت بشيء غريب وأنا أقرأ التقرير، شعرت بشيء غير صحيح.

 أنا كنت راجعة من الشغل... بشتغل في مطعم وخلصت الشيفت متأخر... الشارع كان ضلمة وبحتاج أمشي شوية علشان أطلع على الشارع الرئيسي وأركب مواصلات... بس حسيت إن حد ورايا، وقبل ما أستوعب اللي بيحصل، حسيت بحاجة خبطت رأسي.

سعلت في ألم ثم أكملت:

- بعدين فوقت في عربية واقفة بيا في مكان مقطوع، بدأ يعورني بسكين في بطني كأنه بيكتب حاجة، ولما عرف إني صحيت ضربني بسكين، بس عرفت أزقها من إيده، فبدأ يضربني على وشي... بس عرفت أزقه وأجري. لما حاول يجري ورايا لقيت طوبة في الأرض ضربته بيها، خليته يدوخ شوية، ده خلاني أعرف أفلت منه، وفضلت أجري لغاية ما أغمى عليا، وفقت عربية ناس جابوني على هنا.

هز شریف رأسه ثم تساءل:

- مش فاكرة أرقام العربية؟

أومأت برأسها:

- أقدر أكتبها لكم في ورقة.

أخرج دفترًا صغيرًا من جيبه وقلمًا، ثم ناولهما لها. أمسكت القلم بيد مرتعشة، ثم بدأت في الكتابة. حين انتهت، أخذ شريف منها الدفتر ونظر إليه ثم أشار لأحد العساكر:

خد يا ابني الأرقام دي وطلع لنا متسجلة باسم مين حالًا.

ثم التفت إليها مجددًا:

- انټ شوفتي وشه؟

أومأت برأسها:

أيوة... راجل كبير في السن، بتاع ستين سنة... شعره أبيض ولابس
 نظارة وبشرته بيضاء... طوله كان متوسط.

قاطع حديثها العسكري الذي كلفه شريف بمعرفة اسم صاحب السيارة:

 الرائد أحمد عليوة في المرور لسه قافل معايا وطلع لنا اسم صاحب العربية.

نظر في الورقة التي يحملها ثم قرأ الاسم:

- طارق محمد أحمد شكري السيد.

سمعت شهقة، وحين التفت لمصدرها، وجدتها نازلي التي اتسعت عيناها:

- ده دكتور طارق رئيس تحرير الجريدة عندنا... مستحيل يكون

هو ...

لم يلتفت شريف لها ووجه كلامه للعسكري:

- كلم اللواء ضياء وخليه يصدر أمر ضبط وإحضار فورًا، وأنا هتحرك وأروحلهم.

راقبت كل ما يحدث في صمت، ثم اقتربت من الفتاة.

- فيه حاجة غلط؟

التفت إلى شريف متسائلًا:

- حاجة إيه؟

أمسكت بالتقرير

- القاتل بيخدر الضحية بعدين بيطعنها، ولما بيخلص خالص بيحفر الرقم. إزاي حفره عليكِ واثت لسة عايشة؟ وليه ماخدركش أولا؟ ماظنش إن ده نفس القاتل.

ارتبكت الفتاة وقالت بصوت مهزوز:

- بس... بس هو فعلًا السفاح. أنا هدأكدة.

نظرت إليها في تحدٍ.:

- متأكدة إزاي؟

صمتت لبضع ثوانٍ، ثم قالت:

- هو قال لي وأنا بجري إن... إنه هو السفاح ومش هيسيبني. ضحكت مستهزئًا:

وهو كان فاضي يجري وراك ولا يحكيلك قصة حياته؟
 أخذ صدرها يرتفع ويهبط بسرعة، وارعشت يديها، ثم قالت:

- روحوا له بنفسكم ودوروا عليه.

اقتربت نازلي منها واضعة هاتفها في وجهها:

- هو ده الراجل؟

أومأت برأسها وقالت منفعلة:

- هو... هو ده الحيوان اللي عمل فيا كده.

هززت رأسي بعدم رضا، تلك الفتاة تكذب، لكن متى؟

قالت نازلي في استنكار:

- مسلحيل بجد. أنا بشتغل معاه من سنين، وعمره ما يعمل حاجة زي ديه.

ردت الفتاة:

- أنا آسفة، بس مش هكذب عيني ... هو ده الراجل اللي عمل فيا كده. تحرك شريف ومن معه، والتفت إليّ قبل أن يرحل:

- أنا لازم أتحرك يا زين... هكلمك أول ما يبقى فيه جديد.

هززت له رأسي، وخرج من الغرفة على الفور تاركاً فردين من الأمن فقط يحرسان الغرفة.

خرجت نازلي في خطوات سريعة، فلحقت بها:

- نازلي!

وقفت مكانها، لكنها لم تلتفت، لذا اقتربت منها وأمسكت بمعصمها لتلتفت لي.

- انتِ كويسة؟

نظرت لي وقد امتلأت الدموع في عينيها، لتمسحها بيدها الأخرى:

- أنا متأكدة إن فيه حاجة غلط.

تركت معصمها، ونظرت في عينيها لأطمئنها:

- أنا كمان.

لمعت عيناها وقالت غير مصدقة:

- بجد؟ يعني انت مصدقني؟

أومأت لها برأسي:

- أيوة... فيه حاَّجة غلط، وباين أوي إنها بتكذب.

زفرت في راحة، ثم تساءلت:

- طيب هي ليه هتكذب؟

رفعت كتفي وانزلتهما:

- مش عارفٌ دلوقتي، بس أوعدك إني هعرف.

قاطع حديثنا أصوات عالية وأطباء وممرضين يركضون في اتجاه غرفة الفتاة, اقتربنا لنفهم ما يحدث. وجدنا جسدها ينتفض بقوة, التف مجموعة من الأطباء والممرضين حولها, الجميع يعمل في ذعن يحاولون أن يسيطروا عليها, بينما يصيح الطبيب المسؤول عن حالتها بأسماء حقن لتركض ممرضة وتأتيه بحقنة, حقنوها في وريدها, وتوقف جسدها عن الارتعاش. زفر الجميع في ارتياح, لكن سرعان ما ازداد الأمر سوءًا عندما بدأت الأجهزة المتصلة بجسدها, التي تتابع مؤشرات حياتها, في إصدار صوت صفير مرتفع, معلنًا عن توقف قلبها عن النبض, حاولوا على الفور إنعاشها. مرت نصف ساعة لكن فشلت جميع محاولاتهم, وأعلنوا وقت الوفاة.

دخلت إلى الغرفة مسرعًا، واقتربت من الطبيب:

- ممكن تحللوا دمها بسرعة؟ غالبًا ده تأثير سم.

أوماً الطبيب برأسه، ثم أشار للممرضات لكي يقمن بسحب عينة من دمها، بينما بدأوا في إجراءات تسليمها إلى الطب الشرعي لكي يتم تشريح الجثة.

ذلك اللعين قد وضع لها سمًا بطيء المفعول حتى يضمن أنها لن تفشي سره. قبل أن أستوعب ما حدث للتو، رن هاتفي وظهر اسم شريف على الشاشة، فقمت بالرد سريعًا:

- إيه يا شريف؟ فيه جديد؟

أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال بصوت غاضب:

- جالنا بلاغ إن ناس من نص ساعة كانوا سايقين على الصحراوي لقوا عربية مركونة على جنب وفيها راجل ميت.

قلت:

- جثة الدكتور طارق صح؟

- بالظبط... واضح إن الخبطة اللي أخدها على دماغه خليته ينزف لحد ما مات قبل ما يروح بيته.

هززت رأسي:

- فيه حاجةً غلط... حسب كلام البنت هي ضربته من أكثر من ^ ساعات... إزاي الناس اكتشفت الجثة دلوقتي؟ مش معقول يكون مشي بالعربية كل ده وهو مصاب بالإصابة دي.

- هنراجع كل كاميرات المراقبة في الطريق... صحيح فيه آثار دم
 كتيرة في العربية... غالبًا ده دم المجني عليها.

أغمضت عيني في خيبة أمل وضغطت على جبهتي:

- صحيح يا شريف... أنا في المستشفى بعد ما انت مشيت بأقل من نص ساعة المجني عليها قلبها وقف.

- ماتت؟

- أيوة... أنا شاكك... أو متأكد إن ده أثر سم بطيء المفعول.

- علشان يضمن إنها مش هتتكلم.

أومأت برأسي كأنه يراني:

- بالظبط.

زفر، ثم قال:

- الموضوع كبير ومعقد أوي.. بس كل الداخلية مبسوطين إننا لقينا القاتل وإن الرأي العام هيهداً.

هززت رأسي مستنكرًا:

- بس مش هو القاتل.

- لو الدم اللي في العربية طلع للمجني عليها... ما هيصدقوا يقفلوا القضية... على العموم هنفتش بيته ونراجع كل الردارات وكاميرًات المراقبة في المنطقة ونشوف.

# الفصل السابع عشر

نازلي

جلستُ في سيارتي أحملق في السقف، لا يستطيع عقلي استيعاب ما حدث للتو، لا يمكن أن يكون دكتور طارق هو القاتل. ذلك الرجل بمثابة أبي الثاني، لقد تعلمتُ كُل شيء في عملي على يديه، وكل من تعامل معه أحبوه بسبب طريقته اللظيفة، وتشجيعه للجميع وابتسامته الطيبة.

كنث أظن أن ما حدث هو الأسوأ، لكنني انهرث حين سمعث أنه قد مات. لقد فقدته للأبد، ولن يتمكن من الدفاع عن نفسه وعن سمعته الآن. كيف أكتب هذا الخبر؟ نعم، لن نعلن الآن عن هويته قبل انتهاء التحقيقات، لكنني لا أستطبع أن أتعامل مع ما حدث للتو كخبر من الأخبار التي أكتبها يوميًا. كما أن قريبًا سيتم الإعلان عن هويته، وسينهش الجميع لحمه. لن يتذكره أحد كإنسان، بل كقاتل متسلسل عديم الإنسانية.

كَانُ هُو منَ أبعث له الخبر العاجل لينشره. بكيت وأنا أكتب الخبر وأبعثه لمحرري الجريدة ومعدّي البربّامج. في أقل من خمس دقائق، سيعرف الجميع أن الشرطة وجدت القاتل الذي أفزع المجتمع بأسره.

حين انتهيت، انفجرت في البكاء، لا أدري كم مرَّ من الوقت وأنا في تلك الحال، لكن أفاقني صوت طرق على زجاج النافذة المجاورة لي. التفتُّ في فزع لأجد زين واقفًا أمام نافذتي حاملًا كوبًا في يده. فتحتُّ له الزجاج على الفور ليناولني إياه.

- آسف إني خۇفتك، بس جبتلك Hot Chocolate

ابتسمت ابتسامة باهتة وأخذته من يده.

- شكرًا أوي يا زين، تعبت نفسك.

لو لم أكن في تلك الحال، لذبتُ من لطافته، لكنني أشعر بالخدر، وكأنني في كابوس مزعج. تساءل في حنان:

- ممكن أقعد جنبك؟

أومأث برأسي:

- طبقاً.

دار حول السيارة حتى وصل إلى باب المقعد الجانبي، ثم فتحه وجلس. نظر في عينيُّ باهتمام وأمسك بيدي ضاغطًا عليها، فشعرتُ بكهرباء بدأت في يدي وسارت في كل حسدي.

- أنا عارف انتِ قد إيه زعلانة، بس أنا والله مصدقك ومتأكد أن

البنت دي كذابة.

قلث وقد شعرث ببعض الأمل:

- يعني ممكن نثبت إنه مش هو، صح؟

نظر لي نظرة مترددة جعلت الأمل يتبخر.

- بصي يا نازلي، مش هكدب عليك... أنا لسة قافل مع شريف. لقوا في بيته أكثر من دليل يثبت إنه هو القاتل، منهم بطايق الضحايا وحاجات من لبسهم... والداخلية ما صدقوا نفسهم يقفلوا القضية بأي شكل علشان الشعب كله غضبان وبيلومهم إنهم بقالهم أكثر من شهرين مش عارفين يوصلوا له. فمش هيسمحوا لحد يكمل تحقيق.

أُفلتُ يده ووَضعتُ كَفَي على وجهي لأحاول أن أُخفي دموعي التي عادت، لكن جسدي بدأ في الارتعاش. ربّت بيده على ظهري.

- أنا آسف... هحّاول علّى قد ما أقدر أتصرف، والله.



بعد مرور أسبوع...

تم إغلاق القضية رسميًا بعدما وُجدت العديد من الأدلة في منزل الدكتور طارق تدينه، وبعدما ظهرت نتيجة تحليل عينات الدم التي وُجدت في سيارته وأكدوا أنها تعود للضحية الخامسة. الجميع سعداء بأن السفاح الذي نشر الرعب في قلوب المواطنين وحصد أرواحًا بريئة قد مات. إلا أنا، مهما قالوا لن أصدق ما يُنسب إليه.

عمُ الحزن في الجريدة والقناة، الجميع لا يصدق مثلي، لكننا مجبرون على نشر أخبار القضية. اتصل بي سعيد المرغني أمس وطلب مني أن نتقابل، وبسبب جدوله المزدحم، اتفقنا على أن نتقابل في النصف ساعة الفاصلة بين فقرته وفقرة زميل آخر. لم أحضر تصوير البرنامج على الهواء منذ فترة طويلة، أحب تلك الأجواء، أحب الكاميرات والأضواء والشعور بأنني جزء من شيء كبير، وأن ينتظرني الجمهور بفارغ الصبر

شاهدت سعيد المرغني من غرفة التحكم، رأيته وهو يتحدث عن آخر مستجدات القضية بوجه بلا تعبيرات، كأنه يؤدي مهمة ثقيلة. حينما انتهى، توجه إلى غرفته ليستريج وطلب مني الحضور طرقت الباب ودخلت حين أذن لي بالدخول، رأيته يمسح وجهه سريعًا، يبدو أنه كان يبكى.

قلت مرتبكة:

- تحب أسيب حضرتك شوية؟

هزّ رأسه:

- لا يا نازلي، اتفضلي.. أنا آسف.

بدا كأنه متردد في البوح بما يفكر فيه، فقلت:

- حضرتك أنا موجُّودة لو حابب تتكلم.

هزِّ رأسه في ألم:

- أنا بس مش مستحمل إني أتكلم عن طارق بالطريقة دي، كأنه مجرد قاتل وفرحانين إنه مات.

تجمعت الدموع في عينيه لكنه أغلقهما وضغط على جبهته.

- طارق كان زي أُخويا الكبير، ويمكن أبويا والله.. أنا متأكد إنه ما عملش حاجة، وهتجلن أكيد فيه حاجةً غلط.

أسرَّهْت في الجلوس على الكرسي المجاور له.

- أنا كمان! أنا متأكدة من ده، أي حد اتعامل معاه هيعرف إنه استحالة يعمل حاجة زي دي.

ابتسم في ألم.

- مش متخيل إني مش قادر حتى أنزله نعي أو أقول "ربنا يرحمه" قدام الناس، أو أدافع عنه، الناس مش هترحمني.

تردد قليلًا ثم نظر لي وتساءل:

- هو أنا كده جبان؟

هززت رأسي على الفور:

- لاً.. أنا حاسة بحضرتك، للأسف في شغلانتنا دي كل كلمة محسوبة، والوضع اللي إحنا فيه ده صعب أوي، نفسي أتكلم وأقول لكل الناس إنهم غلطانين، بس ما حدش هيسمع.

زَفْرِ في يأس ثم قال لي:

- أنا ناديتك علشان عايز أتفق معاك إننا نبدأ من أول الشهر الجاي نعملك فقرة ثابتة في البرنامج خميس وجمعة، يكون فيها تلخيص كل أخبار الأسبوع، وهنناقش مع بعض فيها. شعرت لأول مرة منذ أسبوع أن هناك أملًا، خفق قلبي بقوة.

- حضرتك بتتكلم جد؟

أوماً برأسه وقال في حزن:

- طارق قبل ما.. قبل ما يموت، قال لي إنه عايز يعملك فقرة وكان متحمس أوي، فعايز أنفذ كل حاجة كان عايزها ودي منهم.

شعرت بسكين قد غرزت في قابي، كان يفكر في مصلحتي قبل أن يموت كعادته. أومأت برأسي وامتلأت عيني بالدموع، وقلت بنبرة مهزوزة لكن بثقة:

- ده شرف ليا وإن شاء الله أكون قد المسؤولية.

- أنا متأكد.

طرق أحدهم الباب ودخل على الفور:

- أستاذ سعيد، فاضل ربع سأغة على فقرة حضرتك، مستعد؟ أومأ برأسه:
  - خمس دقايق وأكون جاهز.

أخذتها كإشارة لكي أرحل، فنهضت من مقعدي.

- طيب، أنا هسيب حضرتك تجهز.

- أنا آسف والله يا نازلي، إننا مالحقناش نتكلم.. بس ملحوقة، وراك حاجة بكرة؟

ترددت قليلًا ثم قلت:

- لا، ما وراييش.

- طيب، ممكن نتعشى سوا في مكان ونتكلم؟ أ

أومأت برأسي:

- أكيد، اللي حضرتك تحبه.

- جميل، هبعتلك على الواتساب المكان والميعاد.

هززت رأسي موافقة وخرجت من غرفته.

لم أرّ زين منذ خمسة أيام. لقد أغلقت على نفسي طوال الأسبوع وجلست في غرفتي أبكي. حاول الوصول إليّ عدة مرات، لكنني بعثت له رسالة أخبره أنني غير قادرة على التحدث مع أي شخص. تفهّم ذلك، لكنه ظلى يراسلني صباح كل يوم برسائل غاية في اللطف مثل:

زين: "عارف إنك مش عايزة تتكلمي، مش عايزك تردي على الرسالة دي، عايزك بس تعرفي إني موجود في أي وقت لو حابة تتكلمي."

وفي اليوم التالي بعث لي تلك الرسالة:"

زين: "صباح الخير. فيه شخصية حكيمة قالت لي مرة: أنا عمري ما هعرف أحط نفسي مكانك وأعرف انت مريت بإيه، بس اللي أعرفه واللي متأكدة منه إن كل حاجة هتبقي أحسن. كل حاجة هتبقى أحسن يا نازلي، أوعدك."

ابتسمت ابتسامة عريضة حين قرأت تلك الرسالة. لقد أخبرته بتلك الجملة في أول مرة حكي لي فيها عن فريدة، هل تذكّر؟ لا أصدق. شعرت بدفء في قلبي وأخذت أقرأها طوال اليوم. نمت مبتسمة لأول مرة بسببها.

في اليوم الثالث، وجدت أمي تدخل غرفتي حاملة علبة مليئة بالشوكولاتة بمختلف أنواعها وكوبًا من الشوكولاتة الساخنة من مكاني المفضل. أدركت في الحال أنها من زين، وسرعان ما تأكدت حين بعث لي رسالة:

تَرِين: "الشوكولاتة بتعلي هرمون السعادة، معرفتش انتِ بتحبي أي

نوع، فجبتلك كل الأنواع."

شعرت بسخونة في وجنتي. لم أدرك أن أمي لا زالت في الغرفة إلا عندما تحدثت:

- مين اللي بعتلك الحاجات دي يا تازلي؟

تساءلت في خبث ولمعت عيناها من السعادة دون أن أجيبها.

تنحنحت ثم أجبت:

- ده دکتور زین.

اتسعت عيناها.

الدكتور المز المشهور بسبب القضية؟

ثم غمزت لي:

- وبعتلك الحاجة دي ليه؟

قلت مبررة في إحراج:

- إحنا صحابٌ، فعارف إني متضايقة وبعتها لي.. عادي، هو زين ذوق مش أكثر.

ضحكت ضحكة ساخرة.

- وماله.. ماشي.. أنا رايحة أعمل الغدا.

ثم خرجت من الغرفة.

تلك المرة بعثت له رسالة:

نازلي: "شكرًا أوي على كل حاجة."

ثم بدّأت في شرّب الشوكولاتة الساخنة وأغمضت عيني حين لمست شفاهي مستمتعة بلذتها.

في اليوم الرابع، دخلت أمي وفي يدها عليتا طعام. نظرت لها في استغراب:

- ایه دول؟

وضعتهما أمامي على السرير.

- ده دكتورك الّمز بعتهم.. هو أنا هفضل أوصلك الحاجة هتاخدوني كوبري ولا إيه؟

ضحّكت ضحكة خافتة ثم فتحت العلبة الأولى فوجدت بيتزا، والعلبة الثانية وجدت "حواوشي". رن هاتفي برسالة ففتحتها على الفور:

زين: "علشان لو محتارة تاكلي حواوشي ولا بيتزا.. جبتلك الاتنين."

كلما أدركت أنه يتذكر تفاصيل صغيرة عني، أشعر بفراشات في معدتي، وبقلبي يرقص رقصةً سعيدة.

نعم، سأعترف لنفسي الآن أنني... وقعت في حبه. ليس بسبب الرسائل والطعام بالطبع، تلك حقيقة أحاول أن أخفيها وأنكرها منذ اليوم الأول. أحببته منذ وقعت عيني عليه وتطورت مشاعري يومًا بعد يوم. لكنني كنت متأكدة أنني إذا اعترفت لنفسي لن يكون هناك رجوع.

لكن السؤال، هل هو يحبني؟ لقد شعرت بعدة مرات أن ربما يكون شعورًا متبادلًا، لكنني ظننت أنني أتوهم، لكن لمَ يعطيني كل هذا الاهتمام إذا لم يكن لديه مشاعر تجاهي؟

بما أن اليوم هو أول يوم أخرج فيه بعد كل ما أفكر به منذ استيقظت، كان أول ما خطر في بالي أنني أريد أن أراه. لذا بعثت له رسالة:

نازلي: "فاضي نتقابل النهارده؟"

ليرد زين على الفور:

زين: "طُبِعًا.. فين والساعة كام؟"

اتفقنا أن نتقابل في مطعم إيطالي جديد أريد أن أجرب طعامه. لقد

وصلت قبله، لذا جلست على الطاولة وأخرجت هاتفي لأشغل نفسي حتى يأتي.

جاء مسرعًا. لقد اشتقت له كثيرًا. أشعر أنني لم أره منذ سنوات، وليس خمسة أيام فقط. قال لي فور جلوسه:

- أنَّا آسف أوي إني تأخرت.

- لا خالص، أنا لسة واضلة من خمس دقايق.

ثم ابتسمت له.

- أخبارك إيه؟

رد لي الابتسامة:

- الحمد لله. انتِ اللي أخبارك إيه؟ عاملة إيه دلوقتي؟

رفعت كتفيّ ثم أنزلتهما:

- أهو أحسن شوية. لسة مش مستوعبة اللي بيحصل بس بحاول. أنا بس أكتر حاجة بكرهها في حياتي هي الظلم، وأنا حاسة إنه اتظلم جامد.

هز رأسه متفهمًا:

- أنا عارف قد إيه الموضوع صعب، بس فيه حاجة أنا متأكد منها.

- إيه هي؟

ابتسم لي بثقة:

- إن ربناً هيبين الحقيقة في الوقت المناسب. الناس ممكن تكون ظالمة، لكن ربنا عادل.

جملة بسيطة لكنها كانت كفيلة بأن تريح قلبي. نعم، لمَ القلق والله شاهد على كل شيء؟

أمسك بقائمة الطعام. ترددت قليلًا ثم قلت:

- شكرًا يا زين.

عقد حاجبيه وتساءل ببراءة:

- على إيه؟

ابتسمت له:

- على كل حاجة. شكرًا إنك فضلت جنبي حتى وأنا ببعد كل الناس عني.

قال في حنان:

- أنا هفضل موجود يا نازلي.. سواء انت عايزاني ولا لا.

أصبح صدري لا يسع قلبي من شدة خفقانه، لكن قاطعنا وأفاقني صوت رئين هاتفي. نظرت فوجدته سعيد المرغني. لا أدري لمَ شعرت بالتوتر، إنها مكالمة عمل عادية. نظرت لزين وقلت وكأنني مذنبة:

- معلش دي مكالمة شغل لازم أرد.

أوماً براسه في تفهم:

- براحتك طبعًا.

نهضت من الكرسي ووقفت خارج المطعم لأرد:

- ألو، إزاي حضرتك أستاذ سعيد؟

- الحمد لله يا نازلي.. آسف إني بزعجك، بس ممكن نخلي ميعاد بكرة 12 بدل 8 علشان طلع لي اجتماع مهم؟

شعرت أن الوقت سيكون قد تأخر بالنسبة لعشاء العمل لكنني لم أستطع أن أرفض:

- أكيد، مافيش أي مشكلة.

- تمام يا نازلي شكرًا وآسف على اللغبطة.

- لا طبعًا، ولا يهم حضرتك.

انتهيت من المكالمة وعدت إلى الطاولة ليستقبلني زين بابتسامته التي أصبحت أدمنها. جلست ثم قلت معتذرة:

أسفة كانت مكالمة مهمة.

- لا آسفة على إيه.. فيه مشكلة في الشغل ولا إيه؟

هززت رأسي ثم قلت في تردد:

- لا مافيش.. ده كان سعيد المرغبي بيحدد معايا ميعاد لاجتماع عشاء.. خلاص هبدأ في البرنامج.

تغيرت ملامحه واختفت ابتسامته وحلت مكانها أخرى مصطنعة، لكنه قال بصدق:

- مبروك يا نازلي.. أنا فرحانلك أوي انتِ تستاهلي.

- شكرًا أوى.

قال وقد بدأ الحماس يعود له؛

- طيب إحنا لازم نحتفل. في مكَّان حلق أوي عايز أعزمك على العشاء فيه، فاضية بكرة؟

تنحنحت ثم قلت بتوتر:

- للأسف، هيكون الاجتماع بكرة... ممكن بعد بكرة لو فاضي؟ سأل بجدية:

- طيب، ممكن بعد الاجتماع؟ عادي، هو الاجتماع الساعة كام؟ ابتلعت لعابي بقلق:

الساعة اتناشر.

عقد حاجبيه:

- بليل؟

أومأت برأسي. اتسعت عيناه، وقال وهو يحاول أن يداري استياءه:

- مش متأخر يا نازلي؟ اجتماع شغل إيه اللي في نص الليل؟ هو مش عارف إنك بنت؟

قلت مبررة:

هو كان الساعة 8، بس جاله اجتماع مستعجل فأجله واعتذرلي.

حاول أن يداري غضبه:

- يأجله ليوم تأني لو مش فاضي... مش الساعة اتناشر بليل... هو كده مش عاملك ولا لأهلُّك احترام.

قلت في انزعاج:

- أنا عارفة، بس ده شغل، ومواعيدنا بسبب طبيعة شغلنا كتير بتبقى متأخرة.

غضبت عيناه:

نازلی، أجلی المیعاد، خلیه یوم تانی بدری.

أريد أن أوافق، ولكن لا يمكنني. إذا أجلت الميعاد سيظنني غير محترفة:

- زين، انت مش فاهم... أنا ممكن الفجر يطلبوني في القناة نصور، هقولهم لأ ساعتها؟

- في القناة... لكن مش على العشا مع راجل غريب.

قلت مدافعة:

- بس ده مديري وإعلامي محترم.

ضحك مستهزئًا:

- محترم وعايز ينزلك الساعة اتناشر؟
  - زين، انت مكبر الموضوع ليه؟

هز رأسه بقوة ثم قال:

- تمام يا نازلي، اللي أنتِ شايفاه.

ثم قال بغضب مغيرًا للموضوع بيدما تفادي النظر في عيني:

- تحبي تطلبي إيه؟

قلت مستنكرة:

- زين، أنا مش حابة المعاملة دي.

- معاملة إيه؟ ما أنا ساكت.

قلت غاضبة:

- هو أنا يا إما أعمل اللي انت عايزه يا تعاملني ببرود؟

ضغط على جبهته وزفر ثم تساءل في استسلام:

- انتِ عايزة إيه يا نازلي؟

استجمعت شجاعتي ثم قلت:

- عايزاك تقولي اللي ما بيننا ده إيه؟

عقد حاجبيه:

- يعني إيه؟

- يعني انت ليه بتتصرف كده؟ مهتم وغيران... قولي ده ليه وساعتها نتفاهم في موضوع بكرة.

نظر لي وصمت لثوان شعرت كأنها عمرًا... ثم تنحنح وقال:

- نازليّ... أنا مش جاّهز دلوقتي أجاوب على سؤال زي ده.

قلت في استنكار:

- زين، آحنا مش مراهقين علشان نتجاهل اللي ما بينا وتسيبني بالليل أقعد أحلل تصرفاتك علشان أحاول أفهم انت حاسس بإيه.

أغمض عينيه وقال كأنه يتألم:

- أنا مش جاهز يا نازلي... أنا مش عارف حاجة.

رمشت سريعًا لمنع الدمُّوع من التجمع في عيني، وأومأت برأسي:

- تمام پا زين.

نهضكُ من الكرسي وأخِذت حقيبتي. أمسك بمعصمي وقال في قلق:

- رايحة فين يا نازلي؟

- لما تبقى جاهز، ابقى كلمني... بس دلوقتى انت راجل غريب زيك زي أي حد. عادي، طالما شايف إن عيب أخرج أتعشى معاه، يبقى تمشي عليك وعليه.

أفلت معصمي وسرت ناحية الباب لأخرج من المطعم بأقصى سرعة. حين وصلت إلى سيارتي، أخذت أبكي بقوة. كانت الفترة الماضية من أصعب فترات حياتي، والشيء الوحيد الذي كان يعطيني أملًا هو زين. لأول مرة أعطي فرصة لرجل، لكن يبدو أنني كنت ساذجة.

عدت إلى المنزل وما إن دخلت إلى غرفتي، وجدت صندوق الشوكولاتة الذي احتفظت به خاليًا يستقبلني. أخذته واتجهت نحو باب الشقة لألقيه في القمامة. ثم ارتديت بيجامتي وارتميت في فراشي وبكيت حتى غلبني النوم.

## الفصل التاسع عشر

زين

واجهتني نازلي بحقيقة يحاول عقلي تجاهلها منذ أسابيع: "إحنا إيه

اللي ما بينا؟".

عندما أفكر في فريدة، أشعر أنني خائن، وعندما أفكر في نازلي، أشعر أنني نذل. تلك الأنثى الرقيقة ذات القلب النقي لا تستحق شخصًا مشوهًا مثلي. لقد كنت أنانيًا حين سمحت لنفسي بالاقتراب منها، والآن لقد تسببت في أذيتها.

فكرة أن أخسرها تجعلني أعجز عن التنفس، وكأن شخصًا قد ركلني في معدتي بقوة. لكنني لا أستطيع أن أكون أنانيًا، لذا عليُّ أن أبتعد مهما

كانّ ذلك ألقرار صعبًا.

عدت إلى منزلي في حالة سيئة على عكس حالتي حين تركته لأقابل نازلي. ما إن دخلت المنزل حتى رنَّ جرس الباب. فتحت الباب لأجد شريف أمامي، على وجهه ابتسامته المرحة المعتادة، لكنها تغيرت حين رأى وجهي. أشزت له بالدخول ليدخل خلفي ويغلق الباب، بينما تساءل في قلق:

- إيه يا زين مالك؟

ارتميت على الأريكة بينما جلس شريف بجانبي.

مالك يا عم ماتقلقنيش، ده أنّا كنت جاي لك نفرفش بعد الشهرين
 الزفت اللي فاتوا، ونلعب كام دور بلاي ستيشن.

اعتدلت في جلستي، ثم نظرت له وتساءلت بدون تفكير:

- شريف، هو انت معجب بنازلي؟

عقد حاجبيه، ثم ضحك ساخرًا، لكنني لم أنزل عيني من عينيه انتظارًا لإجابته. نظر أمامه، ثم أجاب:

- كنت.

شعرت بقبضة، لكنني حاولت أن أخفي مشاعري.

- وإيه اللي حصل وغير ده؟

التفت لي مبتسمًا، متفحصًا وجهي. "

- لغلالة ما عرفت إنك بتحبها.

اتسعت عيني في دهشة، وشعرت أنني انكشفت، وكأنني طفل صغير سرق حلوى، وقبضت عليه أمه متلبشا. تابع شريف مازځا:

- مش انت بس اللي بتعرف تقرأ أفكاري.

فكر قليلًا، ثم قال:

- أنا في الأول شكيت... بعدين اتأكدت.

تساءلت بببرة تكاد تكون غير مسموعة:

- إزاي؟

نظر لعيني:

- لما لقيتك بتبص لها زي ما كنت بتبص لفريدة.

أغمضت عيني متألمًا، ثم قلت مبررًا:

- شريف، انت فاهم...

لكنه قاطعني:

- زين، أنا فرحان لك، اوعى تفتكر إني زعلان. أنا كده كده نازلي قدامي بقالها أكثر من سنة، وعمرها ما أعطتني أي إشارة إنها مهتمة. على عكس ما بتعمل معاك. نازلي بنت جدعة ومركزة في شغلها، ومش بتقرب من أي راجل، وبتتعامل معانا كأنها واحدة من أصحابنا. بس معاك نازلي وأحدة تانية.

ابتلعت لعابي بصعوبة، ثم قلت له:

أنا عمري ما هيكون بيني وما بينها حاجة... مش هخون أختك.

قال منفعلًا:

- زين، انت صاحبي قبل ما تكون جوز فريدة. أنا مبسوط لك ونفسي
 تلاقي حد تكمل حياتك معاه ويعوضك عن الأيام الصعبة اللي شوفتها.
 أنا عارف إن فريدة نفسها في كدة.

هززت رأسي وارتجف صوتي:

- مش هقدر یا شریف.

فلتت مني دموع مسحتها سريقا، وأكملت:

- مش هقدر أعمل كده في فريدة... خصوصًا وأنا حاسس كده ناحية نازلي. لو ماكنتش حبيت نازلي أوي كده، يمكن ماكنش جالي تأنيب الضمير ده. بس حسيت معاها بكل حاجة كنت بحسها مع فريدة... بخاف عليها وبحس إني عايز أحميها من أي حاجة تضايقها... إني عايز أشوفها كل يوم.

دفنت وجهي ٍفي يدي.

- مش هقدر أحس إني ببدل فريدة بحد تاني.

عانقني شريف، ثم قال لي:

- أنا عُارِفْ... عارفْ يا زيّن إن اللي حصلك مش سهل... وعارف انت حبيت فريدة قد إيه. بس فكر بعقل، أنا نفسي بقولك إنك تستاهل تلاقي

حد يحسسك بالمشاعر دي تاني.

لم يُرد شريف أن يتركني وحيدًا، لكنني أصررت على البقاء وحدي. بعد محاولات كثيرة، استسلم ورحل. لم أنم طوال الليل من التفكير. جلست في فراشي أحملق في السقف حتى شروق الشمس. تذكرت أن دكتور خورشيد طلب مني البارحة أن أقابله اليوم في مكتبه في التاسعة صباحًا. في الثامنة كنت قد ارتديت ملابسي، بينما لم أتوقف عن التثاؤب وكأن جسدي يعترض على عدم نومي. عرجت على مقهى قريب لأحضر قهوة حتى أتمكن من البقاء على قيد الحياة، ثم اتجهت إلى مكتب دكتور خورشيد.

وصلت مبكرًا عن ميعادي، لكنني وجدته ينتظرني في مكتبه. طرقت الباب حتى أذن لي بالدخول، ابتسم حين رآني.

- صباح الخيرياً زين... اتفضل اقعد.

جلست أمامه، حين رأى وجهي اختفت ابتسامة، وتساءل في قلق:

- مالك يا زين؟ فيه حاجة؟

هززت رأسي وكذبت:

- لا يا دكتور، أنا زي الفل، مانمتش بس إمبارح.

لا يبدو أنه اقتنع، لكنه احترم عدم رغبتي في البوح.

- طيب يا زين، أنا عندي ليك خبر حلو، خلاص هنبدأ نبني القسم. لأول مرة منذ أيام، أشعر بالتفاؤل. ارتسمت ابتسامة على وجهي.

- بجد؟

اوماً براسه.

- خلاص جهزنا كل حاجة. فاضل حاجة واحدة بس.

- إيه هي؟

- الدكاترة اللي لسه متخرجين محتاجين يسافروا كندا يتدربوا عند

مختصين هناك، ومحتاجين حد مننا يروح معاهم. وانت عارف إني مش هقدر أسيب المستشفى. فهمت مقصده على الفور.

- حضرتك عايزني أروح معاهم؟

- لوفاضي. هما ٣ شهور بس، وانت أكتر حد مناسب بما إنك كنت عايش هناك، وهيتدربوا في جامعة "تورونتو" اللي عملت فيها الدكتوراة.

ثلاثة شهور؟ ليست مدة ظويلة, لكنني فكرت في نازلي على الفور اشتقت لها حين لم أرها ليومين, كيف يمكنني الابتعاد عنها ثلاثة أشهر؟ لكن سرعان ما تذكرت البارحة. لا أستطيع أن أدخل في علاقة جديدة. فأنا الآن لا أخاف فقط أن أخون فريدة, بل أصبحت أخاف أيضًا أن أظلم نازلي. فكرة أن أكون سببًا في حزنها تؤلمني. لذا قلت دون أن أفكر:

- تمام، موافق. إمتى السفر؟

تنحنح قائلًا:

- الأسبوع اللي جاي... عارف إن الموضوع جه بسرعة، بس انت شايف بنحاول ننجز في أسرع وقت،

زفرت، ثم أومأت برأسي.

- تمام یا دکتور، مافیش مشکلة.

# الفصل العشرين نازلي

بعد مرور شهرین...

كان آخر شهرين مليئين بمشاعر مختلطة، شعرت بالسعادة والحزن، بالامتنان والخذلان، بالفخر وعدم الثقة. عندما سمعت أن زين قد سافر، أصبحت الصورة أوضح أمامي. حين تشاجرنا، كان لا يزال هناك أمل بداخلي أنه مرتبك، وحين يهدأ سيتصل بي، حتى أنني اتصلت بسعيد المرغني وطلبت منه أن نعيد جدولة اجتماعنا لوقت أخر أكثر ملاءمة، وتفاجأت أنه وافق على الفور.

كنت أنتظر أن أخبره بذلك فور أن نتحدث سويًا، لكنه سرعان ما اختار الهروب منى. لقد سرت وراء رغبات قلبي كالمراهقات دون أن أحسب خطواتي، لأول مرة أسمح لنفسي بالانجراف وراء مشاعري، وقد

دفعت الثمن.

أول أسبوع بعد سفره كان الأصغب، أغلقت على نفسي وتقوقعت في غرفتي، لكن لم أخرج إلا لمقابلة سعيد. كانت المقابلة مثمرة، كان لبقًا في الحديث، يتعامل باحترام وودية، اتفقنا سويًا أن نبدأ في الإعلان عن الفقرة للجمهور وتصوير الإعلان التشويقي على الفور، وسرعان ما وجدت نفسي في الاستوديو الذي كنت أنظر إليه من الكواليس وأحلم أن أكون أمام الكاميرات يومًا.

ها هو حلمي يتحقق أمام عيني، لكن ما زلت أشعر أن قلبي خاوٍ. ولكن مع انشغالي بالتصوير يومين في الأسبوع والعمل في الصحيفة في بقية الأيام، لم توجد فرصة لأفكاري الحزينة أن تستفرد بي لحسن

حظي.

أصبحت أقرب لسعيد المرغني، تطورت علاقتنا من مدير وموظفة إلى زملاء، ثم إلى أصدقاء. لم أكن أتوقع أن أكون صديقة لأشهر إعلامي في مصر، لكن الفترة الأخيرة كانت مليئة بالتغيرات التي لم أكن أحلم بها.

انتهيت للتو من تصوير الحلقة واتجهت إلى غرفتي. لا زلت لا أصدق أن لدي غرفة في القناة. جلست أمام المراة ممسكة بقطنة ومزيل لمساحيق التجميل وأخذت أنظف وجهي. لم أعتد بعد على وضع كل تلك الطبقات من مساحيق التجميل التي كنت نادرًا ما أضعها.

سمعت طرقًا على باب غرفتي.

- ادخل.

ليخرج سعيد رأسه من الباب.

- نازلي، إحنا كلنا رايحين نتعشى. تيجي معانا؟

بـ"كلنا" يعني هو والمخرج والمنتج وبعضًا من فريق الإعداد، فهم يخرجون سويًا بعد كل آخر حلقة في الأسبوع. أومأت في حماس وقلت مبتسمة.

- أكيد... خمس دقايق وابقي چاهزة.

- خدي وقتك، لسة هنتجرك كمان نص ساعة، نتقابل في الجراج، ماشي؟

- اتفقنا.

ابتسمت للمرآة ثم أكملت مسح وجهي ووضعت بدلًا من مساحيق التجميل الثقيلة أخرى خفيفة، مجرد أحمر شفاه وماسكرا، ثم خلعت ملابسي الرسمية وبدلتها بأخرى أبسط.

وصلًّا إلى المكان الذي كان مطعمًا أنيقًا للغاية، الذي اكتشفت فيما

بعد أنه ملك لسعيد. كان الجميع لطيفًا معي، كنت أصغرهم سنًا وخبرة، لكنهم كانوا يعاملونني باحترامِ شديد وود.

حين انتهينا من تناول العشاء، ذهب النادل ليحضر لنا الحلويات بينما انشغل كل اثنين أو ثلاثة في التحدث في مواضيع جانبية منفصلة، إلا أنا وسعيد الذي اقترب مني وهمس.

- نازلي، ممكن تيجي معايا في التراس؟ عايز أتكلم معاك في حاجة.

استغربت، لكنني أومات برأسي ونهضت من مقعدي واتجهت معه إلى تراس يطل على النيل مباشرة. خطف أنفاسي منظر النيل والقاهرة من فوق، فالمطعم في الدور العشرين.

استنشقت الهواء المنعش الذي ملأ رئتي مداعبًا خصلات شعري. لم أنزل عيناي عن المنظر، لكن سرعان ما استوعبت أنني هنا مع سعيد. حين التفت له، وجدته ينظر لي مبتسمًا، وحين أمسكت بعينيه يتأملني لم يُدِر وجهه ولم يُزِل عينيه عني، بل اتسعت ابتسامته.

ابتسمت له في خجل، لم أعتد أن ينظر لي بهذه الطريقة، ما الذي يحدث الآن؟

قال وكأنه قد سمع أفكاري:

- نازلي، أنا عايز أُدخل في الموضوع على طول، أنا مش بحب اللف والدوران.

أول فكرة خطرت في بالي أنه سوف يرفدني من البرنامج، فشعرت بالذعر، لكنني سرعان ما استوعبت أنه يبتسم لي. هذا ليس وجه شخص سوف يزف إلي خبر رفدي، إلا إذا كان مختلًا، وهذا أستبعده. أخذ نفسًا عميقًا ثم تابع:

أنا معجب بيكِ يا نازلي.

ثم نظر إلى منتظرًا أن أجيبه، لكنني وقفت أمامه كالصنم، لا أستطيع استيعاب ما قاله للتو لأسباب كثيرة، أهمها أنه سعيد المرغني، ليس فقط إعلامي شهير بل فتى أحلام ملايين من الفتيات في مصر، ويمكنه أن يحصل على أي امرأة يريدها. أما أنا؟

مر أكثر من دقيقة ولم أتفوه بشيء، فقط وقفت أحملق فيه، ليضحك

ضحكة خفيفة ويقول:

- أناهارف إني فاجأتك من غير مقدمات، بس أنا أعجبت بيكِ من أول يوم دخلتٍ عليا المكتب مع...

تنحنح وبهتت ابتسامته ثم تابع:

- مع طارق، وكل شوية إعجابي بيلي بيزيد. معرفتش أتكلم علشان اعتبرت إني مديرك.

ثم أشار بيننا.

- بس إحنا دلوقتي زملاء مش مدير وموظفة.

ابتلعت لعابي ثم قلت بصوت مهزوز:

- أنا... أنا بس مش عارفة استوعب لسة.

ثم ضحكت في إحراج وأخذت نفسًا عميقًا ثم قلت:

- أنا بحترم حضرتك جدًا، وحضرتك بجد قدوة ليا كإعلامي وإنسان، بس أنا...

مل سأرفض للتو حلم فتيات مصر؟ لقد أخبرني للتو أنه معجب بي ولم أشعر بأي شيء، على عكس زين. حين يخبرني أي عبارة بسيطة مثل "كيف حالك؟" تمتلئ معدتي بالفراشات. أنا إنسانة صريحة لا يمكننى أن أخدعه، لذا تابعت حديثي.

- أنا بحب شخص تاني.

اتسعت عيناه ثم أوماً برأسه في تفهم ليداري توتره.

- أنا آسف بجد، ماكنتش أعرف إنك مرتبطة... آسف اعتبريني ما قلتش حاجة.

هززت رأسي:

- لا، أنا مش مرتبطة. أنا والشخص ده ما بقيناش مع بعض.

ضحكت في مرارة:

- أو علشان أكون دقيقة أكتر، غمرنا ما كنا أصلًا مع بعض، بس أنا ما بطلتش أحبه، ومش هعرف أدخل في غلاقة مع حد وأنا لسة عندي مشاعر تجاه حد تاني.

ثم هززت رأسي وضحكت غير مصدقة؛

- أنا مش مصدقة إن أي بنت تتمنى تبقى مكاني دلوقتي. ابتسم لي قائلًا:

- بس أنا ما تمنيتش أي بنت تبقى مكانك.

يا إلهي، لمّ يجب عليه أن يكون بهذا اللطف؟ غطيت وجهي بكفي، أتمنى لو أستطيع أن أختفي الآن، لكنه أنزل كفي بيديه، فحاولت أن أشعر بأي مشاعر إثر لمسته، لكن لا شيء. لا توجد الكهرباء التي أشعر بها حين يلمسني زين حتى عن طريق الخطأ.

أزاح يده على الفور ونظر في عينيّ متسائلًا بنبرة جدية:

- طيب يا نازلي، فيه احتمال ترجعوا؟

فكرت قليلًا ثم هززت رأسي وقلت:

- ماظنش، هو سافر أصلًا.

قال بثقة:

- طيب يا نازلي، أنا مستعد أبقى معاكِ وأحاول أنسيهولك. نجرب، ووالله هتقبل لو قولتيلي بعد فترة إنك مش عايزة تكملي، هفهم. أنا مستعد أعمل ده علشانك، ولو قولتيلي آه هتقدملك في ساعتها.

لم أصدق ما يطلبه مني، شعرت أن عقلي سينفجر.

- خلينا ناخدها واحدة واحدة، ممكن تخرجي معايا بكرة نتغدى سوا؟ لا أستطيع استيعاب أنه يترجاني لكي أوافق، بلعت لعابي ثم أومأت برأسي.

- مأشي.

اتسعت ابتسامته ولمعت عيناه من السعادة كأنني أخبرته أنه ربح اليناصيب، لذا أكملت على الفور:

- بس أنا مش هقدر أوعد حضرتك بحاجة...

قال لي برفق مبتسمًا:

- الحاّجة الوحيدة اللي عايزك توعديني بيها هي إنك تبطلي تقوليلي "حضرتك"... ماتخافيش، مش هضغط عليكِ في حاجة... steps

أُومات برأسي مرددة بابتسامة:

.baby steps -

ابتسم لي ثم أشار إلى باب الشرفة:

- يلا نرجع؟

- يلا بينا.

فتح لي الباب لكي أعبر قبله، ثم عدنا إلى أماكننا. انشغل الجميع في الحديث وتعالت ضحكات بعضهم، بينما جلستُ شاردة. كانت آخر فترة

مليئة بالمفاجآت، لكن تلك المفاجأة كانت أغربها. التفت لي مبتسمًا وهمس:

- انتِ كويسة؟

- آه... آه کویسة, ماتقلقش.

أوماً برأسه ثم أكمل حديثه مع أحد أصدقائه.

\*\*\*

في اليوم التالي، أخذني إلى مطعم أنيق. تناولنا الطعام وتحدثنا، وفي آخر اليوم قبل أن يوصلني إلى بيتي، اشترى لي باقة كبيرة من الزهون ووضع بها بطاقة. طلب مني أن أقرأها حين أكون بمفردي. حين دخلت غرفتي، فتحت الجواب على الفور لأقرأ محتواه:

"أنا أتبسطت أوي النهاردة، شكلك حلو أوي، شكرًا إنك خلتيني أشعد

واحد في الدنيا لما وافقتِ تنزلي معايا".

احمرتُ وجنتاي من الخجل، ولكن بخلاف ذلك لم أشعر بأي شيء. أنا أعيش حلم الكثير من الفتيات، لكنني لا أستطيع سوى أن أفكر في "زين".

#### الفصل الواحد والعشرون

زين

من الأشياء التي أحبها في كندا أن الوقت يمر سريعًا. كل ما أفعله هنا هو الاستيقاظ، ثم الذهاب إلى العمل، ثم العودة إلى البيت والنوم. وتيرة الحياة السريعة تناسبني لأنها لا تترك لي وقتًا للتفكير... ولكنني أجد نفسي أفكر في نازلي يوميًا. أفكر بها حين أستيقظ، وقبل أن أنام، وأثناء عملي وفي وقت فراغي.

والناء علمي وفي وقد والمراسي. لقد بدأت في تقديم فقرة ثابتة في البرنامج، وأحرص على ألا أفؤت حلقة، وأشعر بفخر كبير وأنا أشاهدها تحقق حلمها. وفي ذات الوقت، أشعر بضيق في صدري لأنني لست معها. وأشعر بغضب حين تشارك أحيانًا الفقرة مع ذلك اللعين سعيد المرغني، وأرى كيف ينظر لها

بإعجاب، فأغلق الفيديو فور رؤيتي لوجهه السمج.

لم أجرب الغيرة من قبل، لم أكن أعرف كم هي قاسية. جعلتني أكره رجلًا لا أعرفه ولم أقابله من قبل، كأنه عدو لي.

حاولت أن أبقى مشغولًا على قدر الإمكان، فور استيقاظي، أذهب الى النادي الرياضي، ثم أستحم، وأتجه إلى الجامعة، حيث تم تعييني أستاذًا مساعدًا، وأعطى محاضرات في علوم الطب الشرعي، ثم أرافق مجموعة الأطباء الذين أصحبهم من مصر إلى محاضراتهم. ثم أعود إلى

منزلي منهكاً وأنام على الفور.

فور انتهائي من المحاضرة، شكرني الطلاب، ثم رحلوا واحدًا تلو الآخر، بينما جمعت أشيائي وأوراق الاختبارات. كان ذلك آخر اختبار لهم، أوشك الفصل الدراسي على الانتهاء، وأوشكت على الرحيل. وكلما اقترب موعد العودة، كلما ازداد توتري، فتلك الرحلة كانت عذرًا لي للهرب من مشاعري. عندما أعود، سيتوجب عليّ أن أواجهها بالكامل.

أخرجني من شرودي صوت رنين هاتفي. مددت يدي في حقيبتي وأخرجته. توهجت الشاشة باسم شريف. ابتسمت، ثم أجبت بصوت مرح:

- شيفو، وحشتني، عامل إيه؟

لكن صلوت شريفً كان متوترًا على عكس صوتي.

- زين عامل إيه؟ بقولك فاضي نتكلم؟

شعرت بشيء سيئ في معدّتي. أول ما فكرت فيه هو: هل نازلي بخير؟

أومأت برأسي:

- آه، أكيد.

تنحنح، ثم قال:

- زين، إحنا لقينا جثة النهارده.

حتى الآن، لا يوجد شيء غريب في الجملة، لأن ذلك شيء طبيعي بل روتيني بالنسبة لطبيعة عمله، لذا صمت منتظرًا إياه أن يكمل.

اهتز هاتفي، ثم تابع شريف:

أنا بعتلك صورة الجثة ومسرح الجريمة، شوفهم وأنا معاك.

وضعت المكالمة على مكبر الصوت وفتحت المحادثة التي بيني وبين شريف. الصور لا تزال غير واضحة، حتى ضغطت عليها واتسعت عيناي. رأيت جثة مشوهة لأنثى تبدو في أوائل العشرينات من عمرها، ملامحها غير واضحة. هناك الكثير من الطعنات في جسدها... ومحفور على معدتها رقم "6". فتحت الصورة التالية لأجدها رسالة. قرأت محتواها: "وحشتكم؟ انتم كمان وحشتوني".

أغمضت عيني، ثم سببت رغمًا عني. تساءل شريف دون مقدمات:

- تقدر ترجع إمتى؟

ضغطت على جبيني وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قلت:

- هحجز أول طيارةً بكرة.

حجزت أول رحلة وجدتها متوفرة من تورونتو إلى القاهرة. وصلت إلى المطار في صباح اليوم التالي. كانت الرحلة طويلة ومرهقة، استغرقت سبعًا وعشرين ساعة، لذا وصلت إلى منزلي منهكاً. لكنني وضعت حقائبي وغيرت ملابسي سريعًا، ثم ذهبت إلى مكتب شريف الذي كان ينتظرني.

تعانقنا، ثم أعطاني ملف القضية. تفحصته بدقة. لقد وجدوا الجثة معلقة من رقبتها في الطابق الثاني من مبنى لا يزال في بداية مراحل بنائه. لذا لم يكن هناك جدران بعد، مجرد طوب وإسمنت مصبوب على حديد. اكتشفها العمال في صباح اليوم التالي وأبلغوا الشرطة على الفود.

الفور.

كان المبنى في منطقة غير مأهولة بالسكان بعد، مجرد مبانٍ لم تكتمل. لذا لم يوجد أي شهود أو كاميرات، كالعادة في كل جرائم ذلك الوغد. انتهيت من تفحص الملف ونظرت إلى شريف الذي كان يراقبني في

ترقب سألني على الفور:

- هو صح؟ ولا حد بيقلده؟

هززت رأسي في أسف:

- مُحتاج أشُوفُ الجثة على الحقيقة... بس من الصور أقدر أقولك إنه هو.

صرب بيده الطاولة بقوة في غضب. هززت رأسي:

- قلتلك إنه مش دكتور طارق، بس ما حدش سمع كلامي.

وضع كفيه على عينيه وزفر:

- انت عارف إنهم ما صدقوا نتنيل نقفل القضية دي بعد ما الناس كانوا خلاص فاضلهم شوية وينزلوا يعملوا مظاهرات ضدنا في الشارع... لو كنت قلت للواء مصطفى كده كان هيسود عيشتنا.

هززت كتفي:

- فتقفلوا الّقضية بدل ما كنا قربنا نوصل للقاتل!

ضحك ضحكة ساخرة وقال مستنكزاك

- قربنا نوصله؟ إحنا من أول ما القضية بدأت وإحنا في نفس مكاننا مش عارفين نوصل لأي حاجة، والحيوان ده بيلعب بينا.

ثم أشار لي:

- حتى انت يا زين، عمر ما قضية قعدت في إيدك أكتر من أسبوع، وزيك زينا.

لم أحاول أن أدافع عن نفسي لأنه على حق. تلك القضية سابقة في مسيرتي المهنية، لكن ذلك الوغد حقًا بارع. ومع ذلك، أنا مؤمن أنها ليست هناك جريمة كاملة. لا بد أنه سيخطئ، خاصةً أنه شخص نرجسي، سوف يثق في نفسه لدرجة عمياء تجعله يغفل عن تفصيلة ما... تفصيلة صغيرة هي كل ما أحتاجه للوصول إليه.

ذهبت إلى المشرحة لأُعاين الجثة عن قرب. نعم، إنه ذات القاتل. نفس الأسلوب، نفس التفاصيل، نفس كل شيء، حتى الضحية يبدو عليها أنها كانت تعمل فتاة ليل مثل أول ضحياه.

عندما انتهيت، خرجت من المشفى وركبت سيارتي. قبل أن أدير المحرك، رن هاتفي. نظرت لأجدها أختي تتصل بي عبر الفيديو. قبلت المكالمة لتظهر لي أختي الصغيرة ليلى وبجانبها أمي. ليلى الآن في الثانية والعشرين من عمرها، لكنني لا زلت أراها طفلة. ابتسمت حين رأيت وجوههما. لقد اشتقت لهما حقاً. لم أزرهما منذ عام، ونتحدث بضع مرات في الأسبوع، مكالمات سريعة لكي أطمئن عليهما ثم أعود إلى عملي.

نحن لا نتحدث عبر الفيديو كثيرًا، لذا حين رأيت وجههما، شعرت بدموع تتجمع في عيني، لكنني رمشت بعيني سريعًا لأمنع ذلك. قالت

ليلى في حماس دُونٍ مقدمات:

- عندّنا ليك مفاجأة كبيرة.

ضحکت:

- استریا رب.

لتضحك وتهز رأسها:

- ماتقلقش، مفاجأة حلوة.

نظرت لها في فضول، لتقول بصوت عالٍ:

- إحنا راجعين مصر.

ابتسمت وضحكت غير مصدق، فهم لم يعودوا إلى مصر منذ أكثر من عامين. لقد سافروا منذ أربعة أعوام حتى تدرس ليلى هناك الإخراج والتمثيل، وذهبت أمي معها حتى لا تبقى وحيدة هنا. وبما أن خالتي تعيش هناك منذ أكثر من ثلاثين عامًا، لم تمانع أمي في أن تعيش هناك أيضًا حتى تتخرج ليلى.

تساءلت فرخا:

- أخدتِ إجازة؟

- لا... إحنا هنرجع على طول... جالي شغل مهم أوي في فيلم كبير في مصر... هشتغل مخرج مساعد.

ليلى ليست فقط أُختي الصغيرة، بل هي ابنتي. فارق العمر بيننا عشر سنوات، حيث عانت أمي من صعوبة في الإنجاب بسبب مشكلة حدثت لها عند إنجابي، لذا ليلى هي طفلتنا المعجزة. كلمة "فخور" لا تكفيني لكي أعبر عما أشعر به الآن وأنا أراها تحقق إحدى أحلامها.

قلت فرخا:

- أنا فخور بيكِ أوي يا ليلى، انتِ تستاهلي أكتر من كده بكتير... انتم جايين إمتى؟

ابتسمت أمي، ثم نظرا إلى بعضهما، ثم قالت أمي بحماس:

- إحنا في المطار خلاص، هنركب الطيارة.

ابتعدا عنَّ الكادر لأستوعب أنهم حقًا في المطار، ذلك يفسر الضوضاء التي أسمعها في الخلفية. قالت أختي بعجلة:

- هنوصل مصر كمان ١٩ ساعة... هنبعتلك تفاصيل الرحلة علشان

تجيبنا من المطار، إحنا لازم نركب دلوقتي.

ثم لوحاً بيديهما ممسكين بجوازات سفّرهما وأغلقا المكالمة. ابتسمت في راحة، لم أكن أعلم كم كنت بحاجة إليهما سوى الآن، رغم أنني لم أرهما منذ عام، لكن فكرة أنني سأنتظر تسعة عشر ساعة لأجتمع بهما أزعجتني.

في مساء اليوم التالي، ذهبت إلى المطار لأنتظرهما أمام بوابة

الخروج. بعد نصف ساعة، رأيتهما من بعيد، لكنهما لم ترياني بعد. اقتربت منهما وتوهجت وجوههما حين رأوني. ركضت ليلى نحوي، وقفزت بجسدها الرشيق متعلقة برقبتي، لامستني واحتضنتني بقوة حتى خشيت أن أحطم عظامها. عندما أنزلتها، أسرعت إلى أمي وارتميت في حضنها الدافئ، شعرت وكأنني عدت طفلًا صغيرًا يحتمي في أمه بعد يوم طويل ومرهق في المدرسة.

جاء عامل خلفهما ممسكًا بعربة كبيرة تجر حقائبهما الكثيرة. ساعدته في وضع الحقائب في حقيبة السيارة التي بالكاد استوعبتهم، ثم انطلقنا نحو بيتي. منزلنا لا يزال موجودًا لكنه ظل مغلقًا لأكثر من عامين، لذا سيبقون في منزلي الجديد بضعة أيام حتى يتم تنظيف المنزل، لكنني سأحاول أن أقنعهم بالبقاء معي.

وصلنا إلى البيت واستقرت كُل منهما في غرفتها. لم يمضِ أكثر من نصف ساعة على وجودهن، لكن البيت أصبح أكثر دفئًا بالفعل.

في صباح اليوم التالي، استيقظت على صوت ضحكات أختي بينما انتشرت في البيت رائحة طعام أمي الشهي. شعرت لوهلة أنه حلم، لكن سرعان ما استوعبت. لم أستيقظ بابتسامة على وجهي منذ سنوات، لكن وجودهن أعطى لحياتي لونًا.

في المساء، أصرت أختي على الذهاب إلى مطعم فاخر جديد مشهور

رأت صوره على الإنترنت.

 والنبي يا زين، تعالى معانا، أنا عايزة أجرب كل حاجة كنت نفسي أجربها.

ضحكت:

- انتِ إزاي لسه صاحية أصلًا؟ المفروض الساعة دلوقتي في لوس أنجلوس 8 الصبح.

لقد استسلمت أمي للنوم منذ ساعات، لكن ليلى لم تتثاءب حتى، بل تحركت في نشاط.

- يا زين، أنا متعودة على السهر، انت نسيت أنا بشتغل إيه؟

نظرت لي بعيونها البريئة التي لا أستطيع مقاومتها، لذا ابتسمت وقلت لها في استسلام:

- ماهي، رُوحي البسي.

صاحت في سعادة، زرعت قبلة على وجنتي وانطلقت نحو غرفتها

دخلنا المطعم ليستقبلنا نادل يرتدي بدلة أنيقة، وقف يتأكد من وجود اسمينا على قائمة الحجز. يبدو أن ليلى كانت تخطط للحضور منذ فترة لأن الحصول على حجز في ذلك المكان يتطلب أيامًا. حين وجد اسمينا، أشار لنا ليرشدنا إلى طاولتنا. سرنا خلفه لتقع عيناي على آخر شخص كنت أتوقع أن أراه هنا، السبب وراء هروبي ووراء عدم نومي وتفكيري الذي لا يتوقف... رأيت نازلي أمامي. التفتت وكأنها شعرت بنظراتي على وجهها، لتتسع عيناها. تسمرت مكاني وشعرت وكأن الجميع اختف من حولنا، لا يوجد سوانا أنا ونازلي. لكن سرعان ما اقتحم شخص عالمنا. كنت أظن أنني حظيت بنصيبي من المفاجآت اليوم، لكن اتسعت عيني حين رأيت رجلًا يقترب من طاولتها ويجلس أمامها. وذلك عيني حين رأيت رجلًا يقترب من طاولتها ويجلس أمامها. وذلك الشخص لم يكن سوى عدوي اللدود... سعيد المرغني.

عين نازلي لم تنزل عن وجهي، لكن سرعان ما نظرت إلى جانبي وعقدت حاجبيها، ورأيت في عينيها نظرة حزن وغدر. حين التفت إلى المكان الذي وقعت عليه نظراتها، وجدتها تنظر إلى ليلى التي أمسكت

بذراعي وسألت:

- زین، مش هنقعد؟

يبدو أنها كانت تتحدث، لكنني لم أسمعها. أفقْتُ من شرودي والتفت ها.

- آه، يلا بينا.

لكن سعيد المرغني التفت لنا بوجهه الوسيم اللعين. ابتسم حين تعرف علي، ثم نهض نحوي. هل حقّا هذا يحدث؟ ما هي الاحتمالات أن أجد نازلي هنا؟ ومع من؟ مع سعيد، الذي يقترب مني في حماس كما لو كنت صديقه الحميم. التفت خلقي لعله ينظر إلى شخص آخر، لكن ذلك الاحتمال قد تبخر حين قال لي بود، ماذا يده ليصافحني:

- دكتور زين القاضي بنفسه..

صافحته، لكنني لم أتحدث.

- مبسوط إني قَابِلتك، أنا بسمع عدك كثير.

تساءلت في حيرة:

- حضرتك تعرفني؟

ضحك وكأنني قد أخبرته بنكتة للتو:

- فيه حد مايعرفكش؟ وبعدين أنا آخر فترة ماكنتش بتكلم في البرنامج غير عنك.

بالطبع، بدأت في استيعاب أنني أصبحت مشهورًا في الآونة الأخيرة وتحدثت جميع البرامج عني بعدما ذكر ذلك السفاح اللعين اسمي، وتسربت تلك الرسالة. وأنني أشهر إعلامي في مصر. ثم نظر إلى أختي التي وقفت مندهشة، ليمد يده لها ليصافحها معرفًا بنفسه وكأنه يحتاج لذلك:

- سعيد المرغني.

أومأت برأسها وكأنها فقدت قدرتها على الكلام لوهلة، ثم قالت في إحراج:

- أنا ليلى القاضي... أخت زين.

قال في لباقة:

- اتشرقت بيكِ.

ثم التفت إلى نازلي التي جلست تنظر لنا في دهشة مشابهة لدهشتي. نظر لي متسائلا:

- انتّ أكيد تعرف نازلي، انتم اشتغلتوا سوا.

أومأت برأسي.

لمعت عيناه ثم قال متحمشا:

- ماتيجوا تقعدوا معانا.

اتسعت عيني وأجبت على الفور:

- k.

ثم أكملت حتى لا يشك في أمري.

- مش عايز أزعجكم.

هز رأسه.

- إزعاج إيه بس... أنا فصر بجد.

ثم التفت إلى النادل دون أن ينتظر إجابتي.

- زود كرسيين على الطرابيزة بتاعتي.

تحرك النادل على الفور. لم يبق لي اختيار، التفت إلى ليلى لسؤالها.

- انتِ تمام معاكِ؟

أجابت هامسة.

- انت بتهزر؟ أنا هقعد دلوقتي مع سعيد المرغني بنفسه على نفس الطرابيزة، أنا مش مصدقة.

حتى أقرب أنثى لي قد باعتني للتو لأجله.

الفصل الثاني والعشرون

نازلي

في الآونة الأخيرة، بدأت أصدق أنني أصبحت محظوظة، لكن وجود زين أمامي الآن وجلوسه على ذات الطاولة يخبرني بعكس ذلك. لدي الكثير من الأسئلة: متى عاد؟ ولماذا هو هنا؟ فتلك ليست أنواع الأماكن التي يحبها عادةً، فهو يفضل الأماكن المريحة والهادئة.

والسؤال الأهم: من تلك الفتاة الحسناء التي تجلس بجانبه؟ هل وقع في حب امرأة بتلك السرعة؟ يبدو أنها أصغر منه بعدة أعوام. أكره تلك النظرة التي يوجهها إليها، وكأنها أهم شخص في حياته. يحرص على أن تكون مرتاحة، ويهمسان لبعضهما. أريد أن أمسك بالطاولة وألقيها على رأسه. يا لوقاحته! يجلس أمامي مع امرأة أخرى بعدما اختفى فجأة من حياتى!

هل كانت هي سبب رفضه لي، وليست فريدة؟

عندما جلساً، لم يعرفني عليها بل اكتفى بمصافحة يدي كأنني شخص غريب. وصافحتني الفتاة بحرارة، إنها لطيفة للغاية مما يجعلني أكثر غضبًا، لأنني لا أستطيع أن أكرهها.

عم الصمت بعدما طلبا طعامهما، تحدث سعيد:

- أنتم هترجعوا تشتغلوا مع بعض تاني؟

تنحنح زين ثم تساءل:

- ليه؟

أجاب سعيد عاقدًا حاجبيه:

- مش القضية اتفتحت تاني؟

نعم، كنت قد نسيت لوهلة، لكن كيف أنسى السبب الذي لم يجعلني أنام في الأيام الماضية؟ شعرت بمزيج من الاستياء والارتياح حين علمت بوجود جثة جديدة. فالخبر السيئ أن القاتل لا يزال طليقًا، لكن الخبر الجيد أن دكتور طارق بريء. أريد أن ألوح بتلك المعلومة في وجه كل شخص اتهمه وتحدث عنه بسوء، حتى لو لم تثبت براءته بعد.

أصبحت أكره ذلك القاتل أكثر مما كنت أكرهه. لم أكن أعلم أن ذلك ممكن، للكنه الآن أصبح قاتل دكتور طارق. الآن، أصبح هناك ثأر شخصي بيني وبينه.

قال زین ببرود:

- أنا بحب أشتغل لوحدي. ما أظنش هيكون فيه شغل ما بينا أنا ونازلي.

ها قد عاد زين الوقح الذي قابلته في البداية، وكأن ذلك الزين اللطيف الحنون الذي عرفته قد تبخر. أم هل كنت أتوهّمه؟

غير سعيد الحديث وكأنه شعر بإحراجي. نظر إلى الفتاة متسائلًا:

- وانتِ يا ليلى بتشتغلي إيه؟

قالت بينما لمعت عيناها شارحة في شغف:

- مخرجة. أنا درست إخراج في أمريكا ولسة راجعة مصر أشتغل هنا.
   رد سعيد بإعجاب:
- هايل أُوي. لو محتاجة مساعدة ممكن توريني شغلك وأكلملك مخرجين صحابي. تدخل زين مدافعًا:
- ليلى مش محتاجة واسطة. ليلى جالها دور مساعدة مخرج في فيلم

لمروان حامد هيتصور قريب.

لا أستطيع أن أتخطى نظرة الفخر التي يرمقها لها.

رن هاتف سعيد لينهض بعد أن استأذننا لكي يجيب على مكالمة عمل، بينما نهضت ليلى لتذهب إلى الحمام. لم يبق سوانا. هل يمكن لذلك اليوم أن يصبح أسوأ؟

نقر زين على الطاولة ثم قال ساخرًا:

- انتِ وسعيد ها؟ شكل العشاء بتاع اتناشر بالليل جاب نتيجة.

ذلك الوقح، هل له عين؟

قلت متظاهرة بالتماسك حتى لا يشعر بمفعول كلماته على:

- آه، تصدق؟ مش بس العشاء ده، كل ما خرجنا بنقرب أكتر. حقيقي طلع لطيف جدًا.

ضغط على أسنانه حتى كادت تتحطم، وأحكم يده حول شوكته حتى ابيضت مفاصله، وبرزت عروقه. يا لوقاحتها يعطي لنفسه حق الشعور بالغيرة عليّ بينما هو في موعد غرامي مع امرأة أخرى؟ فيم كنت أفكر حين أحببته؟

عادت الفتاة من الحمام. فور جلوسها، شعرت بالتوتر الذي يدور بيننا. نظرت إلى زين ثم إلي، ثم اتسعت عيناها كأنها أدركت شيئا لتتنحنح متسائلة بنبرة مرحة:

- ماكنتش أعرف أن انتِ وأخويا كنتوا بتشتغلوا مع بعض. انتِ بتشتغلي في الطب الشرعي؟

التفت لها زين، بينما تعلقت عيناي بها. أخوها؟ إذن هي أخته؟ يا لقلبي الأحمق، لقد قفز لتوه من السعادة بعدما أعلن عن كرهه له منذ دقيقتين. أدركت أنها لا تزال تنتظر إجابتي، لذا أجبت على الفور:

- لا، أنا صحفية.

قالت لي بإعجاب:

.Wow, that's so cool -

ثم تابعت:

- انتم بتحققوا مع بعض وكده زي الأفلام؟ عارفين نفسي أعمل فيلم يكون قصته كده، محقق ذكي وصحفية شاطرة بيشتغلوا على قضية ويبقوا مش طايقين بعض في الأول، بعدين يحبوا بعض...

اختنقت في لعابي وبدأت أسعل بقوة، ليسرع زين نحوي بكوب من المياه. أخذته منه وابتلعته حتى هدأ سعالي. حين نظرت له، رأيته قلقًا. ها هو زين الذي أعرفه يعود. قال لي باهتمام، مربطًا يده على ظهري:

- أنتِ بتشرقي كتين محتاجة تكشفي.

أومأت برأسي، لكنني لن أذهب إلى الطبيب لأنني أعرف السبب. السبب يقف بجانبي، وقد ملأ القلق وجهه الوسيم الذي اشتقت له. يبدو أن حالتي ميؤوس منها.

بعد عدة دقائق، عاد سعيد إلى مقعده معتذرًا:

أنا آسف أوي، كان فيه مشكلة في الشغل. اتأخرت عليكم؟
 هززنا رأسنا. يا سعيد، إنك حقًا في غاية اللطف، لكنني لم أنتبه لغيابك
 بسبب وجود زين. أشعر بأنني الأسوأ.

لم يتوقف زين عن التحديق بي طوال العشاء، بالأخص حينما سند سعيد ذراعه على ظهر كرسيي لامشا ظهري. يبدو أن الحركة بريئة، ربما يريد أن يريح ذراعه، لكن زين ضغط على فكه ولم يزل عينه عن ذراعه. لو كانت النظرات تحرق لكان اشتعل سعيد، لكن تلك المرة الأولى التي

يقوم فيها سعيد بشيء مماثل. فهو دائمًا ما يحترم مساحتي الشخصية، لكنني لن أنكر أنني شعرت بالرضا وأنا أرى زين منزعجًا. بالطبع لن أستخدم سعيد لجعله يغير، لكن يبدو أنه قد رسم صورة في مخيلته دون أن أتدخل، ولن أصحح له الصورة وأخبره أنه لا يوجد أي شيء بيني وبين سعيد. سأدعُه يتعذب.

من رقم غريب:

- ألو، مين معايا؟

رد عليّ صوت أنثوي:

- صبّاح الخير، أستاذة نازلي؟

- أيوة، مين معايا؟

- أنا هند يا آنسة نازلي، صاحبة هالة الله يرحمها.

سرعان ما تذكرتها. إنها الفتاة التي ساعدتنا للوصول لهوية عواطف الملقبة بهالة، ضحية السفاح الثانية، لقد أعطيتها رقمي لتتصل بي في حال وقوع أي جديد.

- أيوة يا هند، فاكراكِ، عاملة إيه؟

- الحمد لله.

ترددت قليلًا ثم قالت:

- أنا عندي كام حاجة ممكن ينفعوك في القضية ... ينفع أقابلك؟

اتفقنا أن تتقابل في شارع جانبي بالقرب من المكان الذي تقف فيه مع زميلاتها. ركبت السيارة مرتديةً معطفًا طويلًا يخفي أسفله ملابس قصيرة، وتضع الكثير من مساحيق التجميل. يبدو على وجهها القلق. قلتُ لأشجعها على الحديث:

- قوليلي يا هند، كنتِ عايزة تحكيلي إيه؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت:

- فيه بنت صاحبتنا أسمها أحلام... بتقف معانا هنا، من كام يوم اختفت أحلام، وبعديها انتشر خبر إنهم لقوا ضحية جديدة للسفاح. أنا متأكدة إلى دي أحلام.

تسلالث في فضول:

- طيب هي ركبت مع حد قبل ما تختفي؟

هزت رأسها:

لا، خلصت عادي شغلها وسلمت علينا واختفت وهي مروحة،
 ماوصلتش بيتها ولا جت تاني يوم.

- طيب قوليلي، أوصل إزايّ لحد من أهلها علشان يتعرفوا عليها؟

ضحكت ضحكة ساخرة وقالت بمرارة:

- انتِ فكرك يا أنسة ليه السفاح بيختارنا من دون الناس؟

بلعت لعابي ولم أجب، لتتابع هي وقد امتلأت عيناها بالدموع، وتجنبت النظر إلي:

- علشان الواحدة مننا مالهاش أهل. هي لو ليها أهل هيترمى عليها الرمية السودا دي؟ علشان كده مالناش حد يسأل علينا. انتِ فكرك لو أنا اختفيت، أهلى هيسألوا؟

بدأت الدموع تتجمع في عينيَ أنا أيضًا لكنني مسحتها، بينما تابعت

ھي:

- هيتضايقوا الأول علشان الفلوس اللي بجيبها هتتقطع، بعدين

هينسوني. هو انتِ فاكرة إنهم مصدقين إلى بشتغل ممرضة؟ ضحكت مستهزئة:

- بس هما عاملين نفسهم مش واخدين بالهم علشان الفلوس اللي بدخل عليهم بيها آخر اليوم.

رأيث انكسارًا في عينيها وهي تقول:

- حتى أهل عواطف لما عرفوا إن هي اتقتلت، اتبرّوا منها ورفضوا يستلموا جثتها.

ضغطت على يدها وقلث:

- أوعدك يا هند إني مش هسكت غير لما نجيب حقهم.

أومأت هند برأسها ثم قالت:

 فيه حاجة أخدت بالي منها، من يوم ما أحلام اختفت وفي عربية سوداء بتراقبنا من بعيد شبه العربية اللي ركبت جواها هالة قبل ما تختفى.

اعتدّلت في جلستي وتساءلت:

- طيب شفتِ وشه؟

هزت رأسها:

- العربية كلها متفيمة.

ثم بحثت عن شيء في حقيبتها وأخرجت ورقة صغيرة، ثم ناولتني إياها:

- بس كتبت نمرة عربيتهم.

قلث متحمسة:

- طيب دي معلومة حلوة أوي يا هند... أنا هبعت الرقم لظابط صاحبي ماسك القضية وهنشوف صاحبها اسمه إيه.

- ماشي، وأنا لو حصل أي حاجة هقولك. أستأذنك، لازم أرجع الشغل.

أدرث محرك السيارة:

- هوصلك.

حين أوصلتها بجانب المكان الذي تقف فيه، شكرتني وخرجت من السيارة. لكن حين أغلقت الباب، توقفت في مكانها ثم التفتت لي في ذعر: <

- أستاذة نازلي.

- إيه يا هند؟

نظرت أمامها قائلة:

- العربية السوداء واقفة هناك، اهي.

التفث إلى المكان الذي تنظر إليه، ووجدت سيارة سوداء طراز BMW تقف على بعد خطوات منا.

- انتِ متأكدة يا هند؟

أومأت برأسها بقوة:

- أيوة هي اللي بتقف هنا كل يوم تراقبنا.

تحركت السيارة فقلت لها دون أن أنزل عيني عن السيارة:

- طيب أنا همشي وراها.

ثم انطلقت ورادها، حرصت على أن أضع بيننا مسافة حتى لا يلاحظني السائق. سرت خلفه لمدة عشرين دقيقة حتى أوقف سيارته. تجمدت الدماء في عروقي حين أدركت أننا في شارع جانبي يطل على المرسى الذي ؤجدت فيه جثة هالة.

كانت الساَّعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساءً، لذا كان الشارع خاليًا،

١١٧ / ٢٥٠ الفصل الثاني والعشرول

وكان مصدر الضوء الوحيد عواميد الإنارة التي لا تعمل على أكمل وجه، لذا لم تكن الرؤية واضحة. فتح السائق الباب واتجه إلى مدخل يؤدي إلى الميناء. لم أستطع أن أرى وجهه بسبب الظلام وأيضًا لبعدي عنه حيث حرصت على أن أوقف سيارتي بعيدًا.

ارتديت سريعًا معطفًا وكَابًا، أتركهم في السيارة دائمًا في حالة

احتجت إليهم، وخرجت.

أسرعت في اتجاه المدخل الذي دخل منه، أخذت أبحث عنه بعيني لكنني لم أجده. خشيت لوهلة أن أكون فقدته، لكنه خرج من داخل مركب صغير مربوط بالرصيف. لم أستطع أن أرى وجهه، لذا اقتربت في حرص واختبأت خلف حائط صغير. أصبح الآن بإمكاني أن أراه بوضوح، لكنني لم أستطع أن أرى وجهه بعد لأنه يعطيني ظهره. جهزت هاتفي لالتقاط له صورة فور أن يلتفت. تسارعت دقات قلبي وأنا أنتظره. هل سأرى وجهه أخيرًا؟ هل سأرى آخر وجه رأته ضحاياه قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة؟

سهرت شهورًا أتخيل، يا ترى كيف يبدو هذا السايكوباتي عديم الرحمة؟ مرت دقيقة لكنني شعرت أنها سنوات حتى التفت أخيرًا، لينقبض قلبي وترتعش ركبتي. رأيت وجهه أخيرًا، لكنه وجه مألوف...

إنه... شريف... شريف؟

جلست على الأرض وأغلقت فمي بيدي حتى لا يسمع شهقتي. أخذت أرتعش لا أصدق ما أراه. شريف؟ لا يمكن... التفت مجددًا للتأكد لعل عيني خدعتني، ولكنه بالفعل شريف. أتته مكالمة فانهمك في الحديث في التليفون. استجمعت شجاعتي وأخرجت هاتفي لكي أصوره من خلف الحائط، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، نسيت أن أوقف تشغيل الفلاش، لذا عندما ضغطت زر التصوير، أضاء نوره العتمة، والتفت شريف تجاهي على الفور.

- يالهوي! قلتها بينما أغلقت الكاميرا واختبأت خلف الحائط ليصيح شريف:

- مین هنا؟

أغلقت عيني وحاولت أن أنظم أنفاسي، لكن صوت خطواته أصبح قريبًا. قال في غضب:

- مین هنا؟ أنا شوفتك!

سرت في خفة حتى لا يراني، لكن قدمي اصطدمت في كوب زجاجي موضوع بجانب كرسي خشبي ليتحطم على الفور ويصدر صوتًا عاليًا. أسرع شريف خطواته، فبدأت في الركض ليركض خلفي هو أيضًا. لياقتي البدنية لا بأس بها، لكنني أنافس الآن ضابط شرطة ضعفي في الحجم، لذا بخطوتين فقط منه استطاع اللحاق بي. حين أمسك بذراعي، حاولت الإفلات منه، وعندما فشلت، قمت بركله ليفلت يدي فجأة مما جعلني أتعتر وأقع على ظهري. تأوهت بصوت عالٍ، ليقترب مني شريف.

قلت صائحة:

- ابعد عني! أنا كلمت البوليس.

اتسعت عيناه وتساءل غير مصدق:

- نازلي؟

ثم عقد حاجبيه مقتربًا مني:

- انټ بتعملي إيه هنا؟ وبوليس إيه؟

حاولت الوقوف لكنني شعرت بألم شديد أسفل ظهري منعني من

التحرك قلت وأنا أتألم:

- هتعمل فيا زيهم؟

زفر في غضب وقال:

- نازليّ، انتِ بتخرفي! بتقولي إيه؟ وإيه اللي جابك هنا في وقت متأخر زي ده؟

اقترب مني، لكنني صرخت:

- ابعد عني أنا غرفت إنك القاتل.

رفع حاجبيه:

- ها؟ قاتل إيه؟

- شوفتك وانث بتراقب البنات زميلات هالة والضحية السادسة، وإدوني رقم عربيتك.

ثم كذبت:

- وبعت كل ده لناس أعرفهم، فلو قتلتني هيعرفوا إنه انت.

هز رأسه في غضب:

- نازلي، انتِ هبلة؟ قاتل إيه، انتِ كُمَانٍ؟ هو مش أنا ماسك أم القضية دي وبحقق فيها؟ طبيعي هراقب كل الأماكنِ اللي القاتل راحها.

أبتلعت لعابي، ثم تذكرت تفصيلة وقلتها في غضب:

- البنات قالواً إن عربيتك نفس شكل العربية اللي هالة ركبت فيها قبل ما تختفي.

رفع يده وهز رأسه غير مصدق:

- ده على أساس إن مفيش ملايين عندهم BMW غيري في مصر؟ بدت أسبابُه منطقية فتنحنحت شاعرة بالإحراج. ثم مد لي يده وساعدني على الوقوف وقال:

- أنا مش مصدقك يا نازلي بجدا

تفاديت النظر في عينية، يبدو أنها نهاية صداقتنا. فبالطبع لن يسامحني أبدًا، وبالتأكيد سيمنعني من التحقيق في القضية. ثم بدأت في الشعور بالذعر... هل يمكنه أن يسجنني؟ لن أستطيع الصمود في السجن... يا إلهي، ماذا أفعل؟

أخرجتني من أفكاري المظلمة ضحكاته. نظرت له على الفور حيث لم أصدق أذني، لكنه بالفعل كان يضحك. قلت بصوت منخفض:

- انت بتضحك؟

هز رأسه ثم قال:

- أنا مش مصدق يا نازلي انتِ بتشكي فيا أنا؟ يا هبلة!

تساءلت في خجل:

- هو انت مش هتقاطعني وبعديها تسجني؟

ليزداد ضحكه ويمسح دموعًا قد سالت من كثرة الضحك وقال:

- والله يا نازلي، ضحكتيني، وأنا من أول القضية السودا دي ماضحكتش.

ثم أشار نحو المخرج:

- يلا يا نازلي، روحي نامي، الله يخليك. القضية دي جنتك.

- بس يا شريف، أنا عرفت حاجات مهمة، الضحية الأخيرة اسمها "أح..."

ليكمل هو:

- اسمها أحلام كمال عوض السيد، بتشتغل فتاة ليل مع عطيات، الضحية الثانية اللي اكتشفنا جثتها هنا.

قلت متسائلة:

- انت عرفت؟

هز رأسه في استنكار:

- نازلي، هو انت نسيت إني ظابط؟ أنا عارف المعلومات دي من أول يوم. هو إخنا بناهب؟

يبدو أن زيادة ثقتي في نفسي كمحققة أنستني كونه الضابط الحقيقي هنا. أمسكت بظهري في ألم وعرجت بجانبه حتى أوصلني إلى سيارتي. حين ركبت السيارة، فتحت النافذة ليقول لي:

- المعلومة الوحيدة المفيدة شوية إنك عرفتيني إن القاتل عنده زي

عربيتي.

ثم ضحك وطرق على سقف سيارتي بيده:

- يلا يا نازلي، روحي.

تنحنحت وقلت:

- أنا آسفة يا شريف... هتقاطعني؟

هز رأسه وقال مبتسمًا:

- لا يا ستي، مش هقاطعك... ابقي اكشفي على ضهرك.

أومأت له براسي ثم انطلقت بالسيارة. لم أشعر بهذا القدر من الإحراج من قبل.

## الفصل الثالث والعشرون

#### زين

كل يوم يمر دون الوصول إلى هوية القاتل، أشعر بمسؤولية ثقيلة تلقى على عاتقي، وشعور بالذنب تجاه كل ضحية فقدت روحها. من المؤكد أن هناك تفصيلة قد غفلت عنها، ولكن كيف؟ لقد حفظت جميع تفاصيل القضية.

أحضرت لوحًا كبيرًا وبدأت أعلق عليه صور الضحايا ومسارح الجريمة، وتحتها صورة دكتور طارق والأدلة التي أدانته. أول صورة هي صورة سيارته التي غرقت بدماء الضحية الخامسة، والصورة الثانية هي من منزله، حيث وجدوا صندوقًا كبيرًا أسفل فراشه مملوءًا بتذكارات مأخوذة من كل ضحية: فستان الضحية الأولى، حقيبة الضحية الثانية، محفظة الضحية الثالثة، حذاء الضحية الرابعة، ونسخ من كل جريدة تم ذكر القضية فيها.

علقت كل تلك الصور بالترتيب على اللوح الكبير، ثم أخذت أكتب كل

التفاصيل التي أمتلكها.

السؤال الذي يراودني الآن هو: لماذا قتل دكتور طارق؟ لابد أنه وصل إلى معلومات خطيرة عن القاتل، لذا تخلص منه. إذا توصلنا إلى تلك المعلومات، سنكون قد اقتربنا كثيرًا من الوصول إليه. لذا قررت التوجه إلى مكتبه في الجريدة.

وصلت إلى مدخل الجريدة حين أوقفني الأمن. أخرجت له بطاقتي وأخبرته أنني الطبيب الشرعي المسؤول عن القضية، فوجهني إلى مكتب الاستقبال حيث قابلني شاب يرتدي بدلة، رحب بي على الفور.

- أهلًا يا دكتور زين، نورت الجريدة. أساعد حضرتك إزاّي؟

- كنت عايز أدخل مكتب دكتور طارق، هو لسة موجود؟

نظر لي في حزن.

- أيوةً يا دُكتور، ما حدش قدر يشيل حاجته ولا ياخد مكتبه، فسيبناه مقفول زي ما هو.

- طيب؛ ينفع توريني مكانه؟

أوماً برأسه ونهض من مقعده، وأشار لي لكي أسير أمامه. سرنا في ممر طويل على جانبيه مكاتب صغيرة بها موظفون منهمكون في العمل، حتى وصلنا إلى غرفة مكتوب عليها اسم دكتور طارق. أخرج الشاب سلسلة مفاتيح من جيبه، وأثناء فتحه إلماب، التفت متفحصًا للمكان لأجد نازلي أمامي ممسكة بأوراق وكوب قهوة. حين رأتني، أنزلت الكوب عن شفتيها وتوقفت في مكانها.

ابتلعت لعابي بصعوبة، ثم آبتسمت لها. لقد اشتقت لها حقًا. تحركت نحوها، فوجدت هانيا صديقتها تسبقني إليها ممسكة بأوراق هي الأخرى

- نازلي، شوفي الخبر ده كده قبل ما أنشره.

لكن عيون نازلي لم تنزل من علي، مما جعل هانيا تلتفت نحوي لتعرف بما تشرد صديقتها. حين رأتني، ابتسمت ثم رمقت نازلي بنظرة لم أفهمها وهمست لها بشيء جعل وجنتيها تتحولان إلى اللون الأحمر، ورمقتها بنظرة محذرة، لكن هانيا تجاهلتها واتجهت نحوي مرحبة.

- دكتور زين، نورت الجريدة. أنا ونازلي كنا لسة في سيرتك والله. اتسعت عينا نازلي واقتربت منها قارصة إياها لتتألّم هانيا. لم أستطع أن أمنع ابتسامتي. - منورة بيكم يا هانيا, انتِ كويسة؟

نظرت إلى نازلي ثم قالت:

- لا، ده ناموسة قرصتني بس.. عن إذنك، ورايا شغل مستعجل، أسيبكم بقى.

اقترب مني الشاب مادًا يده بالمفتاح.

- دكتور زين، المكتب مفتوح، لما تخلص، اقفل الباب وراك واديني المفتاح.

أومأت برأسي وقلت في امتنان:

- شكرًا جدًا.

- العفو.. على إيه؟

ثم قال لنازلي قبل أن يرحل:

- صباح الخير، آنسة نازلي.

لتجيبه بنبرة لطيفة اشتقت إليها:

- صباح الفل يا هيثم.

حين رحل هيثم، أصبحنا وحدنا.

صباح الخيريا نازلي.

لتجيب بجدية:

- صباح النور، دكتور زين.

عقدت حاجبي.

- دکتور زین؟

لكنها تجاهلت سؤالي.

- أقدر أساعدك في حاجة؟

أومأت برأسي.

- أنا شاكك إن القاتل قتل دكتور طارق علشان اكتشف معلومات خطيرة عنه. كنت عايز أدور في مكتبه يمكن الاقي حاجة البوليس ما أخدش باله منها.

رأيت عينيها تلمعان بالفضول، أحب تلك النظرة، معناها أنها تفكر في شيء يحمسها، فقلت منتهزّا الفرصة:

- تحبي تدوري معايا؟

أومأت برأسها علي الفور. دخلنا إلى المكتب معًا.

أنا هدور في درج المكتب، وانت دوري في الدرج اللي ورا، ماشي؟
 أخذنا نبحث لأكثر من نصف ساعة، ولم نعثر على أي شيء يلفت انتباهي. وجدت ورقة داخل ملف موضوع بعناية في آخر درج، وحين قرأت فحواها، ناديت نازلي التي أتت مسرعة.

- هو دکتور طارق استقاّل؟

عقدت حاجبيها.

- لا، ما أظنش، ليه؟

أعطيتها ورقة استقالته لتنظر إليها.

 غريبة، دكتور طارق بيحب الجرنال أكتر من أي حاجة، استحالة يسيبه. ده هو اللي يعتبر المؤسس بتاعه.

- غريبة.

مر أكثر من ساعتين ولم نجد أي شيء مفيد. جلست نازلي في الكرسي المقابل لي، ممسكة بظهرها في ألم.

- أنا ما لقيتش أي حاجة.

تساءلت:

- انتِ كويسة؟

أومأت برأسها وقالت في خجل، متفادية النظر إلي:

- أنا تمام.. خبطت ظهري بس من كام يوم.

قلت في قلق:

- طيب، كشفت؟

- لا، مش مستاهلة.

- خبطیه إزاي؟

نظرت إليّ وقد احمر وجهها، تنخنجت ثم قالت متسائلة:

- هو شريف ما حكالكش؟

هززت رأسي. خبأت وجهها بين كُفيها وقصت علي ما حدث بينهم في الميناء مسرعة. حين انتهت، صمت قليلًا ثم انفجرت ضاحكًا ليزداد وجهها احمرارًا.

- انت بتضحك يا زين؟ هو أنا ناقصة؟

زين.. لقد عادت إلى طبيعتها التي أحبها، لذا ابتسمت لها.

- عادي يا نازلي، بتحصل لأحسن الناس، ماتزعليش نفسك.

أعادتُ تخبئة وجهها بكفيها، لأنهض من مكاني وأمسك بيدها لأرى وجهها، لتنظر لي متفاجئة. قلت وما زالت يدها بين يدي:

- مش عايزة تيجي معايا نشرب هوت شوكليت؟

نظرت إلى يدها التي أمسكت بها، لكنها لم تفلتها، وقالت بنبرة مرتعشة:

- بس الدنيا حرا

هززت كتفي.

- عندي تكييف في الغربية.

ابتسمت ثم أومات برأسها ليرقص قلبي. أشعر أني عدت مراهقا بسبب نازلي، فأسهل الأشياء منها تجعل دقات قلبي تتسارع . جلسنا في السيارة نحتسي مشروباتنا، لم يتحدث أي منا. جلسنا في صمت، لكن الصمت معها مريح، لا أشعر أن هناك شيئا غريبًا. احتست نازلي رشفة كبيرة مل كوبها ثم قالت:

- حاسة إن القضية دي كابوس مش بيخلص.

أومأت برأسي متفهمًا، لتكمل هي:

- وبعد ما دكتور طارق دخل في الموضوع، بقيت حاسة إن الموضوع بقى شخصي.

ثم امتلأت عيناها بالدموع.

- أنا مش عايزة حد بحبه تاني يموت وحقه يروح وما عرفش أعمل حاجة.

ضغطت على يدها.

- حقه مش هيروح يا نازلي، أوعدك.. ولا حق حلا.

نظرت لي في حزن.

- زین، أنّا مش فاهماك.. ومش بحب أبقى مش فاهمة.. هو انت مجنون؟

ضحكت رغمًا عني وأجبت غير مصدق:

।१७। -

أومأت برأسها بقوة.

- أيوة، ساعات طيب.. ساعات بارد.. ساعات حنين ومهتم، وساعات

119 / 10 السمل الدائد

غلس لدرجة إني بحس إني عايزة أكسر حاجة على دماغك من كتر الغيظ.

اهتز جسدي من الضحك، لكنها لم تشاركني ذلك، بل ظلت تنظر لي منتظرة إجابتي. مسحت عيني وقلت:

- بصي يا نازلي، أنا ماكنتش كده.. أنا أكتر واحد صريح في الدنيا

وعارف هو عايز آيه.

اعتدلت في جلستها ووضعت كوبها الذي تشرب منه في مكانه المخصص في السيارة، ثم التفتت لي.

- طيب، إيه اللي حصل لك؟

هززت كتفي.

- مش عارف. يمكن بقيت بخاف أخسر الناس اللي بحبهم؟

مسحت وجهي وزفرت، ثم التفت لها ونظرت في عينيها حتى تفهم أن تلك الكلمات نابعة من قلبي.

- بس كل اللي أعرفه إني مش عايز أأذيكِ أبدًا يا نازلي، ومش عايز أشوفك زعلانة.

اهتز هاتفها عدة مرات, لكنها لم تمسكه.

- ردي على موبايلك لو حابة.

أمسكّت به ليتغير وجهها أثر شيءٍ رأته، سألتها في قلق:

- فيه إيه يا نازلي؟

زفرت ثم نظرت لي.

- ده سعيد.. عايز يشوفني في مطعمه النهارده.

انقبض قلبي بسبب سيرته، كم أكره صوت اسمه حين يخرج من فمها. قلت محاولًا أن أخفى غضبي:

- اجتماع شغل؟

هزت رأسها نافية.

.. ¥ -

أشاحت نظرها عن وجهي وقالت:

- سعيد قال لي إنه عايز يتجوزني.

شعرت وكأنها ركلتني في معدتيّ ركلة قطعت أنفاسي. هززت رأسي غير مصدق.

- مش.. مش فاهم.. ده حصل إمتى؟

- إمبارح وعايز نخرج النهارده أرد عليه وال...

قاطعتها.

- انتِ أكيد مش هتوافقي.

نظرت لي في تحدُّ.

- موافقش لیه یا زین؟

صهث بينما نظرت لي نازلي في انتظار أن أجيبها. أريد أن أخبرها أنني أحبها، أنني لن أقبل أن تكون لأي شخص غيري، ولكن لا أريد أن أعترف لها بحبي بتلك الطريقة. لا أريد أن تظن أنني سأقول تلك الكلمات لمجرد منعها من الذهاب لغيري. أشعر أن رأسي سينفجر من كثرة التفكير، أريد أن أبوح لها بمشاعري لكن عقلي تمرد علي ومنعني.

حين طال صمتي، ضحكت نازلي ضحكة ساخرة ونظرت لي بيرود لأول مرة. لقد رأيت جميع نظرات نازلي، الغاضبة منها والمتحمسة، والحزينة، والسعيدة، وتلك النظرات التي خصتني بها، نظرات الخجل والبراءة، لكن لأول مرة أرى تلك النظرة الخاوية من أي مشاعر، وكأنها

قد استسلمت.

- كنت عارفة يا زين.

ثم نظرت إلى هاتفها وقالت:

- أنا لازم أروح.

ثم فتحت باب السيارة، أمسكت بذراعها.

- رايحة فين؟ ما أنا هوصلك البيت.

لكنها أفلتت ذراعها من بين يدي لتخرج من السيارة، قالت ممسكة بالباب بنبرة وكأنها تحدث شخصًا غريبًا عنها:

- أنا عكس سكتك، مش عايزة أتعبك يا دكتور زين، أنا طلبت عربية ووصلت.. مع السلامة.

ُ ثُم أُغلقَتُ باب السيارة وأسرعت إلى أخرى تنتظرها خلفي. لكُنني خرجت من السيارة وسرت خلفها وأمسكت بها قبل أن تركب.

- نازلي، ثواني، إحنا بنتكلم.

ابتسمت ابتسامة رسمية.

- معلش، ورايا ميعاد مهم، بعد إذنك سيبني أركب.

ثم فتحت باب السيارة، لكنني لم أفلت ذراعها. نظرت إلى يدي قالت:

- ممكن لو سمحت تسيب إيدي؟

حين لم أستجب، جذبتها بقوة حتى أفلتها، ثم ركبت السيارة وانطلق بها السائق. وقفت في مكاني أنظر إلى السيارة حتى اختفت، أشعر أن جسدى خاوٍ بلا روح.

ركبت سيارتي وانطلقت نحو منزلي، وكأن جسدي قد تولى مهمة القيادة. قدت وأنا شارد حتى وصلت تحت منزلي، وأنا لا أعلم كيف وصلت. حين دخلت المنزل، استقبلتني رائحة طعام أمي اللذيذة وصوتها وهي تتحدث مع أختي، حين رأوني، أسرعوا نحوي ليسحبوني في عناق جماعي. حاولت أن أيتسم، لكنني فشلت. حين لاحظوا، السعت عيونهم وملأها القلق. قالت أمي ممسكة بوجنتي:

- مالك يا حبيبي؟ انت كويس؟

أومأت ﴿ أَسِي وَقَلْتَ كَاذَبَّا:

- أنا زي الفل، تعبان بس من الشغل.

تبادلت أمي وليلى النظرات كما لو كانا يجريان محادثة صامتة، مما اعتبرتها قوة خارقة تميزت بها النساء، قوة الحديث بالنظرات. قالت أمى في تردد:

- زين.. ليلي حكت لي على حاجة.

عقدت حاجبي.

- حاجة إيه؟

لتتدخل ليلي:

- حكيت لها عن نازلي.

رمشت بعيني عندما سمعت اسمها. قالت أمي في حنان:

- انت بتحب یا زین؟

ابتلعت لعابي ونظرت إلى ليلى.

- مين قال الكلام ده يا ليلي؟

لتقول في حجل:

- أنا ما بقيتش عيلة يا زين، أنا أخدت بالي يوم العشا من الطريقة اللي بتبصلها بيها.

تلك المرة الثانية التي يخبرني بها شخص أن نظراتي لنازلي تفضحني، فشريف أخبرني بذات الجملة. سحبتني أمي نحو الأريكة وذهبت معها مستسلمًا، فلا طاقة لي للجدال. فور جلوسي، جلست ليلى على يميني وأمي على يساري.

- أنا كنتُ عارفَة إن اليوم دّه هييجي يا أبني.. وكنت مستنياه.

هززت رأسي.

- مستنياه إزاي يا ماما.. وفريدة؟

ربتت على ظهري في خنان.

- أنا عارفة إنك هتفكر كده يا زين.. بس انت لازم تعرف إن فريدة نفسها تشوفك مبسوط.. فكرك هي مبسوطة وهي شايفاك قافل على نفسك؟

تجمعت الدموع في غيني فمسحتها على الفور.

- ما تظلمش نفسك يا زين، انت شفت كتير واستحملت كتير.. وخليت آخر سنين في حياة فريدة خلوين أوي.. الدور عليك.

قلت بنبرة مهتزة:

- بس أنا كده هكون بخونها يا ماما،

ابتسمت لي ابتسامة حزينة,

- طول عمرُك بتقسى على نفسك وبتحمل نفسك مسؤوليات فوق طاقتك من وانت صغير.

ثم لمعت عيناها بالدموع.

- انت عارف فريدة إيه بالنسبة لي. فريدة تعتبر كبرت على إيدي وزيها زي ليلى.. يعني لو انت هتظلمها هقولك.

حين صمث تابعت:

- انت بتحب نازلي؟ ٠

نظرت لها لثوان ثم أومأت برأسي.

- أوي..

امتزجت ابتسامتها بالدموع.

- يبقى مستني إيه يا حبيبي؟

سندټ رأسي على صدرها لتحتضني وقلت:

 - في الأول كنت خايف.. خايف أظلمها وما بقاش عارف أنسى فريدة وتفضل هي رقم اتنين، وهي ما تستاهلش كده يا ماما.. بس لما سافرت ورجعت وشوفتها، اتأكدت إن نازلي ليها مكان في قلبي مختلف.

ثم واصلت بمرارة:

- بس الوقت اتأخر. فيه واحد اتقدملها، وزمانهم قاعدين سوا دلوقتي.

تساءلت ليلي:

- سعيد المرغني؟ أومأت برأسي:

- أيوة.

- طيب هي وافقت؟

هززت رأسي:

- معرفش.

قالت ليلي:

- زين، أنا لو ما كنتش متأكدة من اللي شوفته، إن نازلي كمان بتحبك، ما كنتش اتكلمت. يعني لو هي وافقت، يبقى هتوافق بسببك علشان حست بالرفض. ماتسبهاش تروح من إيدك.

قلت ساخرًا:

- أعمل إيه يعني؟ أروح أقتحم عليهم قعدتهم وأقولها حبيني أنا؟ أجابتا في صوت واحد:

- أيوة!

اعتدلت في جلستي:

- انتم مش بتهزروا؟

قالت ليلي بحماس:

- لا.. قوم يلا يا زين علشان هتندم.

ثم وقفت فوق الأريكة وأخذت تقفز كالطفلة:

- الله ده زي الأفلام بالظبط، أدخل عليها وزعق وقولها لا! أنا بحبك، ماتوافقيش.

ابتسمت رغمًا عني، لتنهض أمي وتمسكني من ذراعي:

- يلاقوم البس واتشيك كده وروح لهاً.. انت عارف هما هيكونوا فين؟

أومأت برأسي:

أيوة، في المطعم اللي اتقابلنا فيه صدفة مع ليلى.

ثم تابعث بنبرة ساخرة:

- طلع المطعم بتاع البيه.

قالت ليلي:

- طیب یلا البس بسرعة.. هو سعید قمور، بس انت أحلی بکتیر وهتغطی علیه کده کده.

هززت رأسي غير مصدق لما تفكر فيه.

\*\*\*

لا أعلم كيف أقنعوني، ولكنني لم أستوعب ما أفعل إلا وأنا أمام باب المطعم. استقبلني النادل بلباقة:

- في حجز باسم حضرتك؟ ولا فيه حد مستنيك جوا يا فندم؟

سألته: ر

- هولسعيد المرغني هنا؟

ليصلح لي الجملة: "

- أستاذ سعيد؟

اومات في عدم صبر:

- أيوة، لو موجود عايز أقابله.

- أيوة، بس هو في عشا خاص مش هينفع...

سرت إلى الداخل قبل أن يكمل جملته، متجهًا نحو الطاولة التي جلسا عليها في المرة الأخيرة لعلي أجدهما هناك. تجاهلت اعتراضات النادل، حتى وصلت إلى الطاولة ووجدتهما بالفعل. التفتا نحوي حين سمعا صوت النادل:

- يا فندم ما ينفعش كده!

اتسعت عينا نازلي وكأنها رأت شبحًا، بينما حاول سعيد أن يداري دهشته ويحافظ على وجهه الدبلوماسي. نهض من كرسيه وقال للنادل:

- ده دکتور زین القاضي یا محسن.. یدخل براحته.

لينظر النادل إلى الأرض في خجل:

- آسف يا سعيد بيه.. وآسف يا دكتور زين.. تحبوا أزود كرسي في

الترابيزة؟

قلت معترضًا:

- لا، مافيش داعي، أنا جاي أقول حاجة بسرعة.

أشار سعيد إلى ألنادل لكي ينصرف. ابتسم لي ومد يده ليصافحني بقوة:

نورت یا دکتور زین.. اتفضل، اتفضل.

نظرت إلى نازلي وقلت بشجاعة:

- أنا بحب نازلي.

اتسعت عيناها لدرجة أنني شعرت أنها ستخرج من جمجمتها.

- أنا بحبك يا نازلي.. من أول يوم شوفتك فيه، بس أنا كنت جبان وخايف.. بس أنا مش هسمج إنك تضيعي مني.

نظرت لي ثم إلى سعيد، ثم نهضت من كرسيها وقالت بصوت مرتعش:

- عن إذنكم، أنا رايحة الحمام.

وأسرعت نحو الحمام تاركة إياي مع سعيد.. نعم، سعيد الذي قاطعت موعده مع نازلي التي ربما أصبحت خطيبته الآن، أعلم أنني أبدو له كوغد. لم يتحدث فقط، وقف مندهشًا، لذا قلت:

- أنا آسف.. أنا عارف إن اللي عملته دلوقتي مش أحسن حاجة.. بس أنا بحب نازلي.. أنا مش عارف هي وأفقت إنكم تتخطبوا ولا لا، بس في كل الأحوال ما كنتش ه...

قاطعني:

- نازلي ما وافقتش يا زين.. نزلت النهارده علشان ترفضني بشياكة.. بس هتفضل زميلة عزيزة عليا في كل الأحوال.

ثم تابع في هدوء:

- هي قالتُّ لي على فكرة أول ما قولت لها إني معجب بيها إنها بتحب حد.. بس قالت لي إن مافيش أمل يبقوا سوا.

على عكس توقعي، ربّت على ظهري:

- روح لها يا زين، وما تضيعش نازلي، تستاهل تبقى مبسوطة، ولو هتكون مبسوطة معاك، أنا مش هتكلم. علشان مش هغصبها تحبني كده .

تأكدت الآن أنني بالفعل وغد، لقد كرهته لشهور، ورسمت صورة في خيالي أنه شخص سيئ، لكن اتضح الأمر أنه أفضل مني. نظرت له ممتنا:

- شكرًا.. أنا آسف.

ابتسم لي نصف ابتسامة وهز رأسه:

- ولا يهمك.

ثم قال ضاحكًا:

أنا لو أعرف أي حاجة عن نازلي، فمؤكد إنها زمانها بتحاول تهرب،
 مش رايحة الحمام ولا حاجة.. فروج الحقها يلا.

أومات برأسي وابتسمت له، ثم أسرعت نحو باب الخروج. بحثت بعيني عنها، لأجدها تقف على الرصيف تنتظر مرور أي سيارة أجرة. حين اقتربت منها، وجدتها تبكي، وعندما شعرت بوجودي، مسحت دموعها. أمسكت ذراعيها ونظرت لها:

- نازلي، أنا ما كنتش عايز أقولهالك في موقف زي ده.. بس أنا بحبك. لكنها نظرت بعينيها المجهدتين من كثرة البكاء وقالت:

- وانت كان عندك شهور كتير تقولي فيها إنك بتحبني.. جاي دلوقتي

لما لقيت حد تاني عايز يتجوزني؟

دفعتني لأفلتها، ثم ابتعدت عني:

- انت أناني.. انت سيبتني وهربت لما لمحتلك أي حاجة وما فكرتش نيا.

هززت رأسي وقلت مدافقا:

- أنا ما هربتش، أنا كان عندي شغل.

لكنها قاطعتني:

- عندك شغل وده عدر إنك ما تسلمش عليًا قبل ما تسافر؟.. ولا تفكر تكلمني وأعرف من شريف صدفة إنك سافرت؟.. أنا كنت بحبك علشان حسيت معاك لأول مرة في حياتي إن فيه حد أقدر أعتمد عليه، حد أحس معاه بالأمان، حد أسند عليه بدل ما كل الناس بتسند عليًا حتى أهلي، وحسيت إنك متقبلني زي ما أنا..

"كُنت بحبك"! شعرت وكأن تلك الجملة خنجرًا غرز في قلبي.

- بس ده طلع مش حقيقي.. أنا مش عايزة واحد يُهربُ مني زي العيال.. أمال لو حصل مشكلة ما بينا هتعمل إيه؟ هتهاجر؟

قلت:

- يا نازلي...

لكنها هزت رأسها بقوة وقاطعتني بصوت مرتعش:

- زين ماتتكلمش، أرجوك، أنا مش عايزة أسمع حاجة.. ومش عايزة أشوفك تاني، من فضلك، كل ما بشوفك بتوجع أكتر وأنا ما استاهلش كده..

انقطع صوتها لأن دموعها تمكنت منها، أردت أن أضمها، لكن قبل أن أتحرك أشارت إلى سيارة أجرة قريبة وركبتها على الفور، لتتركني جسدًا خاويًا بلا روح للمرة الثانية اليوم.

#### الفصل الرابع والعشرون

نازلي

حين استيقظت، لم أتذكر لوهلة ما حدث بالأمس، لكن سرعان ما بدأت الذكريات تتدفق. سعيد وهو يطلب مني الزواج، وأنا أرفضه في المطعم... المطعم الذي اقتحمه زين ليعترف لي بحبه، منتظرًا إياي أن أركض نحوّه وأعانقه بسعادة، وأنسى كم جرحني حين اختفى من حياتي فجأة.

وضّعت الوسادة على وجهي لتكتم صوّت صراخي، كل ما أريده اليوم هو أن أبقى في فراشي؛ فأنا لست مستعدة لمواجهة العالم. نظرت إلى الساعة فوجدتها الخامسة صباحًا، لذا أغمضت عيني محاولةً العودة إلى النوم. لم تمر سوى خمس دقائق حتى شعرت بهاتفي يهتز. أمسكته لأجد رسالة من شريف يخبرني فيها أنهم اكتشفوا جثة جديدة... جثة الضحية السابعة.

انطلقت نحو الموقع الذي بعثه لي، قدت بسرعة حتى وصلت. لم أحتج إلى النظر لهاتفي للتأكد من أنني في المكان الصحيح، حيث رأيت أمامي سيارات شرطة، وسيارة إسعاف، والنساء والرجال ملتفين حول الشريط الأصفر الذي وضعته الشرطة حول مسرح الجريمة.

حين اقتربت، وجَّدت شريف يتحدث مع ضابط، وما إن رآني حتى أشار للعسكري لكي يسمح لي بالدخول. دخلت، وبحثت بعيني عن الجثة لأجدها ملقاة على سطح سيارة. أشحت بنظري على الفور، فالمشهد كان أبشع من كل مرة. قال شريف وهو لم يزل ينظر إلى الجثة:

- البنت اتترمت من سطح العمارة دي.

وأشار إلى مبنى صغير قديم مصمم على الطراز الأوروبي، قديم لكنه أنيق، مكون من خمس ظوابق. ثم تابع:

- الجيران سمعوا صوت هبدة الفجر، نزلوا يشوفوا إيه، شافوا المنظر وكلمونا على طول.

التفث إليه في فضول:

- طيب، مالحقوش يشوفوا مين الليّ عمل كده؟

هز بألمه نافيًا:

- لسَّه ما عرفوش، لما عرفوا هي وقعت من أنهي سطح وطلعوا فوق كان المجرم هرب، استخدم سلم خلفي موجود في العمارة.

تساءلت:

- سلم خلفي؟ أوماً براسه:

- العمارات القديمة كانوا بيعملوا سلم خلفي عشان الشغالين.

نداء من أحد المسعفين جعله يستأذن مني ويتوجه نحوه، تاركا إياي. أمسكت بهاتفي وبدأت أدون التفاصيل حتى لا أنسى شيئا عندما أكتب الخبر.

أثناء انشغالي، لاحظت فجأة أن الجميع بدأ يتحرك من حول الجثة ويفسحون المجال لشخص. لم أحتج أن ألتفت لأعرف من هو. ابتعد الضباط والمسعفون حتى يستطيع زين أن يفحص الجثة بتركيز. لم تتلاق عيوننا، فتمنيت ألا پراني، لكنه التفت نحوي على الفور كأنه قرأ أفكاري. توقفت عن التنفس لثوان حين نظر إلي. لا أعرف كيف يمكنني أن أحب شخصًا وفي نفس الوقت أبغضه. أريد أن أعانقه وألكمه في ذات الوقت. أريد أن أتجنبه لكنني أشعر بالسعادة حين أراه. يبدو أن

It was selective / 177

عقلي وقلبي في صراع، وأتمنى أن يفوز عقلي.

نظّر إليّ زين ببرود، ثم أشاح بوجهه وبدأ في عمله. وكالعادة، التفّ حوله الجميع يراقبونه بترقب. مرت بضع دقائق، وعم الصمت. بدأ زين في تدوين بعض الأشياء في دفتره الصغير، وحين انتهى، وجد الجميع ينظرون إليه. يبدو أنني لست وحدي من لا ترغب في مواجهة العالم اليوم؛ حيث زفر في نفاد صبر قبل أن يشير إلى الجثة.

- المرة دي طريقة القتل مختلفة، البنج اللي بيستخدمه دايمًا مع ضحاياه وبيخدرهم في ساعتها، أخد وقت معاها؛ علشان في الغالب الضحية بتتعاطى مخدرات، فخبط راسها في الأرض جامد علشان تفقد

وعيها.

ثم أشار إلى يدها التي ينقصها ظفران صناعيان.

- الضحية حاولت تقاوم وخربشت قبل ما تفقد وعيها. حفر الرقم على بطنها وبعدين رماها من السطح من غير طعنات. تقريبًا حس إنه في حد داخل عليهم فاضطر يتصرف بسرعة.

التفت إلى شريف:

- مالقتوش رسالة؟

هز رأسه:

- لا، دورنا هنا وفوق السطح ما لقيناش.

أوماً زين برأسه:

- ده يثبت أكتر إنه كان مستعجل.

رأيت شبح ابتسامة على وجهه قبل أن يقول بصوت منخفض كأنه يحدث نفسه:

- بدأ يعمل غلطات.

نظر إلى سريعًا ثم أَدَار وجهه وخلع قفازاته الطبية، ثم التفت إلى شريف قائلًا:

- أنا كده خلصت. كلمني لما الجثة توصل المشرحة. عايزين مني حاجة؟

عقد شریف حاجبیه:

- انت مستعجل كده ليه؟ فيه حاجة؟

هز رأسه:

- لا، ورايا شغل مهم بس.

د، وربع سمر مهم بسر. ثم ربت على كتفه ورجل, هل رحل لكي يتجنبني؟ رغم أن ذلك ما كنت أريده، لكنني شعرت بخيبة أمل حتى بعدما اعتدت هروبه. اقتربت من شريف لأعلمه أنني سأرجل:

- شريف، أنا خلصت ومروحة.

- طيب، تعالي أوصلك لعربيتك. عايز أقولك حاجة.

سرت بجانبه حتى وصلنا إلى سيارتي. تذكرت أن آخر مرة رأيته فيها اتهمته بكونه القاتل. احمرت وجنتاي. هل سيعاتبني؟ هل هو غاضب مني؟

شعرت براحة حين رأيته يبتسم:

- أنا ماكنتش عايز أقولك الخبر الحلو ده في مكان زي ده، بس مش قادر أستنى الصراحة.

عقدت حاجبي متسائلة:

- خبر إيه؟

- إحنا بقالنا فترة شغالين على قضية حلا أختك.

لمعت عيناي بالدموع وانقبض قلبي حين سمعت اسمها، لكنه أكمل: - ماكنتش عايز أقولك غير لما نوصل لحاجة أكيدة علشان ما تتعشميش على الفاضي.

اتسعت ابتسامته وقال:

- من كام شهر فتحنا ملف القضية تاني وطلبنا إن الأدلة اللي كانت موجودة تتعرض على فريق مختلف من الطب الشرعي، والمرة دي أشرفت بنفسي على كُل حاجة. لقينا أدلة كتيرة بتدين الواد اللي اسمه مصطفى هشام.

قلت بصوتٍ مرتعش:

- إزاي؟ المرة اللي فاتت قالوا إنه مافيش أي دليل...

هز رأسه وقال بأسف:

- كان فيه تلاعب بالأدلة، فيه أدلة مهمة ما تلمستش واتسابت زي ما هي، لو كانت اتقدمت في المحكمة كنت كسبت القضية من أول جلسة. شعرت بحلقي ينغلق وكأنني أُختنق بالدموع، ربت شريف على ظهري بحنان:

- أنا آسف يا نازلي، بس واضح إن أبوه استخدم واسطة كبيرة علشان يخرج ابنه من القضية. بس فتحنا تحقيق علشان نعرف مين اللي تلاعبوا بالأدلة.

ابتلعت لعابي بصعوبة وقلت:

- بس زمانه سافر. أكيد أبوه لو عرف حاجة زي دي هيهربه زي المرة اللي فاتت.

هّز رأسه وقال بثقة:

- لما أعدنا فتح القضية، صدر أمر بمنعه من السفر.

وارتسمت ابتسامة على وجهي امتزجت بدموعي، وقلت غير مصدقة.

- ده بجد؟

أوماً برأسه.

- كل حاجة جاهزة. اتواصلنا مع المحامي بتاعك اللي كان ماسك القضية وكنتِ عاملة له توكيل، وساعدنا في كل حاجة، بس أكدنا عليه إنه ما يقولكيش حاجة غير لما نوصل لنقطة مهمة... خلاص، كلها كام أسبوع ونبدأ أول جلسة في المحكمة.

ارتعشت ركبتي فسندث على السيارة حتى لا أقع، وأخذتُ أضحك وأبكي في ذات الوقت. أشعر وكأنني أحلم.

- أنّا ماكنتش عايز أنا اللي أقولك الخبر، كنت عايز اللي عمل المجهود ده كله اللي يحكيلك.

عقدت حاجبيّ وتساءلث:

- قصدك مين؟

ابتسم شريف قائلًا:

- زين.

رمشث غير مصدقة عندما سمعت.

- زين؟

أوماً برأسه:

- زين شغال على القضية دي بقاله أكتر من أربع شهور تقريبًا، وهو اللي أشرف بنفسه على فحص الأدلة علشان ماحدش يتلاعب بيها تاني. حتى لما سافر كان متابع كل التفاصيل من كندا.

ناداه شخص فالتفت له ثم قال لي قبل أن يغادر:

- أنا لازم أمشي. هتعرفي تروحي وانتِ في الحالة دي ولا أخلي حد يوصلُك؟

مسحث دموعي.

- لا، أنا تمام.

ثم ابتسمث له:

- شُكرًا أوي يا شريف، بجد.

ربت على كتفي وقال:

- على إيه؟ إحنّا عيلة يا نازلي.

ثم قال ممازحًا إياي:

- حتى لو شكيت فيا إلى القاتل.

احمرت وجنتاي على الفور ووضعث كفي على عيني.

- أنا آسفة يا شريف، بجد.

قال ضاحكًا:

- ولا يهمك، أنا مش زعلان. بس ده ما يمنعش إني هذلك شوية.

حين ناداه ذلك الشخص مجددًا، ودعني ثم رحل.

+++

اليوم موعد فقرتي الأسبوعية في البرنامج، لذا ذهبث إلى الاستوديو لأستعد. بدأت خبيرة التجميل في وضع مساحيق التجميل على وجهي، بينما انهمك مصفف الشعر في تصفيف شعري. لكنني كنث شاردة طوال الوقت. بداخلي مزيج من المشاعر. أشعر بالسعادة بسبب الخبر الذي أخبرني به شريف صباح اليوم، وفي نفس الوقت أشعر بالذنب تجاه زين. لقد اتهمته بالأنانية بينما كان يعمل بجهد على قضية أختي حتى حين سافر. ربما ظلمته. لا أعلم، هل أعتذر؟ لكن في كل الأحوال سوف أتصل به بعد الحلقة لأشكره.

أصبحت جاهزة قبل بدء التصوير بعشر دقائق، فأسرعت مع أفراد الإعداد إلى الاستوديو الذي نصور فيه. رأيث سعيدًا في كرسيه يحتسى مشروبًا ساخنًا بينما يراجع بعض الأوراق بتركيز. أخذت نفسًا عميقًا. في المرة الأخيرة التي رأيته فيها رفضته ثم رحلت هاربة عندما اقتحم زين عشلانا، لذا شعرت بالتوتر وأنا أقترب منه. هل سيكون غاضبًا حين يراني؟

لكن على عكس توقعاتي، ابتسم حين رآني. ابتسامته اللطيفة التي تنير وجهه، والتي خصني بها حيث لم أره يبتسمها لغيري، مما يزيد من شعوري بالذنب. جلست بجواره بينما انشغل مسؤولو الصوت في تركيب المايك المخصص لي.

قال سعيد مازحًا ليلطف ألجو بيننا:

- خلاص بقيت نجمة وبتيجي متأخر وبتتقلي علينا.

ابتسمث له في خجل.

- ماقدرش.

نبهنا المخرج أن باقي من الوقت خمس دقائق قبل أن تبدأ فقرتنا ونكون على الهواء مباشرة. انتشر التوتر في الجو حيث أسرع جميع أفراد الإنتاج في الانتهاء من عملهم، وعلا صوت المخرج وهو يعطي الجميع أوامر بنبرة صارمة. التفث إليه وقلث:

- أنا آسفة أوي على اللي حصل.

هرُ رأسه متفهمًا.

- ما تتأسفيش. أنا مبسوط إنك كنتِ صريحة معايا.

ثم ابتسم بحزن.

- طبقا كان نفسي توافقي... بس زين شاب جدع وبيحبك زي ما بتحبيه، فأكيد مش هقف في طريقكم.

ابتسمتُ له في امتنان. كنتُ أحترمه قبل ذلك الموقف، ولكن الآن زاد احترامي له أضعافًا.

- أنتُ تساهل أحسن واحدة في الدنيا يا سعيد.

بادلني الابتسامة، ثم نظرنا إلى الكاميزات حين بدأ المخرج في العد التنازلي.

#### الفصل الخامس والعشرون

زين

كانت أمي وليلى ينتظراني حين عدت إلى المنزل بعدما قاطعت عشاء نازلي وسعيد لأعترف لها بحبي. اقتربا مني في حماس وترقب لكي أخبرهما بما حدث مع نازلي، وكأنهما ينتظران نتيجتي في الثانوية. لكن حماسهما تبخر حين رأيا وجهي، لذا فهمتا ما حدث دون أن أحتاج إلى التحدث. اتجهت إلى غرفتي على الفور ولم أنطق بكلمة، ولم يلخا علي احترامًا لي، حيث إنهما تعلمان أنني لا أحب التحدث عن شيء يزعجني، بل أفضل البقاء وحيدًا حتى أصبح في حال أفضل.

شيء بداخلي تحظم حين رفضتني نازلي وطلبت مني أن أبتعد عنها عادةً ليس لدي مشكلة مع الرفض، لكن لم يكن من السهل علي أن أبوح بمشاعري لها وأن أتجاهل جميع مخاوفي وأقاوم شعوري بالذنب. أنا لن ألومها، ولكن رفضها لي دون أن تسمع أسبابي جعلني أعد نفسي بأني لن

أبُوح بمشاعري لأي شخص بعد الآن.

في صباح اليوم التالي، حين رأيتها في مسرح الجريمة، شعرت بألم في صدري. لم أكن مستعدًا بعد، لقد نسيت غضبي للحظة وكدت أركض نحوها وأحتضنها، لكنني سرعان ما تذكرت كلماتها لي، لذا قمت بعملي سريعًا حتى أهرب منها في أسرع وقت. لا أستطيع أن أكون معها في نفس المكان بعد الآن.

لم أخرج من غرفتي بقية اليوم، حتى حين نادتني أمي لتخبرني بأن الغداء أصبح جاهزًا، تحجّجت بأن معدتي تؤلمني حتى لا أخرج من

فراشي.

بعد بضع ساعات طرقت ليلى الباب ثم دخلت حين سمحت لها. جلست بجانبي ثم ربتت على كتفي في حنان.

- أنا مش هضّغط عليك تحكيلي يا زّين... أنا بس مش قادرة أشوفك

في الحالة دي.

شعرت أنه ربما الآن أصبح الوقت المناسب لأحكي لها ما حدث. ربما سأشعر بتحسن حين أشارك همومي مع شخص أحبه ويهتم لأمري، لذا قلت وأبلاأتجنب النظر إليها بنبرة حزينة:

- نازُلي رفضتني وقالت لي إنها مش عايزة تشوفني تاني.

ثم التفت إليها متسائلًا:

- يمكن ده ذنب فريدة؟

هزت رأسها ورأيت الدموع في عينيها.

- لا يا زين، مش ذنب فريدة.

ثم أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى يدها لأدرك لأول مرة منذ دخولها إلى الغرفة أنها تمسك بظرف أبيض. قالت بينما مدته لي:

- أنا كنت مترددة أديك الرسالة دي... بس دي أمانة من فريدة.

عقدت حاجبيّ واعتدلت في جلستيّ:

- فريدة؟

أومات برأسها بينما فلتت الدموع من عينيها لتمسحها على الفور.

 فريدة بعتت لي الرسالة دي قبل ما تتوفى بكام أسبوع، وخليتني أوعدها إني أديها لك في الوقت المناسب... أنا طبعتها وشيلتها معاياً من يومها.

أمسكت بالجواب ودققت النظر به ثم نظرت إليها:

- اشمعنا دلوقتي؟

ابتسمت لي في حنان: ٍ

- لما تقرأً متعرف... أنا هسيبك تقرأه لوحدك، بعدين ناديني لو حسيت نفسك بقيت مستعد تتكلم معايا وتحكي لي عن اللي حصل مع نازلي.

نظرت لي باهتمام ثم ربتت على كُتفّي وتركّتني. ارتعشت يُدي وترددت قليلًا ثم فتحت الجواب لأجد رسالة في قلبه، بدأت قراءتها ببطء وكأنني لا أريدها أن تنتهي. شعرت أنني سأفقد فريدة مجددًا حين أنتهي من قراءتها.

"عزيزي زين،

لطالما تنت أتمنى كتابة رسالة لحبيبي باللغة العربية الفصحي منذ

طفولتي، لذا اعتبرت هذه فرصة مناسبة لتحقيق حلمي.

لا أعلَّم متى ستصل إليك هذه الرسالة، لكنني آمل أن تصل في أقرب وقت؛ لأنك تستحق ذلك. إذا سلمتك ليلى إياها، فهذا يعني أنك قد وقعت في الحب، وأعلم أنك ستحاول الهروب وستشعر بالذنب.

لكن، عزيزي، أكتب لك الآن من فراش المستشفى، فقد زرنا غرفة الطوارئ اليوم بعدما واجهت صعوبة في التنفس، وخجزت لكي يضعوا لي الأجهزة التي ستساعدني على التنفس، نظرًا لأنني لم أعد أستطيع القيام بذلك بمفردي.

ليتني كنت واعيةً لقيمة تلك النعمة التي اعتبرتها أمرًا مسلمًا به طوال

حياتي، نعمة التنفس بلا ألم أو أجهزة أو مساعدة.

هل تدرك أين أنت الآن؟ أنت في مكانك المعتاد، بجواري. أخيرًا، استسلمت للنوم على الكرسي غير المريح المجاور لي بعد أيام من السهر، مستخدمًا معطفك كغطاء، أعلم أنك تستيقظ وظهرك يؤلمك، لكنك لن تُظهر ذلك لي حتى لا تحزنني. مهما حاولت أن أقنعك بالعودة إلى المنزل لترتاح، ترد علي بنظرة تحمل عتابًا، وتقول لي تلك الجملة التي تجعلني أشعر بالذوبان: "ماعرفش أرجع البيت وانتٍ مش فيه، البيت ما يبقاش بيت من غيرك." لم تتركني لحظة واحدة، حتى وأنا البيت ما عندما أستيقظ أجدك دائمًا تراقبني وكأنك تخشى أن ترمش بعينيك فتفقدني.

أدرك كم تؤلمك رؤية حالتي تتدهور يومًا بعد يوم، فقد كنت بجانبي منذ البداية. كنت معي عندما لم أعد قادرة على حمل أي شيء، وعندما خذلتني يداي، فبدأت أفلت بكل ما أحمله. كنت معي أيضًا عندما شخصني الطبيب لأول مرة بذلك المرض اللعين الذي انتزع والدتي من بين يدي، وتركني أشعر بالعجز، وأنا أشاهدها تفقد حياتها.

بين يدي، وتركني أشعر بالعجز، وأنا أشاهدها تفقد حياتها. والآن، لم أعد أستطيع السير إلا بضع خطوات دون عكاز، وعجزت رئتاي عن التنفس دون مساعدة الكثير من الأجهزة. لقد فقدت أمي تدريجيًا بسبب ذلك المرض كما تفقدني أنت الآن، لذلك أعلم بما تشعر به.

حين توفيت وأنا مراهقة دخلت في حالة من الحزن لأعوام لم ينجح أي شخص في إخراجي منها، حتى شريف ووالدي. أتعلم أنك أنت من أنقذتني؟ أنت من أخرجتني من الظلام، عادت ابتسامتي لوجهي بعد سنين طويلة بسببك، أصبحت أضحك من قلبي، أصبحت أستيقظ فرحة لأنني سأراك، أعطيتني سببًا للعيش. لذا أريدك أن تحب، وأن تجد ذلك الشخص الذي سيخرجك من الظلام، وينقذك مثلما أنقذتني.

ولأنك عنيد ستحاول أن تتجاهل مشاعرك، ولأنك مخلص ستشعر أنك تخونني، ولأنك أكثر شخص حنون ستخشى أن تجرحها. فستبتعد. وهنا سوف تتدخل ليلى، وتعطيك ذلك الجواب الذي كتبته لك حتى أحررك من أي شعور بالذنب، أشكرك على كل لحظة سعادة منحتني إياها، وعلى ابتسامتك التي لم تغب عن وجهك حتى في أصعب الأوقات، كي لا أشعر بألمك. لكنني كنت أسمعك عزيزي حين تبكي في حمام المستشفى

كلما أبلغنا الأطباء بأخبار سيئة عن صحتي.

أعي جيدًا أنني لن أكون بجوارك في رحلة حياتك حتى نهايتها كما وعدتك، ولن أكون شاهدة على كل لحظاتك السعيدة والحزينة. لذا، أرجو من أعماق قلبي أن تجد امرأة تشاركك كل ما لن أستطيع مشاركته، وأن تمسك بيدك حتى آخر الأنفاس، كما ستمسك يدي في لحظاتي الأخيرة.

سيسعدني أن أراك سعيدًا من مكاني البعيد، لأنني أومن بأنني سأظل

أشعر بك حتى بعد رحيلي، مثلما تشعر أمي بي.

حبيبي، سأغادر وأنا راضية تمامًا، شكرًا لأنك جعلت حياتي القصيرة مليئة بالذكريات السعيدة".

مع كل حبي، فريدة.

حين انتهيت من قراءة الرسالة، وجدت نفسي أبكي حتى ابتلت الأوراق من دموعي الساخنة. كنت أحفظ كل محادثة بيني وبين فريدة، وكل الرسائل التي بعثتها لي على هاتفي حيث قرأتها مئات المرات. لذا، حين قرأت تلك الكلمات لأول مرة، شعرت وكأنني أحمل قطعة من فريدة بين يدي لم أرها من قبل. ناديت ليلى وبدأت أقض عليها ما حدث بيني وبين نازلي، وحين انتهيت قالت لي:

- أنا عارفة إن رد فعلها كان قاسي شوية، بس هي عندها حق يا زين... انت حسستها إنها مش مرغوب فيها وإنك قلت لها إنك بتحبها علشان

بس ما تبقاش مع غيرك.

ثم ابتسمت لي وقالت:

- ماتستسلمش، وخليك وراها لغاية ما تصدق إنك بجد بتحبها مش مجرد كلام.

هززت رأسي قائلًا:

- بس... لتقاهلعنی:

- مافیش بس... بطل عند! مش انت بتحبها؟ أومأت برأسي وابتسمت وأنا أتخیل وجهها.

- جدًا.

لتمسك بيدي في حماس وتجذبني لتخرجني من فراشي.

- خلاص يبقى مستني إيه؟ ماتروح لها دلوقتي؟

ضحکت.

- بالراحة... هي عندها تصوير دلوقتي، زمانها على الهواء.

ركضت نحو التلفاز وأمسكت بالريموت.

- الله، تصدق ما شوفتهاش ولا مرة وهي "LIVE". خلاص، تعالى نتفرج على الحلقة ولما تخلص روح لها.

أخذت تبحث بين القنوات حتى ملأت الشاشة بوجه نازلي، لتذوب كل مخاوفي وترددي حين رأيت ابتسامتها وهي تتحدث. أخبرت نفسي في تلك اللحظة أنني لن أستسلم، لأنني لا أستطيع تحمل قضاء المزيد من الأيام بدونها. حين أتت الكاميرا على وجه سعيد، التفتت لي ليلى وقالت، متنحنحة: بما إن النهارده اليوم العالمي للاعتراف بكل حاجة، فأنا عايزة أقولك
 على حاجة كنت مخبياها علشان خايفة أضايقك.

التفت لها وتساءلت بفضول:

- حاجة إيه؟

أشارت إلى التلفاز قائلة:

- انت عارف إلى لما شوفت سعيد المرغني في المطعم، افتكرت حاجة... انت عارف إله كان دكتور عند فريدة في الجامعة؟ كان بيديها مادة صحافة.

فريدة كانت تدرس في جامعة اللغة والإعلام، لكنها تخصصت في قسم اللغات والترجمة، وكانت لا تزال تدرس بعض مواد الإعلام. رأيت التردد على وجه ليلى، فقلت مشجفا لها أن تكمل:

- وبعدين؟

أخذت نفشا عميقًا.

 - هو كان معجب بفريدة، كنتم أنت وهي مرتبطين بس لسة ماحدش يعرف. فلما رفضته وقالت له إنها مرتبطة بيك، استقصدها واضطرت تحوّل من المادة دي لمادة تانية.

اتسعت عيناي وهززت رأسي غير مصدق، كنت قد بدأت أتقبل فكرة أنه ليس شخصًا سيئًا كما ظننت، لكن أثبتت لي ليلى أن شعوري تجاهه كان صحيحًا.

تساءلت في غضب:

- فريدة ليه ما قالتليش الكلام ده؟

- هي ما قالتش لحد وقتها علشان ماكانتش عايزة تكبر الموضوع،
 وحكيت لي بعد سنين لما جت سيرته بالصدفة.

ثم ابتسمت ابتسامة حزينة، فهي أيضًا تتألم حين تتحدث عن فريدة وذكرياتهما سويًا. كانت فريدة تعتبر ليلى أختها الصغيرة التي طالما تمنتها، وبالرغم من فارق السن الكبير بينهما، إلا أنها كانت تخبرها بكل أسرارها وتتحدث معها دائمًا. وحين رحلت فريدة، دخلت ليلى في اكتئاب لأكثر من عام.

أثار سعيد فضولي، لذا أمسكت بحاسوبي وبدأت أبحث عن اسمه.

أريد أل أعرف كل شيء عنه منذ بدايته.

التحق بكلية الإعلام وتخصص في الصحافة. في عامه الثاني، غين صحفيًا تحت التدريب في جريدة "صوت الشعب"، لكنه سرعان ما تميز بسرعة تغطيته للقضايا، وغرف بحصوله الدائم على السبق الصحفي، مما جعل الصحيفة تعطيه وظيفة دائمة فيها. لمع اسمه وأصبح القرآء ينتظرون مقالاته المليئة بالتشويق والأخبار التي لم تُعرض من قبل، وكل ذلك وهو لم يتعد الخامسة والعشرين من عمره.

تابعت القضايا التي قام بتغطيتها، منها سرقة وحرائق وتخريب ممتلكات عامة، لكنني شعرت أن هناك شيئًا غريبًا. استغربت كونه دائمًا من يكتشف تلك الحوادث، كيف لم يلفت ذلك انتباه أي شخص؟

أكملت البحث عنه. أصبح مدير تحرير في تلك الجريدة، ثم أخذ دكتوراه في الصحافة وبدأ التدريس في الجامعة الأمريكية التي كانت فريدة تدرس بها. حتى أتته الفرصة التي غيرت حياته حين بدأ تقديم فقرة في برنامج سياسي على قناة "أخبار البلد". أعجب الجميع به، وفي خلال عام أصبح يقدم البرنامج وحده. وفي عامه الخامس والثلاثين، اشترى جميع أسهم القناة ليصبح هو مالك القناة وصحيفتها.

بدأت في مشاهدة فيديوهاته القديمة حتى وجدت فيديو له في

بدايته كان ضيفًا في برنامج إخباري. في بادئ الأمر، لم أجد أي شيء مثير للاهتمام، لكن قبل أن أغلق الفيديو لاحظت شيئًا جعل عيناي تتسع.

فتحت مقطع لحلقة اليوم من البرنامج على "يوتيوب"، لتتجمد الدماء في عروقي.

## الفصل السادس والعشرون القاتل

هل تساءلتم من قبل عن ما يشعر به القاتل وهو يرتكب جريمته؟ لا؟

أنا وحدى؟

في كل مرة كنت أسمع فيها عن وقوع جريمة قتل، كنت أتساءل: يا ترى، بماذا يشعر القاتل وهو يرى الحياة تذهب من عيني الضحية، والروح تنسحب منها؟ هل يشعر بالندم؟ ربما بالخوف؟

لم أكن أتخيل أنني سأجرب ذلك الشعور لم أكن أقصد قتل الضحية الأولى، كانت فتاة ليل تُدعى همس، اصطحبتها من ملهى ليلي إلى منزلي، ثم تلقيت مكالمة غيرت حياتي. أخبرني المنتج المسؤول عن

رنامجي:

- المشاهدات في تراجع، الناس ما بقوش يشوفوا البرنامج، والشركات كلها بدأت تسحب إعلاناتها من عندنا... الناس ما بقوش يتفرجوا على برامج الأخبار. بالشكل ده مش هنعرف نجدد البرنامج ونعمل موسم جديد، للأسف.

. أغلقت المكالمة وأنا لا أرى أمامي سوى الغضب، اقتربت مني همس لكني دفعتها بعيدًا.

- غوري من هنا واطلعي برا..

اعترضت هي:

- هو إيه أصله ده؟ انت بتتكلم معايا بالطريقة دي ليه؟ هو أنا جيت جنبك؟

لم أشعر بنفسي وأنا أدفعها بقوة، ليرتطم رأسها بحافة الطاولة المصنوعة من الرخام. سقطت جثة هامدة على الفور، وانفجرت بركة من الدماء من رأسها. شعرت بالذعر لدقائق، أمسكت برسغها لأتفحصها، لكنني لم أجد أي نبض فأدركت أنها ماتت.

تسارعت نبضات قلبي، وامتلاً عقلي بالأفكار... لا يمكن أن أسمح لتلك الحادثة أن تقضي علي وعلى حياتي المهنية التي بنيتها بعرقي ودمائي. سأصبح كأي قاتل، تمتلئ الأخبار بوجهه، ويتصدر اسمه عناوين الجرائد، وستتحدث جميع البرامج الإخبارية عني. سأصبح مجرد خبر بعدما كنت أنا من يصنع الأخبار...

لمعت عيني بفكرة... تذكرت في بداية حياتي المهنية كصحفي، رأيت صحفيين أصغر مني وأقل خبرة وكفاءة يحصلون على فرص أهم مني لأن لديهم واسطة، وأنا لست سوى شأب فقير جاء وحده من الأرياف ليحقق حلمه. لذا قررت أن أثبت نفسي بنفسي مهما كان الثمن.

في يوم، أتتني فكرة جهنمية، لماذا أنتظر وقوع الخبر بينما يمكنني أن أصنعه؟

أول جريمة ارتكبتها كانت حريقًا في متجر شهير. في الفجر تسللت إلى المتجر بينما أخفيت وجهي، وألقيت زجاجات مولوتوف على الزجاج لينكسر على الفور ويشتعل حريق كبير في الداخل. هربت من مسرح الجريمة ثم عدت بعد ساعة. التف عشرات من الأشخاص حول المتجر بينما انشغل فريق الإطفاء في إطفاء الحريق الذي أصبح ضخفا والتهم المتجر بالكامل.

تصرفت كأنني عبرت بالصدفة، وبدأت في تغطية الخبر، بل والتقطت صورًا بكاميرتي، ثم أيقظت مدير التحرير لأخبره بذلك الخبر العاجل، لننشره نحن قبل أي جريدة، مما جعل جميع طبعات الجريدة تنفد على افتعلت عشرات الحوادث مثل السرقات والحرائق وتخريب الممتلكات، لكنني حرصت على ألا أؤذي أي شخص أثناء تنفيذ تلك العمليات، حتى أنني استعنت بأشخاص ليقوموا بتلك الأعمال بدلًا مني مقابل القليل من أموّال. كنت أخطط وهم ينفذون، حتى ذاع صيتي في الجريدة وسرعان ما تمت ترقيتي. مع مرور الوقت أصبحت لا أحتاج إلى القيام بتلك الجرائم لأثبت نفسي، لذا توقفت.

لكنني الآن في وضع حرج، مشاهدات برنامجي أصبحت تتضاءل، لا أستطيع أن أحُسر ما بنيته وأن أكون مجرد دُكَّري لدى المشاهدين كالكثير من المذيعين الذين فشلوا. لذا ابتسمت وأنا أشاهد جثة همس. يبدو أنني سأعود إلى أساليبي القديمة، لكن هذه المرة علي أن أقوم

بجرائم في منتهى البشاعة لأجعلها حديث المجتمع بأسره.

قمت بتشويه جسدها، وحرصت على تنظيفه جيدًا حتى لا أترك أي آثار أو بصمات عليه. طلبت على البيت قفازات من الصيدلية ومنظفاتُ من السوبر ماركت، ثم أحضرت حقيبة سفر اشتريتها من فترة لكنني لم أستخدمها، وألقيت بها الجثة. فتحث حاسوبي وكتبت أول رسالةً لي، وضعتها بجانب الجثة بعدما طبعتها، ثم أخذت الحقيبة وخرجت من منزلي ليلًا. بما أن لدي مرآبًا خاصًا، تمكنت من وضع الحقيبة في السيارة دون أن يراني أي شخص، ثم ارتديت كمامة ونظارة طبيةً، وقدت السيارة نحو مكَّان بعيد.

أوقفتها في شارع قديم ليست به أي كاميرات مراقبة، ثم ركبت سيارة أجرة، ثم أخرى، ثم أخرى، حتى لا يتتبعني أحد. وفي مقلب قمامة، ألقيت حقيبة السفر، وعدت إلى سيارتي بنفس الطريقة التي

ذهبت بها.

لدي الكثير من الجواسيس في الشرطة يحرصون على أن يخبروني بأي جريمة مثيرة للاهتمام، لذا فور اكتشاف الشرطة للجثة، أتتنيّ مكَّالمة من عسكري يعمل في المباحث ليخبرني باكتشافهم لجثةً مشوهة ومعها رسالَّة. تظاهرت بالدهشة ثم اتصلت بدكتور طارق على الفور حتى يبعث مراسلين وصحفيين إلى موقع الجريمة. وكما توقعت، لم تمض ساعات حتى انقلب المجتمع المصري بسبب تلك الجريمة "البشغة" على حد قولهم.

وبما أننا أول قناة تنشر الخبر، حصلنا على ملايين المشاهدات، أصبح برنامجنا رقم واحد في محركات البحث. وحتى يعلم الجميع أنني أعني ما كتبته في الرسالة، كان يجب أن أجد ضحية جديدة. في نفس الليلة، انطلقت باحثًا عن الضحية رقم اثنين. قدت سيارة قديمة لا أستخدمها كثيرًا ووضعت أرقامًا مزيفة. سرت ساعة حتى وجدت ضالتي: فتاة ليل أخرى، نوعي المفضل، حيث لن يبحث عنهن أحد، مما سيصعب على الشرطة محاولاتهم في اكتشاف هويتهن.

ارتدیت "کاب" وکمّامة حتی لا تتعرف علی، وعرضت علیها مبلغًا مالیًا کبیرًا جعلها ترکب السیارة علی الفور. مع کل ضحیة، أشعر بِنشوة أكبن أشعر بالقوة وأنا أرى النور الذي يوجد في عيونهم ينطفئ، وأحصد

أرواحهم كما لو أنني ملاك الموت.

كان كل شيء يسير بطريقة سلسة، حتى زارني دكتور طارق زيارة مفاجئة. لم ألَّحظ وجود بقعة من الدماء جافة تحت كرسي الصالون، اتسعت عيناه حين وقعت عليها، لكنه لم يعلق، وغادر المنزل مرتبكاً. ثم لاحظت أنه بدأ يراقبني. بعد انتهائي من التخلص من الجثة الثالثة التي اصطدتها وهي عائدة من عملها ليلا، قمت بخطأ. لم أنتظر اتصال العساكر الذين ينقلون لي الأخبار، واتصلت بطارق لأعلمه بمكان وقوع الجريمة. وبعد بضعة أيام، أتاني في مكتبي وفي يده ورقة استقالته.

- آيه دّه يا طاّرق؟ استقالة إيه اللي عايزني أمضي عليها؟!

لينظر لي نظرة احتقار لم ينظرها لي من قبل.

بص يا سعيد، انت زي ابني، ومعالد من ساعة ما كنت صحفي صغير
 عندنا في الجريدة. فكرك أنا ماخدتش بالي إنها صدفة غريبة إن كل
 حادثة بتكون انت أول واحد يعرف عنها؟

صمت وشعرت بضيق في صدري ليكمل هو.

أنا سكت علشان ما أظلمكش.

ثم قال ضاحكًا باستهزاء:

بس إيه الصدفة إن بعد ما يجيلك خبر وقف البرنامج بيوم يظهر
 فجأة سفاح؟ لا، والقناة عندنا أول قناة تغطي كل جريمة.

. قلت محاولًا أن أداري توتري:

- انت عارف إن عندي مصادري الخاصة اللي بيوصلولي الأخبار أول بأول.. طبيعي نبقى أول قناة تغطي الخبر.

نظر في عيني بتحدٍ:

- الجثة الثالثة انت عملت غلطة.. بلغتني بوقوع الجريمة قبل ما الشرطة يكتشفوا الجثة بنص ساعة.

ابتلعت لعابي بصعوبة ثم ابتسمت ببرود:

- أنا هديك إجازة علشان شكلك كبرت وخرفت يا طارق، خدلك كام يوم كده تفصل فيهم بعدين تعالى.

ثم ألقيت في وجهه ورقة استقالته. لم أرد قتله فقد اعتبرته أخًا كبيرًا لي، لكن فضوله كان السبب، لذا اعتبرته ضررًا جانبيًا. وعندما شعرت أنني يجب أن أتوارى عن الأنظار لفترة، قررت أن أنتهز الفرصة، وألفق

التهمة لطارق.

تسللت إلى منزله وزرعت فيه بعض متعلقات الضحايا التي احتفظت بها أسفل خشب أرضية غرفتي في حال احتجتها. واتفقت مع فتاة اسمها أسماء تعمل في سوبر ماركت كتمويه حتى لا يعلم أهلها أنها تعمل فتاة ليل. أغريتها بمبلغ كبير من المال مقابل أن تشهد على دكتور طارق، وحين علمت أنها ستتعرض للضرب حتى تقتنع الشرطة بقصتها، ترددت قليلًا، لكنني عرضت عليها مبلغًا ماليًا أكبر جعل عينيها تلمعان فوافقت. أخبرتها أنه إذا أخبرت أي شخص بهويتي، سأحول حياتها إلى جحيم وهددتها بأنني لن أتردد في إيذاء إخوتها الصغار. وحين رأيت الخوف في عينيها اطمأننت أنها لن تتكلم. لكنها لم تعلم أنني وضعت سمّا بطيء المفعول في العصير الذي أعطيتها إياها، وحين يتم تشريح جثتها، لن يجدوا له أي أثر.

اتصلت بطارق به لأخبره أنني واقع في مشكلة كبيرة ولا أستطيع أن أخبر أي شخص سواه، ولأنني أعلم أن قلبه طيب، سيهب لمساعدتي رغم استيائه مني. طلبت منه أن نتقابل في شارع جانبي شبه مجهول، وبعدما جلست بجانبه في سيارته، التفت لي في قلق:

وبعدما جلست بجانبه في سيارنه - مالك يا سعيد، قلقتني؟

لم يلاحظ الحجر الكبير الذي أخفيته تحت معطفي، شاو

أشرت بإصبعي خلفه:

- هو مين اللّي هناك ده؟

وحين استدار نجو النقطة التي أشرت إليها، انقضضت على رأسه مستخدمًا الحجر بأقصى قوتي، ليتحول جسده إلى جثة هامدة على الفور. حين تأكدت أنه فارق الحياة، أخرجت من سيارتي أكياس دماء أخذتها من أسماء، وقمت بنثرها في سيارته. ثم عدت إلى منزلي وأخذت أشاهد من بعيد خطتي المحكمة وهي تكتمل أمام عيني.

لقد بلعت الشرطة الطعم، ونسبوا الجرائم لطارق وتم إغلاق القضية. والآن أصبحت متفرغًا لهدفي الثاني، تخريب حياة زين القاضي، ذلك المغرور الذي غرف بالعبقري. كنت أتابعه من بعيد حين رفضتني فريدة، الفتاة الوحيدة التي أحببتها لكي تتزوجه. استمتعت وأنا أراه يفشل في حل القضية أمام الملايين، فقد سربت محتوى الرسالة التي تركتها مع الجثة الثانية التي كتبت فيها اسم زين القاضي، حتى يلاحظه الجميع، لتدمير سمعته كالمحقق المعجزة الذي يحل أي قضية تقع تحت يده في أيام.

حتى أنني استمتعت وأنا أعبث به وأدمر أعصابه وثقته بنفسه، حين أرسلت له أول صندوق للمنزل عن طريق إعطاء مبلغ مالي كبير للفتاة التي تنظف منزله - لا تعلمون كم النقود قادرة على جعل البشر يفعلون أبشع الأشياء - لم أحتج حتى أن أقابلها بنفسي فقد تحدثت معها في الهاتف من رقم مجهول حتى لا تكشف هويتيٍّ. كنت أعلم أن ذكريًّ لفريدة سيجعله كالمجنون. وشعرت بالنشوة وأنَّا أحركه كالدميَّة حينَّ

جعلته يكتشف مكان الجثة الرابعة بنفسه.

مع الوقت اكتشفت شيئًا جعلني أكثر حماسة، لاحظت أن هناك إعجابًا بينه وبين نازلي وأنا أراقب تحركاته، حيث كانوا دائمًا سويًا. لذا قررت أن أسرِق منه حبه الجديد كما سرق مني فريدة. وبما أنه قد سافر، قَرِرتِ أَنْ ارتكب جريمة جديدة لكي يعود من السفر ويشاهدني بعينيه وأنا أفوز بالفتاة التي يحبها. لكن الموقف تكرر مجددًا حين رَّفضتني لأجله، تلك المرة الثانية التي أخسر فيها أمامه. تصرفت أمامهم كأنني أكثر شخص متفهم في العالمّ.

لكن حين عدت إلى المنزل شعرت بغضب كبير، وأخذت أحطم أثاث منزلي، ولكن النار التي بداخلي لم تهدأ. لكنني عرفت الحل. خرجت من منزلي ولحثت عن فتأة جديدة، وحين وجدتها أخذتها معي إلى عمارة كانت تسكن بها جدة صديقي عندما كنا أطفالًا، وأعلم أن بها سلمًا خلفيًا ولا توجد أي كاميرات مراقبة في المنطقة. أخبرت الفتاة أننا سنصعد على السلم الخلفي حتى لا يرانا أحد ووافقت على الفور. وحين وصلنا إلى السطح، قمت بتخديرها كما فعلت مع بقية الضحايا، لكنها لم تفقد الوعي مثلهن، وحاولت المقاومة حتى جرحتني في وجهي، مما أثار غضبي، لذا انقضضت عليها وأمسكت برأسها وأخذت أخبطه في الأرضية المصنوعة من السيراميك. بعد بضع خبطات انقطعت أنفاسهاً وتوقف قلبها. بدأت في تنفيذ طقوسي، وأخرجت سكيني لأحفر على بطنها رقم سبعة. لكن قبَّل أن أطعنها، سمعت صوت خطواتٌ على السلم فشعرت بالهلع وقررت أن ألقيها من فوق السطح قبل أن أنتهي منها، وخرجت مثلما دخلت عن طريق السلالم الخلفية.

لم أخطط جيدًا لتلك الجِريمة لأنني قمت بها وأنا غاضب، لذا لم أكن راضيًا عنها. لكنني سوف أعوَّض ذلكُ الخطأ في الضحية الثامنة، التي تجلس بجانبي الآن... نازلي مصطفى، التي رَّفضتني من أجل ذلكُّ

اللعين زين القاضي.

## الفصل السابع والعشرون نازلي

بعد انتهائي من التصوير، ركبت سيارتي. وعندما وصلت أمام منزلي، أوقفتها في المكان المخصص لها. اهتز هاتفي برسالة من رقم مجهول. فتحتها بفضول وبدأت في قراءتها:

"نازلي، لو عايزة تعرفي مين اللي عمل كده في دكتور طارق، أنا معايا دليل يقدر يساعدك. تعالى قابليني، بس ما تقوليش لحد. لو ما جيتيش لوحدك ههرب. أنا مش عايز مشاكل."

بدأ قلبي ينبض بسرعة. أخدت أكتب بأصابع مرتعشة:

"انت مین؟"

رد بعد بضع ثوانٍ:

"فاعل خير. أنا هُبعتلك الموقع ومستنيك دلوقتي. حابة تيجي تعالي، مش حابة براحتك. بس أنا عملت اللي عليا. نص ساعة لو ما جيتيش هروح."

ثم بعث لي صورة غير واضحة لشخص يقف بجانب سيارة دكتور طارق في المكان الذي اكتشفت فيه جثته. حاولت أن أدقق في الصورة لأرى ملامحه أو حتى ملابسه، لكنني لم أنجح. ثم بعث لي الشخص المجهول رسالة أخرى:

"دي عينة من الأدلة اللي معايا. معايا صور أوضح فيها وش اللي عمل فيه كده. تعالى ومعاكِ خمسين ألف جنيه علشان تاخديهم."

رددت عليه:

"مش قولت إنك فاعل خير؟ فاعل خير بياخد فلوس؟"

پجيبني:

"نص ساعة وهمشي.'

ثم مسح رسائله علَّى الفور قبل أن أتمكن من أخذ صورة لها. توجهت فورًا إلى أقرب بنك وسحبت المبلغ. كان الموقع على بعد عشرين دقيقة من مكاني، لذا قدت مسرعة حتى أصل قبل أن يرحل. حين وصلت، بعثت له يسالة:

"أنا وصلت، انت فين؟"

ليجيبني:

"كنت بتأكد إنك قد الكلام وجيتٍ لوحدك. دلوقتي هبعتلك مكان جديد مستنيكِ فيه."

أجبت غاضبة:

"هو انت بتلعب؟"

ليكتفي بإرسال الموقع الجديد لي. كان على بعد ساعة في مكان على الطريق الصحراوي. أعلم أن أي شخص عاقل سوف يتصل بالشرطة أو سيرفض الذهاب، لكنني... لست شخصية عاقلة.

مرت نصف ساعة وبدأ زين يتصل بي مما جعلني أستغرب، لكنني لم أجب لعدة أسباب. الأول لأنني غاضبة منه، والثاني لأنني لن أستطيع أن أكذب إذا سألني عن ما أفعله الآن، والسبب الأخير لأنني لا أملك وقتًا. أريد أن أصل في الوقت إلى ذلك الشخص الذي يراسلني. لذا قررت أن أعاود الاتصال به حين أنتهي. لكنه اتصل بي أكثر من عشر مرات مما أثار قلقي، كنت قد اقتربت من الموقع الذي ينتظرني فيه ذلك الشخص المجهول، لذا قررت أن أرد سريعًا.

per la la 10- / 11-

- إيه يا زين؟ فيه إيه؟

قال بنبرة قلقة:

- نازلي انتِ فين؟ انتِ مع سعيد؟

هل هذا وقت غيرة؟

- لا، مش معاه. وبعدين يهمك في إيه؟

ليقاطعني:

- نازلي، سعيد هو القاتل.

ضغطت على الفرامل وكُدت ارتظم بمقود القيادة، تجمد الدم في عروقي. ليكمل زين:

- انتِ فين؟ أنا تحت بيتك.

ابتلعت لعابي وقلت:

- أنا مش في البيت.

ليقول في قلق:

- أمال فين؟

تنحنحت وقصصت عليه سريعًا ما حدث للتو مع ذلك الشخص المجهول، ليصيح زين:

- ارجعي حالًا، ده فخ يا نازليا

ترددت ثم قلت:

- بس لو هو هناك، يبقى دي فرصة نمسكه.

ليجيب في غضب:

- نازلي، اقفي مكانك، أنا جايلك. ابعتيلي الموقع، واوعي تفكري تروحي. أنا هكلم شريف.

قلت بينما أرسات له موقعي:

- بس لو لقى بوليس، هيهرب.

- أنا ربع ساعة وأبقى عندك. خليكِ مكانك،

وفي أقل من عشرين دقيقة، وجدته أمامي، أوقف سيارته أمام سيارتي. وحين خرجت منها لأقابله، ركض نحوي وعانقني. استطعت أن أسمع صوت دقات قلبه المتسارعة. لم يفلتني لدقائق ثم أمسك وجهي بكفيه ونظر إلى عيني قائلًا بصوت مرتعش:

- أنا للرعبت عليكِ يا نازلي. انتِ كويسة؟

أوماتْ براسي:

- أنا كويسة. ما تخافش. انت عرفت منين إنه سعيد؟

أفلت وجهي وأخذ نفسًا عميقًا وبدأ يشرح لي بسرعة:

ليلى حكيتلي إنه كان بيدي محاضرات في الجامعة بتاعة فريدة، وإنه قال لها إنه بيحبها وفضل فترة يزن عليها حتى بعد ما رفضته وهددته إنها تشتكي للعميد. بس قررت تحوّل من المادة بتاعته علشان الموضوع ما يكبرش. ولما عرف إننا اتخطبنا، بدأ يبعت لها رسائل كل يوم لفترة بعدين اختفى من حياتها.

أخذ نفسًا عميقًا ثم أكمل:

فبدأت أعمل "سيرش" عليه لغاية ما لقيت له فيديو قديم واكتشفت إنه كان أشول، ومع الوقت بدأ يعود نفسه يستخدم إيده اليمين. افتكرت إن القاتل كتب لي إنه متابعني من أول يوم، وبعت لي كل نسخ الجرايد اللي اتذكر فيها القضايا اللي أنا حليتها، ولما بصيت على الجرايد لقيت إنها كانت من جرايد هو اشتغل فيها.

فتحت فمي لأنني لا أستوعب ما أسمعه.

- وآخر حَّاجة، لما شوفت حلقة النهارده ودققت في وشه، لقيت إنه

مخبي تعويرة في وشه بالمكياج.

اتسعت عيني وقلت:

- أنا الاحظّت ده فعلًا بس ما اهتمتش. قولت يمكن اتعور في أي حاجة.

أمسك بدراغي:

- هو أكيد بعد ما رفضتية علشاني قرر إنه ينتقم علشان كده طلب
 يقابلك. فيلا، روحي. زمان شريف جاي في السكة.

وللصدفة، فور التهائه من جملته، وجديًا سيارة شريف قادمة نحونا، وخلفها سيارة شرطة. أوقف سيارته خلفي وخرج منها وأسرع نحونا. قال لى:

- نازلي، وريني الرسائل اللي بعتهالك.

قلت له في أسفّ:

 - هو كل رسالة كان بيمسحها أول ما بفتحها، فملحقتش أعمل سكرين شوت غير لآخر كام واحدة.

نظر إلى الرسائل وهز رأسه:

- تمام، روحي انتِ مع زين، وإحنا هنروح نشوف هو فعلًا موجود هناك ولا لا.

أمسك زين بيدي:

- يلابينا.

لكنني قلت معترضة:

- بس یا جماعة، هو لو شك إن فیه بولیس، هیهرب. مش هیفضل غیر لو شافنی جایة لوحدی.

قال زين غاضبًا:

- مفيش الكلام ده، هما هيتصرفوا.

ونظر إلى شريف لكي يؤيد كلامه، لكن شريف صمت ونظر لي. ليهز زين رأسه ويقول له بنبرة حادة:

- ما تفكرش في الoption دها

ليقول شريف محاولًا إقناعه:

- اسمعني بس.. نازلي عندها حق. إحنا ممكن نخليها تدخل لوحدها علشان ما يهربش. بس هنكون إحنا موجودين جنبها بنراقبهم من بعيد. وأول ما يطلع هنمسكه.

خبأني زين خلفه:

- مش هيحصل.

ليقترب منه شريف:

- زين، انت نسيت إننا لازم نقبض على القاتل في أسرع وقت، ده إحنا ما صدقنا!

هز رأسه غاضبًا:

- يولع القاتل.. ما حدش هيقرب من نازلي.

لكنني قاطعته:

- بس أنا موافقة يا زين!

لينظر إليّ كأنني خنته.

- أنا واثقَّة إن شريف مش هيخلي حد يأذيني.

اوما شريف براسه.

- أيوة يا زين، أنا استحالة أعمل حاجة تخليها في خطر. مددت يدي لأمسك بذراعه، لكنه ابتعد عني كأن يدي ستحرقه، وقال

لي بعينين يشع منهما الغضب:

- هو انتِ ليه عنيدة؟

لكنني صَحث:

- علشان ده شغلي، وعلشان ده واحد قتل أكتر من سبع بنات مالهمش ذنب، وقتل دكتور طارق عايزني أقف وأتفرج عليه وهو بيهرب؟ اهتز هاتفي برسالة جديدة من الرقم المجهول.

- ثواني، دي جت رسالة تائية منه.

قرأثها بصوت عال:

"عدى ساعة وربع.. هديك غشر دقايق لو ما بقيتيش قدامي لوحدك بالفلوس همشي."

قال شريف:

- مفيش وقت نضيعة، إحنا لازم نتحرك.

التفت زين إلى شريف ولكزم في صدره بإصبعه.

- لو حد لمس منها شعرة، أنا مش هسامحك.

ابتعد عنا ووقف بجانب سيارته ممسكاً برأسه. وضع شريف خطة: سوف أذهب لمقابلة ذلك الشخص، بينما سيراقبني شريف وأفراد الشرطة من مكان قريب، وسأتصل بهاتفه ونترك المكالمة مفتوحة حتى يتمكنوا من سماع الحوار الذي سيدور بيننا ويتدخلوا فور ظهور القاتل. صمت زين وهو يسمع الخطة بوجه عابس، ثم ترك سيارته وركب في المقعد المجاور بسيارة شريف، ليفهم الجميع أنه وافق حتى لو لم يكن راضيًا عما سنفعله.

قدت سيارتي، وسار شريف وسيارة الشرطة خلفي، لكنهم تركوا مسافة كبيرة بيننا حتى لا يشك القاتل في أمرنا. أوقفت سيارتي عندما وصلت إلى الموقع، كان المكان أرضًا صحراوية فارغة بجانب الطريق، مصدر إضاءتها عامود نور يرتعش أخذت نفسًا عميقًا وحاولت أن أسيطر على يدي المرتعشة، ثم أمسكت هاتفي وبعثت له رسالة لأخبره أنني وصلت.

مرت دقيقتين ووجدت سيارة سوداء تقترب مني وتقف أمامي. ابتلعت لعابي بصعوبة ثم أمسكت بالنقود واتصلت بشريف، وضعت الهاتف في جيبي الخلفي، ثم خرجت من السيارة. خرج صاحب السيارة، لم أستطع أن أرى وجهه لأنه يرتدي كمامة طبية وكاب وسترة واسعة. ترددت قليلًا، ثم اقتربت منه وقلت بصوت عالٍ حتى يسمعني شريف:

- أنا جيت وجيبت الفلوس.. فين الأدلة؟

رغم تخفيه، إلا أنه حين اقترب مني وانعكست على وجهه إضاءة عامود النور استطعت أن أتعرّف عليه بسهولة، إنه سعيد بالفعل كما خمن زين. لكنني تصرفت وكأنني لا أعرفه حتى لا يشك بي، وقلت جملة اتفقنا أن أقولها بصوتٍ عالٍ إذا كان ذلك الشخص سعيد بالفعل وهي:

- انت مش هتقولي انت مين؟

هز رأسه وقال محاولًا أن يغير نبرة صوته:

- وريني الفلوس الأول.

أخرجت النقود من الكيس البلاستيكي الذي وضعتها فيه.

- أهم... فين الحاجة اللي وعدتني بيها؟

أشار إلى سيارته.

- تعالى معايا في العربية، أنا شايلهم في مكان قريب من هنا علشان ماكنتش واثق إنك هتيجي لوحدك.

لكنني ابتعدت عنه نحو سيارتي.

- إحنا ما اتفقناش على كده.

قبل أن يقترب، اقتربت منا سيارة شريف مسرعة، وخلفها سيارة الشرطة ليخرجوا من سيارتهم بسرعة خارقة، موجهين أسلحتهم تجاهه. في تلك اللحظة كان من المفروض أن أركض نحوهم، لكنني ارتبكت، فأنتهز سعيد تلك الفرصة وجذبني نحوه ووضع سكينا على رقبتي وقال صائحًا:

- ماحدش يقرب مني.. هقتلها!

تلك المرة أسقط تلك النبرة الغريبة وتحدث بنبرته الطبيعية، لأتأكد تمامًا هذه المرة أنه سعيد. أخذت أرتعش، لكن زين اقترب منا رغم محاولة شريف منعه، ليصيح سعيد:

- خليك مكانك

قال زين:

- سيبها وخدني أنا، انت مشكلتك معايا يا سعيد! ليتسمر في مكانه حين أدرك أنه الكشف. رفع زين يده.

- سيبها وهاجي معاك بنفسي.

ضحك سعيد ساخرًا:

- كنت عارف إنك هتوصلّي.

ثم قال بنبرة حاقدة:

- دكتور زين اللي بيحل كل القضايا... البطل اللي كل الناس بيتكلموا عليه... اللي فريدة اختارته.

ثم أحكم السكين حول عنقي حتى انجرج جلدي وبدأ ينزف، أغلقت عيني متألمة. وجه كلامه لي:

- حتى انتِ اخترتيه. -

ثم صاح:

- أنا مش هسيبك تكسب... أنا هموتها قدام عينيك زي ما فريدة ماتت قدامك..

جذب شريف ذراع زين ليمنعه من أن يتحرك نحونا. قال زين غاضبًا:

- تعالى طيب يا جبان بدل ما انت بتتحامى في نازلي زي النسوان. جذبني سعيد معه بقوة نحو سيارته دون أن يلتفت، وقال:

- نزلوا سلاحكم.

شريف أنزل سلاحه وقال:

- سيبها ونخليك تمشي.

ضحك سعيد.

- هي غالية قوي كده عندكم؟ ده سبب يخليني أستمتع أكتر وأنا بقتلها.

قبل أن نستوعب، رفع شريف سلاحه نحونا سريعا وأطلق النار، أغلقت عيني في فزع، بينما أفلتني سعيد ووقع على الأرض. حين التفت، وجدت أن الطلقة أصابته في رأسه. استطاع شريف أن يصوب على رأسه بسهولة بفضل فارق الطول الكبير بيننا. ركض زين نحوي وأخذني بين ذراعيه بينما يتفحصني في هلع:

- انتِّ كويسة؟ فيه حاجة جات فيّكِ؟

لكنني هززت رأسي مطمئنة إياه.

- أنا كويسة!

بينما أسرع شريف وفريقه نحو سعيد الذي فارق الحياة على الفور.

نظر زين إليّ في ارتياح حيدما تأكد أنني بخير، ليس بي سوى جرح صغير في رقبتي سببته السكين. ابتسم لي زين ولمعت عيناه.

- تتجوزيني يا نازلي؟

اتسعت عيني، ذلك آخر شيء كنت أتوقع أن أسمعه اليوم، بل ظننت أنني سأموت على يد سعيد. هززت رأسي ثم ضحكت غير مصدقة.

- انت بتقول إيه يا زين؟

أعاد جملته وهو ينظر في عيني.

- تتجوزيني يا نازلي؟

نظرت حولي لأجد الجميع منشفلون، سيارة إسعاف والمزيد من سيارات الشرطة، لكن زين ينظر إليّ كأننا وحدنا هنا وكأن الجميع قد تبخروا من حولنا.

#### الفصل الثامن والعشرون

زين

بعد مرور تسعة أشهر

جلست في قاعة المحكمة ممسكًا بيد نازلي المرتعشة وهمست لها بينما ضغطتُ على يدها:

- ما تخافیش یا حبیبتی، کل حاجة هتبقی کویسة

أومأت برأسها بتوتر ثم التفتت نحو الجانب الآخر من القاعة حيث وقف مصطفى هشام خلف القضبان غاضبا، ويجلس بالقرب منه والده المستشار الفاسد هشام فوزي، الذي ينظر إلينا في غرون ويبتسم بثقة ليبعث إلينا رسالة أنه واثق من خروج ابنه ببراءة. لكنني رددت إليه ذات الابتسامة لينظر أمامه في ضيق ويهمس بشيء في أذن محمد ثروت، أحد أشهر المحاميين الذين اشتهروا بالفساد أيضًا.

التفتت لي نازلي قلقة.

- أنا خايفة يا زين ... دول عندهم وسايط قد كده.

قلت لها مبتسمًا:

- لو عنده واسطة، أنا عندي عشرة يا نازلي، ماتقلقيش.

لتومئ برأسها وتزفر.

دخل القاضي لتهدأ القاعة، ونهض الجميع في وقت واحد حتى يأذن لنا بالجلوس. همس له الشخص الذي على يساره بشيء وأخذوا يتحدثون لمدة دقيقة مرت علينا كأنها دهر. لم أفلت يد نازلي. حتى طرق القاضي بمطرقته:

- الحكم... حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم مصطفى هشام فوزي عادل بالسجن المشدد لمدة خمس سنوات بتهمة القتل الخطأ والقيادة تحت تأثير الكحول وتحت السن القانوني للقيادة.

همس الجميع، ونهض هشام فوزي غاضبًا، صائحًا في المحامي. نظرت لي نازلي مبتسمة بعيون مليئة بالدموع، بينما ارتعش جسدها. طرق القاضي بمطرقته وقال بصوتٍ حاد:

- هدوع

ثم تتحنح وأكمل:

 وحكمت عليه بالسجن لمدة عامين بتهمة التلاعب بالأدلة وتضليل العدالة.

نهض مصطفى من مكانه وبكى، بينها أمسكت والدته بيده باكية، وصاح والده في غضب:

أنا مش هسكت يا مصطفى، ماتخافش!

احتضنت نازلي والدتها، وأخذتا تبكيان، بينما ربت والدها على ظهريهما في حنان ثم مسح الدموع التي انهمرت على وجنتيه. التغتُّ إلى هشام ولوحتُ له مبتسمًا، ليمسك به فريق المحامين حتى لا يركض نحوي.

كانت الشهور الأخيرة ملينة بالأحداث، لكن جميعها أحداث سعيدة. بعدما تأكدنا أن سعيد هو القاتل، حين وجدنا بعض الأدلة في منزله مثل نسخ من الرسائل التي كان يتركها مع الجثث مكتوبة على حاسوبه وبعض المتعلقات الشخصية للضحايا، وأخذنا منه عينة من حمضه النووي ليتطابق مع الحمض النووي الذي وجد تحت أظافر الضحية السابعة.

انقلب المجتمع رأشا على عقب حين علموا أن مذيعهم المحبوب كان

هو السفاح طوال ذلك الوقت، وحتى الآن لا يزالون يتحدثون عنه.

بعدها بشهر، أقمنا أنا ونازلي حفلًا صغيرًا لنحتفل بخطبتنا وسط أفراد عائلتنا وأصدقائنا المقربين. غرض على نازلي فرصة تقديم برنامج وحدها في إحدى أكبر القنوات التليفزيونية، وبمجرد عرض بعض الحلقات، أصبحت نازلي من أشهر المذيعين، وأصبح لبرنامجها شعبية ضخمة.

بيتما أنا انشغلت في الانتهاء من تجهيز القسم المختص في علاج مرض التصلب الجانبي الضموري، وافتتجناه رسميًا منذ أسبوع، لتنهال علينا التبرعات بعدما تحدثت نازلي عن القسم في إحدى حلقاتها، وأصبحت توعي بذلك المرض الذي لا يتم التحدث عنه بالقدر الكافي في مجتمعنا.

أخذتُ نازلي إلى العشاء لنحتفل بتحقيق العدالة في قضية أختها بعد أعوام كثيرة. لم أز نازلي بتلك السعادة والراحة منذ عرفتها، أصبح هدفي في الحياة هو إسعادها كما تسعدني. فكرة وجودها في حياتي تجعلني أستيقظ كل يوم مبتسمًا، أصبحت لا أريد سوى أن أكون معها وأن أكون معها عائلة كبيرة.

كُنت أُخشى ألا أحبها بنفس القدر الذي أحببت به فريدة، لكنني أدركت الآن أننى أحب كلًا منهما بطريقة مختلفة. ففريدة كانت حبي الأول الذي لن أنساه طوال حياتي، ونازلي أصبحت حبي الأخير والسبب الذي يجعلني أكمل.

أمسكت يدي في حنان وقالت لي بعيون تجمعت بها الدموع:

- شكرًا أُوي يَا زَّين علَى كل حاجة... شكرًا إنك أول واحد يحسسني إني ممكن أسند عليه، انت مش متخيل انت غيرت حياتي قد إيه.

قَّمتُ بتقبيل يدها لتحمر وجنتاها، وقلت:

- نازلي، انتِ أحلى جأجة حصلت لي في حياتي.

ثم تابعت مبتسمًا:

- خلاص، المحكمة خلصت. ممكن بقى نركز في فرحنا اللي كمان شهرين ده؟ ده أنا بحضر له أكتر منك.

لتضحك هي.

- فاكر أولَّ مرة اتقابلنا فيها؟ كنت تقيل أوي ومكشر في وشي، كنت حاسة إنك مش طايقني.

ضحكت، بينما أكملت هي:

- كنت مش متخيلة إنَّك أصلًا هتتكلم معايا... ما بالك بقى إنك هتتجوزني.

ابتسمت لها وقلت غامزًا:

- يا باشا، هو أنا أطول؟

قاطع حديثنا شخص يتنحنح، التفتنا له لنجد شريف. قلنا في آنٍ واحد:

- هريف؟! ليبتسم لنا في إحراج:

- أنا آسف إني هقطع عليكم الكلام الرومانسي اللي هيخليني أعيط ده... بس أنا اتصلت بيكم مليون مرة، مردتوش، فليلى قالت لي إني هلاقيكم هنا.

نظرت إلى هاتفي الذي وضعته على الوضع الصامت، لأجد منه عشر مكالمات فائتة. عقدت حاجبيّ وتساءلت في قلق:

- فيه إيه يا شريف؟ حصل حاجة؟

أمسك بكوب المياه الموضوع أمامي، وابتلعه في رشفة واحدة، ومسح فمه بيده بينما لم ننزل أعيننا عنه. نظر إلينا بتردد ثم قال: - أنا عارف إنك خلاص بطلت يا زين، بس... فيه جريمة قتل غريبة جدًا عايزكم تساعدوني فيها. اتسعت أعيننا أنا ونازلي، ونظرنا لبعضنا البعض بدهشة.

#### الخاتمة

عزيزي القارئ، وصديقي في هذه الرحلة، أتمنى أن تكون قد استمتعت برحلة البحث مع زين ونازلي. كتبت آخر سطر في روايتي بتاريخ 18 سبتمبر عند الساعة الثانية والنصف فجزا. لا يمكنك تخيل مدى سعادتي، فقد شهدت ولادة طفلي الثاني أمام عيني.

أشكرك، عزيزي القارئ، على إيمانك بي، وأشكر كل من دعمني منذ بداية مسيرتي في الكتابة. كانت رحلتي صعبة، لكنها ممتعة، وأنا الآن أحقق حلم طفولتي الذي نسيته لفترة طويلة، لكن الله لم ينشه.

احقق حلم طفولتي الذي تسيته لفتره طويله، لذن الله لم ينسه. لذا، آمنوا بأحلامكم مهما قال لكم الآخرون أنها مستحيلة، فلا شيء مستحيل مع الله.

عن الكاتبة:

• كنزي مدبولي، كاتبة مصرية من مواليد اسكندرية ١٩٩٧

 تخرجت من كلية اللغة والإعلام من الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا عام ٢٠٢٠ حيث درست الصحافة وكتابة السيناريو والإخراج.

• بدأت في صناعة المحتوى على وسائل التواصل الاجتماعي في عام ٢٠٢٢ وحصلت على ملايين المتابعين من مختلف الدول العربية.

• صدرت لها اول رواية تحت عنوان "فرصة من دهب" في يناير ٢٠٢٤ والتي نفدت أكثر من عشر طبعات لها في أولى أيام معرض القاهرة الدولي للكتاب.

# انتهيت من قراءة كتاب: الضحية الثامنة

دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع



قيم الكتاب

合合合合合

شارك هذا الكتاب